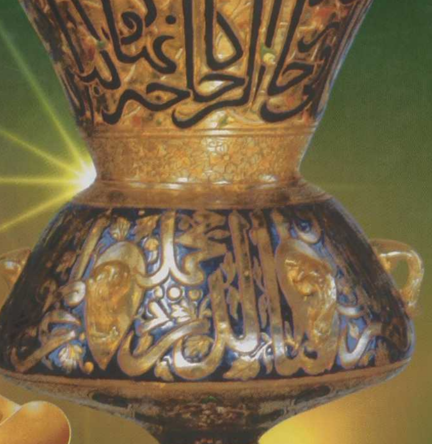
رسائل إلى مؤمنة

بقلم

محمد بن رياض الأحمد السلفي الأثري



عالم الكتب


رسائل إلى مؤمنة



عالم الكتب

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ـ لبنان

ص.ب: ٨٧٢٣ ـ ١١، برقياً: نابعلبكي

تلفون: ٣١٥١٤٢ ـ ٨١٩٦٨٤ (٠١)

خليوي: ٠٣/٣٨١٨٣١

فاكس ٣١٥١٤٢ (٩٦١١)

WORLD OF BOOKS

FOR PRINTING, PUBLISHING & DISTRIBUTION

BEIRUT - LEBANON

P.O BOX: 11-8723, CABLE: NABAALBAKI

TEL.: 01-819684 / 315142

CELL. 03-381831, FAX. (9611) 315142

E. mail: alamko @ dm.net.lb

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م



بقلم
محمد بن رياض الأحمد السلفي الأثري

عالم الكتب


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

إن الحمد ﷻ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. وبعد:

فإن الناظر اليوم إلى حياة المسلمين الذين تمسكوا بدينهم، وأقاموا عبوديتهم لله تعالىٰ في حياتهم، ليجدها حياة محفوفة بالأخطار من كل جانب، فهناك الأخطار التي تهدد الاعتقادات والعبادات، والأخلاق والسلوكيات، يبثها أعداء الإسلام لكي يذوّبوا الدين من نفوس المؤمنين، ويحولوا جماعة المسلمين إلى سائمة تسام، وقطيع مهزوز اعتقاده، غارق في شهواته، مستغرق في ملذاته، متبلد في إحساسه، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، حتى ينقلب منهم من غلبت عليه الشقاوة على عقبيه خاسراً، ويرتد منهم من يرتد عن دينه بالتدرج، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن أشأم هذه المخاطر، وأشدها نفوذاً في تمييع الأمة وإغراقها في شهواتها، وانحلال أخلاقها، سعي دعاة الفتنة إلى نشر الفاحشة وإشاعتها في

مجتمع المسلمين، وذلك عن طريق استغلال المرأة المسلمة بأبشع استغلال، وتخليها عن قيمها ومبادئها الإسلامية، وانغماسها في مبادىء الغرب وانحلالاته، كل هذا من خلال الدعوات الآثمة والشعارات المضللة باسم «حقوق المرأة» و«حريتها» و«مساواتها بالرجل»... وهكذا، من دعوات تناولوها بعقول صغيرة وأفكار مريضة، يترحلون بالمناداة إليها من بلاد الإسلام، وفي المجتمعات المستقيمة لإسقاط الحجاب وخلعه، ونشر التبرج والسفور والعري والخلاعة والاختلاط في مجتمع المسلمين حتى ينحل هذا المجتمع تدريجياً، وينسلخ عن دينه الذي فيه عزته وقوته.

لذلك كان لا بد من كلمة حق ترفع الضيم عن نساء المؤمنين، وتدفع شر المستغربين المعتدين على الدين والأمة، وتعلن التذكير بما تعبد الله به نساء المؤمنين من فرض الحجاب وحفظ الحياء والعفة والاحتشام، والغيرة على المحارم، والتحذير مما حرمه الله ورسوله من التبرج والسفور والاختلاط.

فكان هذا الكتاب بفضل الله تعالىٰ، وهو عبارة عن رسائل تحمل في طيّاتها كل خوف وشفقة على المرأة المسلمة، وتبين لها طريق الله المستقيم الذي إن تمسكت به نجت وأفلحت وفازت بإذن الله تعالىٰ.

فإلى التي تريد رضى الله تعالىٰ...

إلى التي تطمح في نيل ما عنده من النعيم في الجنان...

إلى كل مؤمنة تؤمن بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً...

دونك هذه الرسائل، فاقرأيها وتدبريها، ثم اعملي بها وطبقيها، لكي تنالي رضى الله تعالى ورحمته.

أسأل الله تعالىٰ أن يوفق نساء المسلمين إلى ما يحبه ويرضاه، ويثبتهن على دينه إلى يوم لقاه، إنه جواد كريم، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب

الفقير إلى عفو ربه الغفور

محمد بن رياض الأحمد السلفي الأثري

عفا الله عنه بمنه وكرمه

رسالة الحجاب[1]

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد. فلقد بعث الله تعالى محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، بعثه الله لتحقيق عبادة الله تعالى وذلك بتمام الذل والخضوع له تبارك وتعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتقديم ذلك على هوى النفس وشهواتها. وبعثه الله متمماً لمكارم الأخلاق داعياً إليها بكل وسيلة، وهادماً لمساوىء الأخلاق محذراً عنها بكل وسيلة فجاءت شريعته ﷺ كاملة من جميع الوجوه لا تحتاج إلى مخلوق في تكميلها أو تنظيمها فإنها من لدن حكيم خبير عليم بما يصلح عباده رحيم بهم.

وإن من مكارم الأخلاق التي بُعِثَ بها محمد ﷺ ذلك الخلق الكريم، خلق الحياء الذي جعله النبي ﷺ من الإيمان وشعبة من شعبه، ولا ينكر أحد أن من الحياء المأمور به شرعاً وعرفاً احتشام المرأة وتخلقها بالأخلاق التي تبعدها عن مواقع الفتن ومواضع الريب. وإن مما لا شك فيه أن احتجابها بتغطية وجهها ومواضع الفتنة منها لهو من أكبر احتشام تفعله وتتحلى به لما فيه من صونها وإبعادها عن الفتنة.

ولقد كان الناس في هذه البلاد المباركة بلاد الوحي والرسالة والحياء والحشمة كانوا على طريق الاستقامة في ذلك فكان النساء يخرجن متحجبات متجلببات بالعباءة أو نحوها بعيدات عن مخالطة الرجال الأجانب، ولا تزال الحال كذلك في كثير من بلدان المملكة ولله الحمد. لكن لما حصل ما حصل من الكلام

(١) لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى.

حول الحجاب ورؤية من لا يفعلونه ولا يرون بأساً بالسفور صار عند بعض الناس شك في الحجاب وتغطية الوجه هل هو واجب أو مستحب أو شيء يتبع العادات والتقاليد ولا يحكم عليه بوجود ولا استحباب في حد ذاته، ولإزالة هذا الشك وجلاء حقيقة الأمر أحببت أن أكتب ما تيسر لبيان حكمه راجياً من الله تعالى أن يتضح به الحق وأن يجعلنا من الهداة المهتدين الذين رأوا الحق حقاً واتبعوه ورأوا الباطل باطلاً فاجتنبوه فأقول وبالله التوفيق.

اعلم أيها المسلم أن احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب وتغطية وجهها، أمر واجب دل على وجوبه كتاب ربك تعالى وسنة نبيك محمد ﷺ والاعتبار الصحيح والقياس المطرد.

أولاً: أدلة القرآن الكريم

فمن أدلة القرآن:

الدليل الأول: قوله تعالى:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾.

وبيان دلالة هذه الآية على وجوب الحجاب على المرأة عن الرجال الأجانب من وجوه:

١ ـ أن الله تعالى أمر المؤمنات بحفظ فروجهن والأمر بحفظ الفرج أمر به ربما يكون وسيلة إليه، ولا يرتاب عاقل أن من وسائله تغطية الوجه لأن كشفه سبب للنظر إليها وتأمل محاسنها والتلذذ بذلك، وبالتالي إلى الوصول والاتصال. وفي الحديث: **«العينان تزنيان وزناهما النظر»** إلى أن قال: **«والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»**. فإذا كان تغطية الوجه من وسائل حفظ الفرج كان مأموراً به لأن الوسائل لها أحكام المقاصد.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ فإن الخمار ما تخمر به المرأة رأسها وتغطيه به كالغدقة فإذا كانت مأمورة بأن تضرب بالخمار على جيبها كانت مأمورة بستر وجهها إما لأنه من لازم ذلك أو بالقياس فإنه إذا وجب ستر النحر والصدر كان وجوب ستر الوجه من باب أولى لأنه موضع الجمال والفتنة. فإن الناس الذين يتطلبون جمال الصورة لا يسألون إلا عن الوجه فإذا كان جميلاً لم ينظروا إلى ما سواه نظراً ذا أهمية. ولذلك إذا قالوا فلانة جميلة لم يفهم من هذا الكلام إلا جمال الوجه فتبين أن الوجه هو موضع الجمال طلباً وخبراً فإذا كان كذلك فكيف يفهم أن هذه الشريعة الحكيمة تأمر بستر الصدر والنحر ثم ترخص في كشف الوجه.

٣ ـ إن الله تعالى نهى عن إبداء الزينة مطلقاً إلا ما ظهر منها وهي التي لا بد أن تظهر كظاهر الثياب ولذلك قال إلا ما ظهر منها لم يقل إلا ما أظهرن منها ثم نهى مرة أخرى عن إبداء الزينة إلاّ لمن استثناهم فدل هذا على أن الزينة الثانية غير الزينة الأولى. فالزينة الأولى هي الزينة الظاهرة التي تظهر لكل أحد ولا يمكن إخفاؤها والزينة الثانية هي الزينة الباطنة التي يتزين بها ولو كانت هذه الزينة جائزة لكل أحد لم يكن للتعميم في الأولى والاستثناء في الثانية فائدة معلومة.

٤ ـ أن الله تعالى يرخص بإبداء الزينة الباطنة للتابعين غير أولى الإِربة من الرجال وهم الخدم الذين لا شهوة لهم، وللطفل الصغير الذي لم يبلغ الشهوة ولم يطلع على عورات النساء فدل هذا على أمرين:

أحدهما: إن إبداء الزينة الباطنة لا يحل لأحد من الأجانب إلا لهذين الصنفين.

الثاني: أن علة الحكم ومداره على خوف الفتنة بالمرأة والتعلق بها ولا ريب أن الوجه مجمع الحسن وموضع الفتنة فيكون ستره واجباً لئلا يفتتن به أولو الإِربة من الرجال.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾.

يعني لا تضرب المرأة برجلها فيُعلم ما تخفيه من الخلاخيل ونحوها مما تتحلى به للرجل فإذا كانت المرأة منهية عن الضرب بالأرجل خوفاً من افتتان الرجل بما يسمع من صوت خلخالها ونحوه فكيف بكشف الوجه.

فأيهما أعظم فتنة أن يسمع الرجل خلخالاً بقدم امرأة لا يدري ما هي وما جمالها لا يدري أشابة هي أم عجوز، ولا يدري أشوهاء هي أم حسناء. أيهما أعظم فتنة هذا أو أن ينظر إلى وجه سافر جميل ممتلىء شباباً ونضارة وحسناً وجمالاً وتجميلاً بما يجلب الفتنة ويدعو إلى النظر إليها، إن كل إنسان له إربة في النساء ليعلم أي الفتنتين أعظم وأحق بالستر والإخفاء؟

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [النور: ٦٠].

وجه الدلالة من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى نفى الجُناح وهو الإِثم عن القواعد وهن العواجز اللاتي لا يرجون نكاحاً لعدم رغبة الرجال بهن لكبر سنهن. نفى الله الجُناح عن هذه العجائز في وضع ثيابهن بشرط أن لا يكون الغرض من ذلك التبرج بالزينة. ومن المعلوم بالبداهة أنه ليس المراد بوضع الثياب أن يبقين عاريات، وإنما المراد وضع الثياب التي تكون فوق الدرع ونحوه مما لا يستر ما يظهر غالباً كالوجه والكفين.

فالثياب المذكورة المرخص لهذه العجائز في وضعها هي الثياب السابقة التي تستر جميع البدن وتخصيص الحكم بهؤلاء العجائز دليل أن الشواب اللاتي يرجون النكاح يخالفنهن في الحكم ولو كان الحكم شاملاً للجميع في جواز وضع الثياب ولبس درع ونحوه لم يكن لتخصيص القواعد فائدة.

ومن قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ دليل آخر على وجوب الحجاب على الشابة التي ترجو النكاح لأن الغالب عليها إذا كشفت وجهها أنها تريد التبرج بالزينة وإظهار جمالها وتطلع الرجال لها ومدحها إياها ونحو ذلك، ومن سوى هذه نادرة والنادر لا حكم له.

الدليل الثالث: قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن

في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة. وتفسير الصحابي حجة بل قال بعض العلماء إنه في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، وقوله رضي الله عنه: ويبدين عيناً واحدة إنما رخص في ذلك لأجل الضرورة والحاجة إلى نظر الطريق فأما إذا لم يكن حاجة فلا موجب لكشف العين.

والجلباب هو الرداء فوق الخمار بمنزلة العباءة. قالت أم سلمة رضي الله عنها لما نزلت هذه الآية «خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها» وقد ذكر أبو عبيدة السلماني وغيره أن نساء المؤمنين كن يدنين عليهن الجلابيب من فوق رؤوسهن حتى لا يظهر إلا عيونهن من أجل رؤية الطريق.

الدليل الرابع: قوله تعالى:

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾ [الأحزاب: ٥٥].

قال ابن كثير رحمه الله: لما أمر الله النساء بالحجاب عن الأجانب بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب عنهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ الآية.

فهذه أربعة أدلة من القرآن الكريم تفيد وجوب احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب، والآية الأولى تضمنت الدلالة على ذلك من خمسة أوجه.

ثانياً: أدلة السنة:

وأما أدلة السنة فمنها:

الدليل الأول: قوله ﷺ: «**إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة وإن كانت لا تعلم**» رواه أحمد. قال في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح.

وجه الدلالة منه أن النبي ﷺ نفى الجناح وهو الإثم عن الخاطب خاصة إذا نظر من مخطوبته بشرط أن يكون نظره للخطبة فدل هذا على أن غير الخاطب آثم

بالنظر إلى الأجنبية بكل حال، وكذلك الخاطب إذا نظر لغير الخطبة مثل أن يكون غرضه بالنظر التلذذ والتمتع به ونحو ذلك. فإن قيل ليس في الحديث بيان ما ينظر إليه. فقد يكون المراد بذلك نظر الصدر والنحر فالجواب أن كل أحد يعلم أن مقصود الخاطب المريد للجمال إنما هو جمال الوجه وما سواه تبع لا يقصد غالباً. فالخاطب إنما ينظر إلى الوجه لأنه المقصود بالذات لمريد الجمال بلا ريب.

الدليل الثاني: أن النبي ﷺ لما أمر بإخراج النساء إلى مصلى العيد قلن: يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب فقال النبي ﷺ: **«لتلبسها أختها من جلبابها»** رواه البخاري ومسلم وغيرهما. فهذا الحديث يدل على أن المعتاد عند نساء الصحابة أن لا تخرج المرأة إلا بجلباب وأنها عند عدمه لا يمكن أن تخرج. ولذلك ذكرن رضي الله عنهن هذا المانع لرسول الله ﷺ حينما أمرهن بالخروج إلى مصلى العيد فبيّن النبي ﷺ لهن حل هذا الإشكال بأن تلبسها أختها من جلبابها ولم يأذن لهن بالخروج بغير جلباب مع أن الخروج إلى مصلى العيد مشروع مأمور به للرجال والنساء فإذا كان رسول الله ﷺ لم يأذن لهن بالخروج بغير جلباب فيما هو مأمور به فكيف يرخص لهن في ترك الجلباب لخروج غير مأمور به ولا محتاج إليه. بل هو التجول في الأسواق والاختلاط بالرجال والتفرج الذي لا فائدة منه. وفي الأمر بلبس الجلباب دليل على أنه لا بد من التستر والله أعلم.

الدليل الثالث: ما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات بمروطهن ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد من الغلس». وقالت: «لو رأى رسول الله ﷺ من النساء ما رأينا لمنعهن من المساجد كما منعت بنو إسرائيل نساءها». وقد روى نحو هذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. والدلالة في هذا الحديث من وجهين:

أحدهما: أن الحجاب والتستر كان من عادة نساء الصحابة الذين هم خير القرون وأكرمها على الله عز وجل وأعلاها أخلاقاً وآداباً وأكملها إيماناً وأصلحها عملاً فهم القدوة الذين رضي الله عنهم وعمن اتبعوهم بإحسان كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ

ٱلْعَظِيمُ﴿١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠] فإذا كانت تلك طريقة نساء الصحابة فكيف يليق بنا أن نحيد عن تلك الطريقة التي في اتباعها بإحسان رضي الله تعالى عمن سلكها واتبعها وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

الثاني: أن عائشة أم المؤمنين وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما وناهيك بهما علماً وفقهاً وبصيرة في دين الله ونصحاً لعباد الله أخبرا بأن رسول الله ﷺ لو رأى من النساء ما رأياه لمنعهن من المساجد وهذا في زمان القرون المفضلة تغيرت الحال عما كان عليه النبي ﷺ إلى حد يقتضي منعهن من المساجد. فكيف بزماننا هذا بعد نحو أربعة عشر قرناً وقد اتسع الأمر وقل الحياء وضعف الدين في قلوب كثير من الناس.

وعائشة وابن مسعود رضي الله عنهما فَهِما ما شهدت به نصوص الشريعة الكاملة من أن كل أمر يترتب عليه محذور فهو محظور.

الدليل الرابع: أن النبي ﷺ قال: «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**» فقالت أم سلمة: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: «**يرخينه شبراً**» قالت: إذن تنكشف أقدامهن. قال: «**يرخين ذراعاً ولا يزدن عليه**» ففي هذا الحديث دليل على وجوب ستر قدم المرأة وأنه أمر معلوم عند نساء الصحابة رضي الله عنهم والقدم أقل فتنة من الوجه والكفين بلا ريب. فالتنبيه بالأدنى تنبيه على ما فوقه وما هو أولى منه بالحكم، وحكمة الشرع تأبى أن يجب ستر ما هو أقل فتنة ويرخص في كشف ما هو أعظم منه فتنة. فإن هذا من التناقض المستحيل على حكمة الله وشرعه.

الدليل الخامس: قوله ﷺ: «**إذا كان لإحداكن مكاتب وكان عنده ما يؤدي فلتحتجب منه**» رواه الخمسة إلا النسائي وصححه الترمذي. وجه الدلالة من هذا الحديث أنه يقتضي أن كشف السيدة وجهها لعبدها جائز ما دام في ملكها فإذا خرج منه وجب عليها الاحتجاب لأنه صار أجنبياً فدل على وجوب احتجاب المرأة عن الرجل الأجنبي.

الدليل السادس: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان الركبان يمرون بنا ونحن مُحْرِمَاتٍ مع الرسول ﷺ فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من

رأسها. فإذا جاوزونا كشفناه» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة. ففي قولها: «فإذا حاذونا» تعني الركبان «سدلت إحدانا جلبابها على وجهها» دليل على وجوب ستر الوجه لأن المشروع في الإحرام كشفه فلولا وجود مانع قوي من كشفه حينئذ لوجب بقاؤه مكشوفاً حتى أمام الركبان. وبيان ذلك أن كشف الوجه في الإحرام واجب على النساء عند الأكثر من أهل العلم، والواجب لا يعارضه إلاّ ما هو واجب فلولا وجوب الاحتجاب وتغطية الوجه عند الأجانب ما ساغ ترك الواجب من كشفه حال الإحرام وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن المرأة المُحْرِمة تُنهَى عن النقاب والقفازين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا مما يدل على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يُحْرِمن وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن.

فهذه ستة أدلة من السنة على وجوب احتجاب المرأة وتغطية وجهها عن الرجال الأجانب أضف إليها أدلة القرآن الأربعة تكن عشرة أدلة من الكتاب والسنة.

ثالثاً: أدلة القياس:

الدليل الحادي عشر: الاعتبار الصحيح والقياس المطرد الذي جاءت به هذه الشريعة الكاملة وهو إقرار المصالح ووسائلها والحث عليها، وإنكار المفاسد ووسائلها والزجر عنها. فكل ما كانت مصلحته خالصة أو راجحة على مفسدته فهو مأمور به أمر إيجاب أو أمر استحباب. وكل ما كانت مفسدته خالصة أو راجحة على مصلحة فهو نهي تحريم أو نهي تنزيه. وإذا تأملنا السفور وكشف المرأة وجهها للرجال الأجانب وجدناه يشتمل على مفاسد كثيرة وإن قدر فيه مصلحة فهي يسيرة منغمرة في جانب المفاسد. فمن مفاسده:

١ ـ الفتنة فإن المرأة تفتن نفسها بفعل ما يُجَمّل وجهها ويبهيه ويظهره بالمظهر الفاتن. وهذا من أكبر دواعي الشر والفساد.

٢ ـ زوال الحياء عن المرأة الذي هو من الإيمان ومن مقتضيات فطرتها. فقد كانت المرأة مضرب المثل في الحياء. أحيى من العذراء في خدرها، وزوال الحياء عن المرأة نقص في إيمانها وخروج عن الفطرة التي خلقت عليها.

٣ ـ إفتتان الرجال بها لا سيما إذا كانت جميلة وحصل منها تملق وضحك ومداعبة في كثير من السافرات وقد قيل: «نظرة فسلام فكلام فموعد فلقاء».

والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. فكم من كلام وضحك وفرح أوجب تعلق قلب الرجل بالمرأة وقلب المرأة بالرجل فحصل بذلك من الشر ما لا يمكن دفعه نسأل الله السلامة.

٤ ـ اختلاط النساء بالرجال فإن المرأة إذا رأت نفسها مساوية للرجل في كشف الوجه والتجول سافرة لم يحصل منها حياء ولا خجل من مزاحمة، وفي ذلك فتنة كبيرة وفساد عريض، وقد خرج النبي ﷺ ذات يوم من المسجد وقد اختلط النساء مع الرجال في الطريق فقال النبي ﷺ: «**استأخرن فإنه ليس لكن أن تحتضن الطريق. عليكن بحافات الطريق**». فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق به من لصوقها. رواه ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾.

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على وجوب احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب فقال في الفتاوى المطبوعة أخيراً ص١١٠ ج٢ من الفقه و٢٢ من المجموعة: [وحقيقة الأمر أن الله جعل الزينة زينتين زينة ظاهرة وزينة غير ظاهرة، ويجوز لها إبداء زينتها الظاهرة لغير الزوج وذوات المحارم، وكانوا قبل أن تنزل آية الحجاب كان النساء يخرجن بلا جلباب يرى الرجل وجهها ويديها وكان إذ ذاك يجوز لها أن تظهر الوجه والكفين، وكان حينئذ يجوز النظر إليها لأنه يجوز لها إظهاره. ثم لما أنزل الله آية الحجاب بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩] حُجِبَ النساء عن الرجال. ثم قال: والجلباب هو الملاءة وهو الذي يسميها ابن مسعود وغيره الرداء وتسميه العامة الإزار وهو الإزار الكبير الذي يغطي رأسها وسائر بدنها. ثم قال: فإذا كن مأمورات بالجلباب لئلا يعرفن وهو ستر الوجه أو ستر الوجه بالنقاب كان الوجه واليدان من الزينة التي أمرت أن لا تظهرها للأجانب فما بقي يحل للأجانب النظر إلى الثياب الظاهرة فابن مسعود ذكر آخر الأمرين وابن عباس ذكر أول الأمرين] إلى أن قال: [وعكس ذلك الوجه واليدان والقدمان ليس لها أن تُبدي ذلك للأجانب على أصح القولين بخلاف ما كان قبل النسخ بل لا تبدي إلا الثياب]. وفي ص١١٧، ١١٨ من الجزء

المذكور [وأما وجهها ويداها وقدماها فهي إنما نُهيت عن إبداء ذلك للأجانب ولم تُنه عن إبدائه للنساء ولا لذوي المحارم] وفي ص١٥٢ من هذا الجزء قال: [وأصل هذا أن تعلم أن الشارع له مقصودان: أحدهما الفرق بين الرجال والنساء. الثاني احتجاب النساء]. هذا كلام شيخ الإِسلام وأما كلام غيره من فقهاء أصحاب الإِمام أحمد فأذكر المذهب عند المتأخرين قال في المنتهى: [ويحرم نظر خصي ومجبوب وممسوح إلى أجنبية] وقال في الإِقناع [ويحرم نظر خصي ومجبوب إلى أجنبية] وفي موضع آخر من الإِقناع: [ولا يجوز النظر إلى الحرة الأجنبية قصداً ويحرم نظر شعرها] وقال في متن الدليل [والنظر ثمانية أقسام...

الأول: نظر الرجل البالغ ولو مجبوباً للحرة البالغة الأجنبية لغير حاجة فلا يجوز له نظر شيء منها حتى شعرها المتصل]. اهـ.

وأما كلام الشافعية فقالوا: إن كان النظر لشهوة أو خيفت الفتنة به فحرام قطعاً بلا خلاف وإن كان النظر بلا شهوة ولا خوف فتنة ففيه قولان حكاهما في شرح الإِقناع لهم وقال: [الصحيح يحرم كما في المنهاج كأصله ووجهه الإِمام باتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات الوجوه وبأن النظر مظنة للفتنة ومحرك للشهوة وقد قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾. واللائق بمحاسن الشريعة سد الباب والإِعراض عن تفاصيل الأحوال]. اهـ كلامه.

وفي نيل الأوطار شرح المنتقى ذكر اتفاق المسلمين على منع النساء أن يخرجن سافرات الوجوه لا سيما عند كثرة الفساق.

رابعاً: أدلة المبيحين لكشف الوجه:

ولا أعلم لمن أجاز نظر الوجه والكفين من الأجنبية دليلاً من الكتاب والسنة سوى ما يأتي:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾. حيث قال ابن عباس رضي الله عنهما هي وجهها وكفاها والخاتم. قال الأعمش عن سعيد بن جبير عنه. وتفسير الصحابي حجة كما تقدم.

الثاني: ما رواه أبو داود في سننه عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال: «يا

أسماء إن المرأة إذا بلغت سن المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلاّ هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه».

الثالث: ما رواه البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أخاه الفضل كان رديفاً للنبي ﷺ في حجة الوداع فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ففي هذا الدليل على أن هذه المرأة كاشفة وجهها.

الرابع: ما أخرجه البخاري وغيره من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في صلاة النبي ﷺ بالناس صلاة العيد ثم وعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن وقال: «**يا معشر النساء تصدقن فإنكن أكثر حطب جهنم**» فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين.. الحديث ولولا أن وجهها مكشوف ما عرف أنها سفعاء الخدين.

هذا ما أعرفه من الأدلة التي يمكن أن يستدل بها على جواز كشف الوجه للأجانب من المرأة.

خامساً: الرد على هذه الأدلة:

ولكن هذه الأدلة لا تعارض ما سبق من أدلة وجوب ستره وذلك لوجهين:

أحدهما: أن أدلة وجوب ستره ناقلة عن الأصل، وأدلة جواز كشفه مبقية على الأصل، والناقل عن الأصل مقدم كما هو معروف عند الأصوليين. وذلك لأن الأصل بقاء الشيء على ما كان عليه. فإذا وجد الدليل الناقل عن الأصل دل ذلك على طروء الحكم على الأصل وتغييره له. ولذلك نقول إن مع الناقل زيادة علم. وهو إثبات تغيير الحكم الأصلي والمثبت مقدم على النافي. وهذا الوجه إجمالي ثابت حتى على تقدير تكافؤ الأدلة ثبوتاً ودلالة.

الثاني: إننا إذا تأملنا أدلة جواز كشفه وجدناها لا تكافىء أدلة المنع ويتضح ذلك بالجواب عن كل واحد منها بما يلي:

١ ـ عن تفسير ابن عباس ثلاثة أوجه:

أحدها محتمل أن مراده أول الأمرين قبل نزول آية الحجاب كما ذكره شيخ الإسلام ونقلنا كلامه آنفاً.

الثاني: يحتمل أن مراده الزينة التي نهى عن إبدائها كما ذكره ابن كثير في تفسيره ويؤيد هذين الاحتمالين تفسيره رضي الله عنه لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] كما سبق في الدليل الثالث من القرآن.

الثالث: إذا لم نسلم أن مراده أحد هذين الاحتمالين فإن تفسيره لا يكون حجة يجب قبولها إلا إذا لم يعارضه صحابي آخر. فإن عارضه صحابي آخر أخذ بما ترجحه الأدلة الأخرى وابن عباس رضي الله عنهما قد عارض تفسيره ابن مسعود رضي الله عنه حيث فسر قوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ بالرداء والثياب وما لا بد من ظهوره فوجب طلب الترجيح والعمل بما كان راجحاً في تفسيريهما.

٢ ـ وعن حديث عائشة بأنه ضعيف من وجهين أحدهما: الانقطاع بين عائشة وخالد بن دريك الذي رواه عنه كما أعلّه بذلك أبو داود نفسه حيث قال: خالد بن دريك لم يسمع من عائشة وكذلك أعلّه أبو حاتم الرازي.

الثاني: أن في إسناده سعيد بن بشير النصري نزيل دمشق تركه ابن مهدي وضعفه أحمد وابن معين وابن المديني والنسائي وعلى هذا فالحديث ضعيف لا يقاوم ما تقدم من الأحاديث الصحيحة الدالة على وجوب الحجاب: وأيضاً فإن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها كان لها حين هجرة النبي ﷺ سبع وعشرون سنة. فهي كبيرة السن فيبعد أن تدخل على النبي ﷺ في ثياب رقاق تصف منها ما سوى الوجه والكفين والله أعلم، ثم على تقدير الصحة يحمل على ما قبل الحجاب لأن نصوص الحجاب ناقلة عن الأصل فتقدم عليه.

٣ ـ وعن حديث ابن عباس بأنه لا دليل فيه على جواز النظر إلى الأجنبية لأن النبي ﷺ لم يقُر الفضل على ذلك بل حرف وجهه إلى الشق الآخر ولذلك ذكر النووي في شرح صحيح مسلم بأن من فوائد هذا الحديث تحريم نظر الأجنبية. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في فوائد هذا الحديث: وفيه منع النظر إلى الأجنبيات وغض البصر. قال عياض وزعم بعضهم أنه غير واجب إلا عند خشية الفتنة قال: وعندي أن فعله ﷺ: إذ غطى وجه الفضل كما في الرواية. فإن قيل: فلماذا لم يأمر النبي ﷺ المرأة بتغطية وجهها فالجواب أن الظاهر أنها

كانت محرمة والمشروع في حقها أن لا تغطي وجهها إذا لم يكن أحد ينظر إليها من الأجانب أو يقال لعل النبي ﷺ أمرها بعد ذلك. فإن عدم نقل أمره بذلك لا يدل على عدم الأمر. إذ عدم النقل ليس نقلاً للعدم. وروى مسلم وأبو داود عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة فقال: «**اصرف بصرك ـ أو قال ـ فأمرني أن أصرف بصري**».

٤ ـ وعن حديث جابر بأن لم يذكر متى كان ذلك. فإما أن تكون هذه المرأة من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحاً فكشف وجهها مباح، ولا يمنع وجوب الحجاب على غيرها أو يكون قبل نزول آية الحجاب فإنها كانت في سورة الأحزاب سنة خمس أو ست من الهجرة، وصلاة العيد شرعت في السنة الثانية من الهجرة.

واعلم أننا إنما بسطنا الكلام في ذلك لحاجة الناس إلى معرفة الحكم في هذه المسألة الاجتماعية الكبيرة التي تناولها كثير ممن يريدون السفور. فلم يعطوها حقها من البحث والنظر مع أن الواجب على كل باحث يتحرى العدل والإنصاف أن لا يتكلم قبل أن يتعلم. وأن يقف بين أدلة الخلاف موقف الحاكم من الخصمين فينظر بعين العدل ويحكم بطريق العلم، فلا يرجح أحد الطرفين بلا مرجح بل ينظر في الأدلة من جميع النواحي، ولا يحمله اعتقاد أحد القولين على المبالغة والغلو في إثبات حججه والتقصيم والإهمال لأدلة خصمه. ولذلك قال العلماء: ينبغي أن يستدل قبل أن يعتقد ليكون اعتقاده تابعاً للدليل لا متبوعاً له لأن من أعتقد قبل أن يستدل قد يحمله اعتقاده على رد النصوص المخالفة لاعتقاده أو تحريفها إذا لم يمكنه ردها. ولقد رأينا ورأى غيرنا ضرر استتباع الاستدلال للاعتقاد حيث حمل صاحبه على تصحيح أحاديث ضعيفة، أو تحميل نصوص صحيحة ما لا تتحمله من الدلالة تثبيتاً لقوله واحتجاجاً له. فلقد قرأت مقالاً لكاتب حول عدم وجوب الحجاب احتج بحديث عائشة الذي رواه أبو داود في قصة دخول أسماء بنت أبي بكر على النبي ﷺ وقوله لها: «**إن المرأة إذا بلغت سن المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا**» وأشار إلى وجهه وكفيه. وذكر هذا الكاتب أنه حديث صحيح متفق عليه وأن العلماء متفقون على صحته فليس كذلك أيضاً وكيف يتفقون على

صحته وأبو داود راويه أعله بالإرسال وأحد رواته ضعفه الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث. ولكن التعصب والجهل يحمل صاحبه على البلاء والهلاك قال ابن القيم:

وتعر من ثوبين من يلبسهما ... يلقى الردى بمذلة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه ... ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحل بالإنصاف أفخر حلة ... زينت بها الأعطاف والكتفان

وليحذر الكاتب والمؤلف من التقصير في طلب الأدلة وتمحيصها والتسرع إلى القول بغير علم فيكون ممن قال الله فيهم: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤] أو يجمع بين التقصير في طلب الدليل والتكذيب بما قام عليه الدليل فيكون منه شر على شر ويدخل في قوله تعالى: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزمر: ٣٢].

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويوفقنا لاتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويوفقنا لاجتنابه، ويهدينا صراطه المستقيم، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين.

محاورة مع فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين حول الحجاب:

السؤال الأول:

لو قيل إن بعض العلماء استدل على أن ستر الوجه ليس بواجب من عدة حوادث وأن النساء كن يكشفن وجوههن عند الرسول ﷺ ولا ينكر عليهن.

منها حديث جابر بن عبد الله قال: شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذانٍ ولا إقامة ثم قام متوكئاً على بلال... إلخ. فما الجواب يا شيخ.

الجواب:

الجواب على هذا أن الحجاب كان له حالان: حال سابقة، وحال لاحقة.
الحال السابقة إباحة كشف المرأة وجهها عند الرجال الأجانب.

والحال اللاحقة منع ذلك؛ لأن الحجاب إنما نزل وجوبه في السنة الخامسة من الهجرة فتُحمل جميع الأحاديث الواردة في ذلك ـ أي في جواز كشف الوجه على أنها قبل النسخ، فأما الأحاديث التي وردت بعد النسخ وظاهرها جواز كشف الوجه فإنها تحمل على أن هذه حال خاصة وقضية عين يحتمل أنَّ فيها موانع تمنع من الحجاب أو من إلزام المرأة به فلا تترك الأحاديث والآيات الواضحة من أجل هذه الأحاديث المشتبهة لأن اتباع المشتبه وترك الواضح ليس من طريق الراسخين في العلم الطالبين للحقيقة، والله سبحانه وتعالى بحكمته جعل من كتابه ومن سنة رسوله ﷺ نصوصاً محكمة، ونصوصاً متشابهة ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من، حي عن بينة، ثم إن الإنسان العاقل البصير يرى أنه لو فرض أنَّ كَشْفَ الوجه من الأمور الجائزة لكان الواجب من حيث النظر في وقتنا هذا أن يُستر؛ لأنه لا أحد من أهل العلم يقول بوجوب كشف الوجه غاية ما هنالك أن العلماء اختلفوا في وجوب ستره، أو عدم وجوب ستره، وحينئذ فيكون كشفه على أعلى تقدير من المباح، والمباح إذا خيفت منه الفتنة والمفسدة فإنه يجب منعه، للقواعد الشرعية التي دل عليها الكتاب والسنة وهي سد الذرائع ووسائل الشر، وهذه المحاولات التي يحاول بعض الناس اليوم اتباع ما ذكره بعض العلماء من جواز كشف الوجه يحصل بها فتح الباب لدعاة السفور والاختلاط ويدل لذلك أنهم يُلحون في هذه المسألة مع أن هناك أشياء أهم منها في دين الله وأنفع منها لعباد الله لا تجدهم يتكلمون فيها أبداً مع ضرورة الكلام فيها، ثم إننا نقول انظروا إلى حال النساء في البلاد التي كانوا يتبعون فيها هذا القول الذي هو من مواضع الاجتهاد هل اقتصر النساء فيها على ما أباحه لهم العلماء من كشف الوجه فقط أو أن النساء كشفن الوجه والرقبة والذراع والعضد والساق وخرجن متهتكات لستر الله عز وجل، والإِنسان العاقل البصير يجب عليه أن يقيس الأمور بآثارها ومقتضياتها ويحكم عليها من هذه الناحية. والشرع ولله الحمد واسع. فيه قواعد عامة تضبط الشر وتردعه وتمنعه.

السؤال الثاني:

ذكرتم يا شيخ في جوابكم أنَّ الحجاب نزل في السنة الخامسة فهل هذا بالاتفاق مع أن ابن القيم رحمه الله ذكر أنه في السنة الثالثة، أو في السنة الخامسة.

الجواب:

معروف عند العلماء أنه في السنة الخامسة وإذا صح أنَّ ابن القيم قال ما قلت فهو أيضاً يدل على أن للحجاب حالين: حالاً سابقة، وحالاً لاحقة فتحمل جميع الأحاديث التي ظاهرها جواز كشف الوجه على ما قبل وجوب الحجاب.

السؤال الثالث:

لو قيل يا شيخ إننا استطعنا أنْ نثبت أنَّ هذه الواقعة في حديث جابر وقعت بعد فرض الحجاب فما القول؟

الجواب:

كأنك تشير إلى حديث جابر رضي الله عنه حين وعظ النبي ﷺ النساء في يوم العيد وقال إنَّ أكثركن حطب جهنم فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين فقالت لم يا رسول الله.. إلخ، ولكن لا أظنك تستطيع أن تثبت هذا بعد وجوب الحجاب، ثم لو ثبت ذلك فمثل هذه المرأة التي ذكرت في الحديث يقول إنها سفعاء الخدين فقد تكون من العجائز التي يجوز لهن أن يكشفن وجوههن؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [النور: ٦٠] وقد يكون الخمار سقط من وجهها بدون قصد ثم انتبهت وأعادته وقد يكون أشياء أخرى أعني أسباباً أخرى لأنها قضية عين.

لكن فيه حديث واضح أنه بعد وجوب الحجاب وهو حديث المرأة التي سألت النبي ﷺ وهو مردف الفضل ابن العباس في طريقه من مزدلفة إلى منى في حجة الوداع فأقول لك إنَّ هذه من قضايا الأعيان التي لها أحوال خاصة فيقال فيه: بأن المشروع في حق النساء المُحْرِمَات كشف الوجوه، وهذه المرأة كشفت وجهها اتباعاً للمشروع وقد لا تكون عالمة بالحجاب وبوجوبه ولم يباغتها النبي ﷺ بالإنكار؛ لأنها تسأل فصرف النبي ﷺ وجه الفضل إلى الشق الآخر لدعاء الحاجة الفورية إلى ذلك وليس في الحديث ما يدل على أن النبي ﷺ لم يعلِّمها بعد جواب سؤالها بوجوب الحجاب عليها فإن عدم النقل ليس نقلاً للعدم، وفي صرف

النبي ﷺ وجه الفضل دليل على اتقاء سبب الفتنة وكشف الوجه في زمننا من أكبر أسباب الفتنة وذرائع التهتك وزوال الحياء، وأنت ـ بارك الله فيك ـ تعرف هؤلاء القوم الذين يدعون إلى تهتك المرأة وكشف وجهها ومخالطة الرجال في العمل وغيره يتجاهلون ما يترتب على ذلك من الشر والفساد وتحويل بلاد الإسلام إلى أن تكون بلاد سفور ويتجاهلون أيضاً النتائج السيئة التي حصلت للشعوب التي لم تأخذ بوجوب ستر الوجه كيف كشف النساء الوجه والرقبة والنحر والرأس. وكيف كانت المرأة تخرج كاشفة وجهها مملوءاً بالتزين بالمكياج وغيره من المحسنات الموجبة للفتنة فأنت ـ بارك الله فيك ـ لا تنظر إلى هذه المسألة على أنها جدل إذا كان كذا وإذا كان كذا في النصوص، فأنا أقول لك الآن لو فرض أنَّ النصوص وضحت كالشمس في جواز كشف الوجه فإنه في هذا العصر يجب منعه، لأنه سيتخذ سُلَّماً إلى شيء وراءه، لهذا أنا أقول: أنتم أيها الشباب يجب عليكم في مثل هذه المسائل أن لا تنسابوا وراء هذه المجادلات. العلم في الواقع إذا لم يكن علماً وتربية صار ضلالاً وشطحاً ولهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رأى الناس أكثروا من شرب الخمر زاد عقوبته من أربعين إلى ثمانين ولما رأى الناس تتابعوا في الطلاق الثلاث منعهم من الرجعة إلى زوجاتهم. تصور كيف منع الزوج من رجعته إلى زوجته مع أنه في عهد الرسول ﷺ وعهد أبي بكر وسنتين من خلافته كان الطلاق الثلاث واحدة ترجع فيه الزوجة فمنع الزوجة حقّاً كان له وقد تكون هذه المطلقة هي أم أولاده كل هذا من أجل ردع الناس، فالواجب على الشباب أن ينظروا إلى الأمور بمنظار العقل المُؤيَّد بالشرع فإن الشر أول ما يخرج يكون شيئاً قليلاً كل الناس يقولون هذا ما فيه شيء ثم ينتشر انتشاراً فظيعاً لا يمكن منعه ولا يشك أحد من الناس أنه محرم، وقد ذكر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في تفسير سورة الأحزاب من كتابه المسمى أضواء البيان أن من حاول منع نساء المسلمين كالدعاة للسفور والتبرج والاختلاط اليوم من الاقتداء بنساء النبي ﷺ في الأدب السماوي المتضمن سلامة العرض والطهارة من دنس الريبة غاش لأمة محمد ﷺ مريض القلب ذكر ذلك بعد أن بيّن دلالة القرآن على احتجاب جميع بدن المرأة عن الرجال الأجانب فراجعه فإنه مفيد جدّاً.

السؤال الرابع:

إذا قيل يا شيخ في الحذر من الفتنة فهذا الرسول ﷺ في حديث ابن عباس رأى موضعاً غاية في الفتنة من نظر إلى امرأة ولم يأمرها الرسول ﷺ أن تغطي وجهها.

الجواب:

إن الرسول ﷺ صرف وجه الرجل عن النظر إليها ولم يُقِرَّه على النظر إليها، وأما المرأة فإن المشروع في حق المرأة كشف وجهها في الإِحرام ولهذا استدل النووي بهذا الحديث على تحريم النظر إلى الأجنبية لأن الرسول ﷺ صرف وجه الفضل عنها فقال هذا دليل على أنه يحرم نظر الرجل إلى المرأة وهذا واضح.

السؤال الخامس:

فهمت أنَّ ابن حجر العسقلاني رحمه الله قد حقق المسألة على أنَّ هذا بعد التحلل من الإِحرام فما جوابكم؟

الجواب:

الجواب أنَّ هذا ليس بصحيح، لأن المرأة هذه كلَّمت الرسول ﷺ وهو في طريقة من مزدلفة إلى مِنى فكيف نقول إنها قد أحلَّت الإِحرام؟

والتحلل من الإِحرام الأول لا يكون إلا بعد الرمي، أو بعد الرمي والحلق، أو التقصير فكيف يكون هذا؟

السؤال السادس:

إذا قيل: إنَّ المحرمة يجوز لها أنْ تغطي وجهها؟ فما جوابكم لكشفها لوجهها؟

الجواب:

نعم نقول صحيح بل يجب عليها تغطية وجهها إذا مر بها رجال عن قرب. وهل أنت تشهد أن هذه المرأة كان الناس حولها؟ يمكن لحقت الرسول ﷺ متقدماً، أو متأخراً، وليس حولها رجال يجب أن تغطي وجهها عنهم. وقضية الفضل ليس فيها دليل أبداً، لأن الرسول ﷺ ما مكنه من النظر بل صرف وجهه عنها.

وأنا أشير عليك ـ بارك الله فيك ـ أن ترجع إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى، ورسالة له صغيرة في حجاب المرأة ولباسها في الصلاة وستجد التحقيق في هذا الموضوع وفي كلامه الكفاية وقد أشرت إلى كلام الشنقيطي في تفسيره سابقاً.

السؤال السابع:

في قولنا إن في هذا الوقت من وجود الفتن لو قال قائل بهذا القول إن قال هذا وقت فتن لكن نريد البحث عن حكم الله ورسوله في هذه المسألة هل هو واجب أم غير واجب؟

الجواب:

الجواب هو أن حكم الله ورسوله أنَّ كل شيء يؤدي إلى الفتنة فهو حرام، فما نقول في سب آلهة المشركين أهو حرام أم حلال أو واجب؟ نقول واجب وإن كان يُؤدي إلى مفسدة كان حراماً قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ما تقول في إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم؟ أليس هذا هو الأمر المشروع والذي همَّ به الرسول ﷺ ولكن الرسول خاف من الفتنة، قال لعائشة رضي الله عنها: **«لولا أنَّ قومك حديثو عهد بكفر لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم»**.

فالأمور التي قد تكون مطلوبة إذا ترتب عليها مفسده تُمنع فكيف بالأمور المباحة؟ إن قلنا إنَّ كشف الوجه مباح، وها هو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه منع من رجوع الزوج إلى زوجته إذا طلقها ثلاثاً ومن المعلوم لنا جميعاً أنه من المطلوب أن تعود المرأة إلى زوجها لا سيما إذا كانت أم أولاده فمنع مع ذلك من أجل أنهم صاروا يتجرؤون على الطلاق الثلاث.

السؤال الثامن:

وإذا قالوا إننا نقر أنه إذا وجدت الفتنة وجب الحجاب، ولكن إذا لم توجد؟

الجواب:

نقول لهم هذا فرض يفرضه الذهن وإن قدر وقوعه فهو نادر وفي أحوال

معينة، أما على سبيل العموم والشمول فإننا نعلم علم اليقين حسب النظائر أنه لا بد أنْ توجد الفتنة لو خرجت النساء في الأسواق كاشفات الوجوه. وهؤلاء الذين يلحون في كشف الوجه، وهو من الأمور التي لم يقل أحد من أهل العلم بوجوبه، نجد بعضاً منهم مقصرين في أمور واجبة خاصة وعامة فما بالهم يلحون في ذلك، لو فرضنا أنه ليس هناك أدلة على وجوب ستر الوجه فأيهما أقرب إلى الطهارة والنزاهة؟ طبعاً الستر فإذا كان أقرب فلماذا نحاول بقدر ما نستطيع أن نلوي أعناق النصوص بدعوى أن نحرر المرأة والأمة فهل ترضى أن تخرج بنتك وأختك إلى السوق فارعة، أو كاشفة الوجه والسفهاء يتبعونها؟ وثق بأن النساء إذا أبحنا لهن هذا الشيء خرجت المرأة متمكيجة كاحلة محمرة تريد أن تكون سلعة إلا من شاء الله.

السؤال التاسع:

وإن قال يا شيخ إنما هذا القول من منطلق الأحاديث والآيات؟

الجواب:

أقول هب أنَّ الأمر كما قلت فهل الأحاديث والآيات تدل على الجواز إذا علمنا أنَّ هذا يترتب عليه مفسدة وشاهدنا الواقع، الآن الدول الإِسلامية التي أخذت بما هو محتمل بالنصوص هل نساؤها بقيت على هذا؟ الآن التي تحتجب بحجاب يرون أنه حجاب فهي تُضَايق، بل أنها تمنع من أشياء تحق لها بمقتضى الوطنية أن تمارسها.

السؤال العاشر:

هل لهذا نظائر من أن حادثة حدثت في الإِسلام على عهد الصحابة أو التابعين الثقاة من أنهم قدموا الواقع وأصول الدين على النظر للأدلة.

الجواب:

نعم لهذا نظائر فهناك مثال من الكتاب ومن السنة ومن سنة الخلفاء الراشدين فمن القرآن ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ومن الحديث قوله ﷺ: **«لولا أنَّ قومك حديثو عهدٍ بكفر لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم»**.

سب آلهة المشركين واجب وإعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم إما واجب وإما مستحب فترك هذا الأمر خوفاً من الوقوع في المحذور، لكن كشف المرأة وجهها عند الأجانب ليس هناك من قال مستحب ولا واجب حتى الذين يقولون بالجواز يقولون جائز.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه منع رجوع المرأة المطلقة ثلاثاً إلى زوجها حيث تعجل الناس في الطلاق الثلاث مع تحريم الطلاق الثلاث؛ لأن الإنسان يتعجل في أمر له فيه أناة وقد تكون المرأة ذات أولاد ومع ذلك عمر منع رجوعها ليرتدع الناس عن الطلاق المحرم فهل نحن أعلم بالسياسة الحكيمة من عمر بن الخطاب؟ أبداً.

السؤال الحادي عشر:

لو قيل إن المحققين في هذه المسألة من العلماء يقولون إذا وجدت الفتنة وجب الحجاب ويقولون إن السنة هو الحجاب وهو عمل أمهات المؤمنين ويقولون إن الأحسن هو تغطية الوجه، لكن الكلام على الوجوب؟

الجواب:

أقول سيثيبهم الله على ما قصدوا إذا كانوا يرون هذا الأحسن، فلماذا يفتحون الباب على الناس في هذا الزمن؟

يجيبون بأن هذا بيان يقول الله ورسوله؟ هذا حسن لكنهم ليسوا معصومين، وهناك محققون خالفوهم في ذلك، فارجع إلى كلام الشنقيطي رحمه الله في تفسيره ومن هو قبله كشيخ الإسلام ابن تيمية، وانظر إلى كلام الشيخ عبد العزيز بن باز وتأمله، إن قابلونا بالرجال قابلناهم بالرجال وإن قابلونا بالنصوص قابلناهم بالنصوص وقد اتفقنا جميعاً على أن هذا ليس بمشروع ولا مطلوب من المرأة فإذا كان كذلك نرى الآن الأمور تنحدر إلى أسوأ فكيف نقول للناس كشف الوجه جائز وهذا مقتضى الكتاب والسنة مع الفتنة العظيمة التي تحصل بذلك؟

السؤال الثاني عشر:

ولكن لو قالوا يا شيخ إنكم تقولون كشف الوجه جائز ولكن من الأحسن تغطيته فما رأيكم؟

الجواب:

لا نقول جائز والنصوص تقتضي التحريم. هم يرون أنَّ النصوص تقتضي الجواز ونحن نرى أنها تقتضي التحريم.

ولا يمكن أن يلزمونا بقولهم ولا نلزمهم بقولنا ونحن نقول نحن وإياكم متفقون في نقطة واحدة أنَّ هذا ليس بواجب ولا بمستحب وإذا كان كذلك وشاهدنا الواقع واقع المسلمين اليوم وكثرة الفتن وإن الذين أبيح لهم ذلك حتى في بلادهم ما ضبطوا المسألة وانتشر الشر أكثر وأكثر. لو أن أحداً من العلماء المعتبرين عندنا أفتى بجواز كشف الوجه فلن يمضي زمن قريب إلا والرقبة مكشوفة والرأس مكشوف هذا مقتضى الواقع وإذا كنت حريصاً فعلاً على تطبيق النصوص فانظر قواعد الشريعة العامة وطبق الواقع عليها واحكم بما تقتضيه الحال فهذا هو العلم والتربية فكن عالماً ربانياً، لأن هناك عالماً نظرياً وعالماً ربانياً.

العالم النظري الجامد على ظاهر النصوص من غير النظر إلى القواعد العامة في الشريعة التي هي مراد النصوص أو الجامد على مقتضى الأسانيد من غير النظر إلى كون المتون شاذة، أو منكرة فيحكم بمقتضى ظاهر الأسانيد.

والعالم الرباني يعلم ماذا يصلح الخلق فيمنعهم من المباح إذا كان يؤدي إلى مُحرَّمْ ويلزمهم بالمباح إذا كان يؤدي إلى واجب والعلماء يتفقون على القاعدة المعروفة «الوسائل لها أحكام المقاصد» فإياكم أنْ تنخدعوا بمثل هذه الأمور هذا ما أشير عليكم به وأنتم منا وبنا فلا ينخدع بهذا الشيء أحد منكم أبداً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

توجيهات للمؤمنات حول التبرج والسفور(١)

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله تعالى بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فَبَلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنني مسرور بما تيسر لي من هذا اللقاء لما أرجوه من الفائدة التي تحصل لي، ولمن سمع كلمتي، أو قرأها إن شاء الله تعالى ـ وأسأل الله تعالى أن يجعل عملنا جميعاً خالصاً لوجهه موافقاً لمرضاته ـ ولكني أحب أن أقدم كلمة قبل الدخول في صميم الموضوع تكون مناسبة ـ إن شاء الله ـ وهي أنكم أيها الإخوة الكرام تعلمون أن من أكبر نعم الله علينا أن هدانا لهذا الدين ـ دين الإسلام ـ الذي هو أفضل الأديان وأقومها، فقد أعطى كل ذي حق حقه وأنزل كل ذي منزلة منزلته، ففي مقام العبودية جعل العبادة لله وحده لا شريك له، قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] لأنه هو الخالق وحده فيجب أن تكون العبادة له وحده وهو المحبوب المعظم لذاته فوجب أن يكون القصد والعمل له وإليه سبحانه وتعالى، وفي مقام المعاملة بين الخلق يأمر بإعطاء كل ذي حق حقه فللنفس حق يجب أن تعطاه، وللأهل حق يجب بذله لهم، وللأصحاب حق يجب أن لا يحرموه، ولمن تعامله حق يجب أن تعامله به، وفي مقام المعاهدات بيننا وبين غيرنا يأمرنا بالوفاء بها وينهانا عن الغدر والخيانة؛ فديننا ـ ولله الحمد ـ دين يأمر بجميع مكارم الأخلاق جملة وتفصيلاً وينهى عن مساوىء الأخلاق جملة

---

(١) لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى.

وتفصيلاً فمن تأمل الإسلام حق التأمل وجده خير الأديان وأقومها وجده ديناً صالحاً لكل زمان ومكان، وأنه مفخرة لأهله وعز وكرامة وكفيل بالسعادة في الدنيا والآخرة، وأن به التقدم الحسي والمعنوي، ومن شك في ذلك فلينظر في تاريخ صدر الإسلام حينما كان المسلمون مسلمين ظاهراً وباطناً ولم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور ـ فعلينا أن نشكر الله على ما أنعم به علينا من هذا الدين القيم وأن نقيد هذه النعمة العظيمة بالعمل بما جاء به النبي ﷺ ظاهراً وباطناً سرّاً وعلناً.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] فنعمة الدين إذا شُكِرتَ بقيت وزادت، وإن هي كفرت اضمحلت وزالت وحل بدلها شعار الكفر والبدع والضلال، وإن العاقل ليقيس ويفهم فكما أن نعمة الأمن إذا لم تشكر أبدلت بالخوف، ونعمة الرزق إذا لم تشكر أبدلت بالجوع كذلك نعمة الدين إذا لم تشكر أبدلت بالكفر، والإسلام أعز ممن ينتمي إليه فإذا لم يجد أناساً يعرفون قدر نعمة الله عليهم به ويعضون عليه بالنواجد ويرونه غنيمة ادخرها الله لهم فسوف يرتحل عنهم إلى غيرهم.

فأوصيكم ـ أيها الإخوة ـ بالعدل في الأمور كلها والموازنة بينها والحكم للراجح فيها والتسوية بينها في الحكم عند التساوي وهذه قاعدة كبيرة يجب على العاقل أن يتمشى عليها في سيره إلى الله وفي سيره مع عباد الله ليكون قائماً بالقسط والله يحب المقسطين، وعليكم أن تقوموا بما أؤتمنتم عليه، بأن يؤدي كل إنسان ما عليه على الوجه الذي يطلب منه من غير تقصير ولا مجاوزة فمن قام بأمانته فقد ربح وفاز، ومن فرط فيها فقد خاب وخسر.

وعلى من أراد إصلاح عباد الله ودعوتهم إلى الخير أن يخلص النية ويصلح العمل فمتى خلصت النية وصلح العمل بالاجتهاد والنظر في المصالح وسلوك أقرب الطرق الموصلة إليها متى اتصف بهذين الأمرين: الإخلاص، والاجتهاد في الإصلاح صلحت الأشياء وقامت الأمور، ومتى نقص أحد الأمرين إما الإخلاص وإما الاجتهاد فإنه يفوت من المصلحة بقدر ذلك، وإن من الحكمة عند دعوة عباد الله أن ينظر الإنسان إلى تصرفات غيره بمنظار الرحمة والنصح فإن كل أحد لا بد أن يخطىء إلا من عصمه الله تعالى ولكن ليس من الحكمة أن ينظر الإنسان إلى جانب الخطأ فقط ويدع جانب الصواب بل ينظر إلى الجانبين ويوازن بينهما ثم يسعى في إصلاح

الخطأ، فإن المؤمنين كالبنيان يشد بعضه بعضاً وقد أشار النبي ﷺ إلى ملاحظة الأمرين بقوله: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر**» وقد يكون صاحبك مرتكباً خطأ في نظرك أنت وعندما تناقشه يتبين لك أنه ليس خطأ فالتراجع في الأمور والمناقشة فيها بإخلاص وإرادة صالحة من أكبر الأسباب في إصلاحها ونجاحها، فاعرف يا أخي الحكمة واسلك طريقها وأعط كل ذي حق حقه وكل عمل ما يستحقه واعترف لكل ذي فضل بفضله فإن ذلك هو الحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٩٦].

أيها الإخوة: بعد هذه المقدمة التي أسأل الله تعالى أن ينفع بها ننتقل إلى ما أردنا الكلام عنه فأقول: لا يخفى على الكثير منكم أن المرأة قبل الإسلام كانت تعد من سقط المتاع تدفن وهي حية قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: ٥٨ ـ ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩] وكانت تورث كرها فحرم الإسلام ذلك قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾[النساء: ١٩]. وكانت لا ترث فأعطاها الله حقها من الميراث ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ [النساء: ٧].

ولقد جاءت النصوص الكثيرة بالوصية بالمرأة ومراعاة حالها قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وقال عز وجل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وقال النبي ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً**»، وقال ﷺ: «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**» وسئل الرسول ﷺ: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت**» ومما جاء به الإسلام رعاية للمرأة وصيانة لكرامتها أن أمرها بمكارم الأخلاق، وإن من مكارم الأخلاق التي بعث بها محمد ﷺ ذلك الخلق الكريم خلق الحياء الذي جعله النبي ﷺ من الإيمان وشعبة من شعبه ولا ينكر أحد أن من الحياء المأمور به شرعاً وعرفاً احتشام المرأة وتخلقها بالأخلاق التي تبعدها عن مواطن الفتن ومواضع الريب.

وإن مما لا شك فيه أن احتجابها بتغطية وجهها ومواضع الفتنة منها لهو من أكبر احتشام تفعله وتتحلى به لما فيه من صونها وإبعادها عن الفتنة، والحجاب الذي يجب على المرأة أن تتخذه هو أن تستر جميع بدنها عن غير زوجها ومحارمها لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩] والجلباب هو الملاءة أو الرداء الواسع الذي يشمل جميع البدن فأمَرَ الله تعلى نبيه أن يقول لأزواجه وبناته ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن حتى يسترن وجوههن ونحورهن.

وقد دلت الأدلة من كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، والنظر الصحيح، والاعتبار والميزان على أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها عن الرجال الأجانب الذين ليسوا من محارمها وليسوا من أزواجها، ولا يشك عاقل أنه إذا كان على المرأة أن تستر رأسها وتستر رجليها وأن لا تضرب برجليها حتى يعلم ما تخفي من زينتها ـ الخلخال ونحوه ـ وأن هذا واجب فإن وجوب ستر الوجه أوجب وأعظم وذلك أن الفتنة الحاصلة بكشف الوجه أعظم بكثير من الفتنة الحاصلة بظهور شعرة من شعر رأسها أو ظفر من ظفر رجليها، وإذا تأمل العاقل المؤمن هذه الشريعة وحكمها وأسرارها تبين أنه لا يمكن أن تُلزِم المرأة بستر الرأس والعنق والذراع والساق والقدم ثم تُبيح للمرأة أن تخرج كفيها وأن تخرج وجهها المملوء جمالاً وتحسيناً فإن ذلك خلاف الحكمة.

ومن تأمل ما وقع فيه الناس اليوم من التهاون في ستر الوجه الذي أدى إلى أن تتهاون المرأة فيما وراءه حيث تكشف رأسها وعنقها ونحرها وذراعها وتمشي في الأسواق بدون مبالاة في بعض البلاد الإسلامية علم علماً يقيناً بأن الحكمة تقتضي أن على النساء ستر وجوههن، فعليك أيتها المرأة أن تتقي الله عز وجل وأن تحتجبي الحجاب الواجب الذي لا تكون معه فتنة بتغطية جميع البدن عن غير الأزواج والمحارم، وإذا تأملنا السفور وكشف المرأة وجهها للرجال الأجانب وجدناه يشتمل على مفاسد كثيرة وإن قدر فيه مصلحة فهي يسيرة منغمرة في جانب المفاسد فمن مفاسده:

١ ـ الفتنة فإن المرأة إذا كشفت وجهها حصل به فتنة للرجال لا سيما إن كانت شابة أو جميلة أو فعلت ما يجمل وجهها ويبهيه ويظهره بالمظهر الفاتن وهذا من أكبر دواعي الشر والفساد.

٢ ـ زوال الحياء عن المرأة الذي هو من الإيمان ومن مقتضيات فطرتها فقد كانت المرأة مضرب المثل في الحياء فيقال: أحي من العذراء في خدرها. وزوال الحياء عن المرأة نقص في إيمانها وخروج عن الفطرة التي فطرت عليها.

٣ ـ شدة تعلق الرجال ومتابعتهم إياها لا سيما إذا كانت جميلة وحصل منها تملق وضحك ومداعبة كما في كثير من السافرات وقد قيل: نظرة فسلام فكلام فموعد فلقاء. والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فكم من كلام وضحك وفرح أوجب تعلق قلب الرجل بالمرأة وقلب المرأة بالرجل فحصل بذلك من الشر ما لا يمكن دفعه نسأل الله السلامة.

٤ ـ اختلاط النساء بالرجال فإن المرأة إذا رأت نفسها مساوية للرجال في كشف الوجه والتجول سافرة لم يحصل منها حياء ولا خجل من مزاحمتهم وفي ذلك فتنة كبيرة وفساد عريض.

وإننا لنأسف كل الأسف أن يأخذ أقوام من هذه الأمة المسلمة بكل ما ورد عليهم من عادات وتقاليد وشعارات من غير أن يتأنوا فيها وينظروا إليها بنظر الشرع والعقل، ينظروا فيها هل تخالف شريعة الله أم لا؟ فإذا كانت تخالف شريعة الله رفضوها واجتنبوها كما يرفض الجسم السليم جرثومة المرض ثم نصحوا من كان متلبساً بها من إخوانهم المسلمين الذين وردوا بها ونقلوها إلى مجتمعاتهم بدون تأمل ونظر، فهذه حقيقة المؤمن أن يكون قوي الشخصية متبوعاً لا تابعاً، صالحاً مصلحاً، نافذ العزيمة بصير التفكير، وإذا كانت هذه العادات والتقاليد والشعارات الواردة إلينا لا تخالف الشريعة فلينظر إليها بنظر العقل فلننظر ما نتيجتها في الحاضر والمستقبل القريب والبعيد، فإنه قد لا يكون لها تأثير ملموس في الحاضر لكن لها تأثير مرتقب في المستقبل ومتى سرنا بهذا الاتجاه وعلى هذا الخط فمعنى ذلك أننا نسير على بصيرة وفي اتجاه سليم موفق بإذن الله تعالى.

وإن مما يندى له الجبين ويستدعي النظر فيه بنظر الشرع والعقل أنك ترى المرأة الشابة تخرج من بيتها إلى السوق بألبسة مغرية، ألبسة جميلة إما قصيرة وإما طويلة، ليس فوقها إلا عباءة قصيرة أو طويلة يفتحها الهواء أحياناً وترفعها هي عمداً أحياناً، تخرج بخمار تستر به وجهها لكنه أحياناً يكون رقيقاً يصف لون جلد

وجهها، وأحياناً تشده على وجهها شدّاً قوياً بحيث تبرز مرتفعات وجهها كأنفها ووجنتيها، تخرج لابسة من حلي الذهب ما لبست ثم تكشف عن ذراعيها حتى تبدو الحلي كأنما تقول للناس شاهدوا ما عليّ. فتنة كبرى ومحنة عظمى، تخرج ستطيبة بطيب قوي الرائحة يفتن كل من في قلبه مرض من الرجال وقد قال النبي ﷺ: «**إن المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا**» يعني زانية. رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. وقال ﷺ: «**إذا خرجت أحداكن إلى المسجد فلا تمس طيباً**».

تخرج من بيتها تمشي في السوق مشياً قويّاً كما يمشي أقوى الرجال وأَشْبَهم كأنما تريد أن يعرف الناس قوتها ونشاطها وتمشي مع صاحبتها وهي تمازحها وتضاحكها بصوت مسموع وتدافعها بتدافع منظور، تقف على صاحب الدكان تبايعه وقد كشفت عن ذراعيها ويديها وربما تمازحه ويمازحها ويضحك معها إلى غير ذلك مما يفعله بعض النساء من أسباب الفتنة والخطر العظيم والسلوك الشاذ الخارج عن توجيهات الإسلام وطريق أمة الإسلام.

يقول الله تعالى لنساء نبيه وهن القدوة: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ويقول النبي ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وبيوتهن خير لهن**» خير لهن من أي شيء؟ من مساجد الله فكيف بخروجهن للأسواق؟ وإن هذا الحديث الصحيح ليدل على أنه يجوز للرجل أن يمنع المرأة من الخروج للسوق ما عدا المسجد ولا إثم عليه في ذلك ولا حرج، أما منعها من التبرج والسفور والتعطر فإنه واجب عليه مسؤول عنه يوم القيامة فإذا كانت المرأة العجوز ممنوعة من التبرج بالزينة فكيف تكون الشابة التي هي محل الفتنة يقول الله عز وجل: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [النور: ٦٠] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] وهو الخلخال الذي تلبسه في رجلها وتخفيه بثوبها فإذا ضربت برجلها على الأرض سمع صوته فإذا كانت منهية أن تفعل ما يعلم به الرجل الزينة الرجل المخفاة فكيف بمن تكشف عن ذراعها حتى تشاهد زينة اليد؟!

إن فتنة المشاهدة أعظم من فتنة السماع، ويقول النبي ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما بعد، قوم معهم سياط كأذناب البقرة يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»**.

وصفهن النبي ﷺ: بأنهن «كاسيات» أي عليهن كسوة ولكنهن «عاريات» لأن هذه الكسوة لا تستر إما لخفتها أو ضيقها أو قصرها «مائلات» عن طريق الحق «مميلات» لغيرهن بما يحصل منهن من الفتنة «رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة» بما يلففن عليهن من شعورهن أو غيرها حتى يكون كسنام البعير المائل.

أيها الإخوة: وإن من الشر العظيم والبلاء الكبير في اختلاط النساء بالرجال ومزاحمتهن لهم وهذا موجود في كثير من محلات البيع والشراء وهو خلاف الشرع وخلاف هدي السلف الصالح فلقد خرج النبي ﷺ من المسجد وقد اختلط النساء مع الرجال فقال النبي ﷺ: **«استأخرن فإنه ليس لكن أن تحتضن الطريق عليكن بحافات الطريق»**. فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليعلق به.

ولقد حذر النبي ﷺ من اختلاط النساء بالرجال حتى في أماكن العبادة فقال ﷺ: **«خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها»** وإنما كان آخر صفوفهن خيراً لبعده عن الرجال ومخالطتهم ورؤيتهم لهن وفي هذا أوضح دليل على محبة الشرع لبعد المرأة عن الرجال واختلاطها بهم وأن الخير في ذلك فجدير بنسائنا أن يلزمن بيوتهن كما قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ وأن لا يخرجن إلى الأسواق وسيجدن ذلك ثقيلاً عليهن في أول الأمر لكنهن سيألفن ذلك ويخف عليهن في النهاية فيصرن ذوات الخدور وربات الحياء وزينة البيوت، وعلى أولياء الأمور من الرجال أن يتفطنوا لذلك وأن يقوموا بما أوجب الله عليهم من رعاية وأمانة حتى يصلح الله لهم الأمور ويمنعهم من الفتنة قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦].

أيها الإخوة أولياء أمور النساء: لقد شاع عند بعض الناس وهان عليهم أن يلبسوا بناتهم لباساً قصيراً أو لباساً ضيقاً يبين مقاطع الجسم أو لباساً خفيفاً يصف

لون الجسم، وإن الذي يلبس بناته مثل هذه الألبسة أو يقرهم عليها فإنما يلبسهم لباس أهل النار كما صح ذلك عن النبي ﷺ حيث قال: «**صنفان من أهل النار لم أرهما بعد...**» الحديث وقد سبق آنفاً.

فيا أيها الأب المسلم هل ترضى أن تكون ابنتك وثمرة فؤادك من أهل النار؟

هل ترضى أن تلبسها لباساً تتعرى به من الحياء مع أن الحياء من الإيمان؟

هل ترضى لابنتك أن تعرضها كما تعرض السلع مجمّلة فاتنة يتعلق بها نظر كل سافل رذيل؟

هل ترضي أن تخرج عن عادات أسلافك التي من آداب القرآن والسنة إلى عادات قوم أخذوها من اليهود والنصارى والوثنيين وعابدي الطبيعة؟

أما علمتم أن هؤلاء القوم الذين غرقوا في بحر هذه المدنية الزائفة واكتسوا بهذه الأكسية العارية أما علمتم أنهم الآن يئنون من وطأتها وأنهم يتمنون الخلاص من رجسها لأنهم عرفوا غايتها وجنوا ثمراتها السيئة وبئس الغاية ما وصلوا إليه، وبئس الثمرة ما جنوا لأنفسهم، وإذا لم نقاوم أيها الإخوة هذه الألبسة ونمنع منها بناتنا فسوف تنتشر في بلدنا وتعم الصالح والفاسد كالنار إن أطفأتها من أول أمرها قضيت عليها ونجوت منها، وإن تركتها تستعر التهمت ما حولها ولم تستطع مقاومتها ولا الفرار منها فيما بعد لأنها تكون أكبر من قدرتك، وبعض الناس يتعللون بعلل غير صحيحة يقولون إن عليهن سروالاً ضافياً. ولكن هذه العلة ليست بصحيحة لأن هذه السراويل ضيقة تبين حجم الأفخاذ والعجيزة بياناً كاملاً تظهر مفاصلها مفصلاً مفصلاً وتبين إن كانت البنت نحيفة أو سمينة وكل هذا مما يوجب تعلق النفوس الخبيثة والشريرة بها ويدخلها في قول النبي ﷺ: «**كاسيات عاريات**». ويقول بعض الناس إن هذه البنت صغيرة ولا حكم لعورتها وهذه العلة ليست بموجبة للإباحة وذلك لأن البنت إذا لبستها وهي صغيرة ألفتها وهي كبيرة، وإذا لبستها وهي صغيرة زال عنها الحياء وهان عليها انكشاف أفخاذها وساقها لأن هذه المواضع من البدن إذا كانت مستورة من أول الأمر فإن المرأة تستعظم كشفها عند كبرها وإذا كانت مكشوفة من أول الأمر لم يكن عظيماً في نفسها كشفها فيما بعد وهذا أمر معلوم بالعادة والحس أن الإنسان إذا اعتاد شيئاً هان عليه، كما أننا نرى

الآن أن هذه الألبسة تلبسها بنات كبيراتٍ ينبغي عليهن الاحتجاب لأن البنت إذا بلغت مبلغاً يتعلق بها النظر وتطلبها النفس فإنها تحتجب.

قال الزهري رحمه الله وهو من أئمة التابعين: «لا يصلح النظر إلى شيء ممن يشتهي النظر إليهن وإن كانت صغيرة» اهـ. لكن كيف نستطيع مقاومة هذه الألبسة؟ إننا نستطيع ذلك بأن يتأمل الإنسان بنظر العقل والإنصاف إلى منافع هذه الألبسة ـ ولا منفعة فيها ـ وإلى مضارها فإذا اقتنع من مضارها منع منها أهله وأقاربه الذين يستطيع منعهم ويحذر إخوانه منها ويشينها في نفوس البنات الصغار ويستحييها عندهن ويستعيبها لتتركز في نفوسهن كراهة هذه الألبسة وبغضها حتى يرين أن من لبسها فهو معيب.

أيها الإخوة: لقد أصبحت مشكلة النساء مشكلة خطيرة لا ينبغي تجاهلها أو السكوت عنها لأنها إن بقيت على ما هي عليه فسيكون لها عواقب وخيمة على البلد وأهلها أفلا يعقل المسؤولون عن أهليهم وعن بلادهم أن على كل واحد منهم مسؤولية أهله أفلا يمكنه أن ينصح امرأته وابنته وأخته وذات قرابته كما فعل رجال الأنصار حين نزلت سورة النور؟ ـ وسيأتي ذكر ما فعلوا ـ ثم ألا يمكنه أن يمنع نساءه من الخروج إلا لحاجة لا بد منها ويلزمها إذا خرجت أن لا تخرج متبرجة أو متطيبة؟ ثم ألا يمكن من له بنات أو أخوات أو أقارب يدرسن أن يحثهن على بث الوعي بين الطالبات ودعوتهن إلى الخير وتحذيرهن من الشر والتجول في الأسواق وخروجهن بالزينة؟ إن هذا كله ممكن ويسير إذا صدق الإنسان ربه وخلصت نيته وقويت عزيمته.

هذه أيها الإخوة توجيهات الله سبحانه وتعالى في كتابه وتوجيهات رسوله ﷺ في سنته: قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [النور: ٣٦].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ

إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾ [النور: ٣١] هذه توجيهات الإسلام، أما طريق أهل الإسلام فقد قالت أم سلمة رضي الله عنها: «لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها».

وقالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل لقد نزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] فانقلب الرجل إلى امرأته وابنته وأخته وكل ذي قرابته فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرتحل فاعتجزت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله في كتابه».

أفلا نأخذ أيها الإخوة بهذه التوجيهات الإسلامية ونعتبر بطريق أهل الإسلام؟

أفلا نتقي الله عز وجل؟ أفلا نتدارك ما وقع فيه كثير من النساء من مخالفة طريق أهل الإسلام ونلزمهن بالسلوك السليم والصراط المستقيم حتى يكون مجتمعنا مجتمعاً إسلامياً في رجاله ونسائه في عباداته وأخلاقه؟

ولا يغرنكم من لا يؤمن بالله واليوم الآخر فإن هذا التبرج والثياب القصيرة والضيقة إنما صنعت تقليداً لهم وإن أعداءكم يعلمون أنهم لو دعوكم إلى الكفر ما كفرتم ولو دعوكم إلى الشرك ما أشركتم ولكن يرضون منكم أن يهدموا أخلاقكم ودينكم من جهات أخرى من جهة محقرات الذنوب التي يحقرونها في أعينكم فتحتقرونها وتأتونها حتى تنزل بكم إلى النار قال النبي ﷺ: «**إن الشيطان قد أيس أن تعبدوا الأصنام في أرض العرب، ولكنه سيرضى منكم بدون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات يوم القيامة**».

فلا تنخدعوا أيها الإخوة بما يقدمه لكم أعداؤكم فإما أن يكون في دينكم صلابة تتحطم عليها مكايد الأعداء وفيكم قوة الشخصية الإسلامية، فلا تقتدون بهم ولا تغترون بهم وتتمسكون بما كان عليه أسلافكم الصالحون فتنالون خير الدنيا

والآخرة. وإما أن يكون الأمر بالعكس ـ نسأل الله السلامة ـ لين في الدين وضعف في الشخصية وانهيار أمام المثيرات فتبوؤن بالصفقة الخاسرة ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]. ويقول النبي ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم» ولأننا إذا عشقنا كل جديد وتتبعنا كل ما ورد إلينا من تقاليد غيرنا أوجب لنا أن ننساب في تقليدهم حتى ربما نقلدهم فيما هم عليه من الضلال في الأخلاق والعقائد والأفكار، فالإنسان ينبغي له أن يحافظ على ما كان عليه أهله إلا إذا كان مخالفاً للشريعة، والواجب على المسلم أن يعتز بدينه ويفتخر به وأن يقتصر على ما حده الله ورسوله في هذا الدين القيم الذي ارتضاه الله لعباده فلا يزيد فيه ولا ينقص منه وأن يجعل أمره مبنيّاً على الاتباع لا على الابتداع، على الإخلاص لا على الإشراك، على ما يحبه الرحمن لا على ما يحبه الشيطان، وينبغي للمسلم أيضاً ألا يكون إمعاً يتبع كل ناعق بل ينبغي أن ينشىء شخصيته على مقتضى شريعة الله سبحانه وتعالى حتى يكون له العزة والكرامة في الحياة الدنيا والآخرة.

هذا وأسأل الله بأسمائه وصفاته الحسنى أن يرينا الحق حقّاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يجعلنا هداة مهتدين وقادة مصلحين وأن ينير قلوبنا بالعلم والإيمان وأن لا يجعل ما علمنا وبالاً علينا، وأن يجعل العمل خالصاً لوجهه موافقاً لمرضاته، وأن يجعل من هذه الأمة جيلاً عالماً بأحكام الله حافظاً لحدود الله قائماً بأمر الله هادياً لعباد الله، إنه جواد كريم. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

التبرج وخطره(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فلا يخفى على كل من له معرفة ما عمت به البلوى في كثير من البلدان من تبرج الكثير من النساء وسفورهن وعدم تحجبهن من الرجال، وإبداء الكثير من زينتهن التي حرم الله عليهن إبداءها، ولا شك أن ذلك من المنكرات العظيمة والمعاصي الظاهرة. ومن أعظم أسباب حلول العقوبات ونزول النقمات لما يترتب على التبرج والسفور من ظهور الفواحش وارتكاب الجرائم وقلة الحياء وعموم الفساد.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وخذوا على أيدي سفهائكم، وامنعوا نساءكم مما حرم الله عليهن، وألزموهم التحجب والتستر، واحذروا غضب الله سبحانه، وعظيم عقوبته، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه**».

وقد قال الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

وفي المسند وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلا هذه الآية ثم قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم**».

---

(١) لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**.

وقد أمر الله سبحانه في كتابه الكريم بتحجب النساء ولزومهن البيوت، وحذر من التبرج والخضوع بالقول للرجال صيانة لهن عن الفساد وتحذيراً لهن من أسباب الفتنة.

فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾. الآية [الأحزاب: ٣٢ - ٣٣].

نهى سبحانه في هذه الآية نساء النبي الكريم أمهات المؤمنين، وهن من خير النساء وأطهرهن عن الخضوع بالقول للرجال وهو تليين القول وترقيقه، لئلا يطمع فيهن من في قلبه مرض شهوة الزنا، ويظن أنهن يوافقنه على ذلك، وأمر بلزومهن البيوت ونهاهن عن تبرج الجاهلية، وهو إظهار الزينة والمحاسن كالرأس والوجه والعنق والصدر والذراع والساق ونحو ذلك من الزينة لما في ذلك من الفساد العظيم والفتنة الكبيرة وتحريك قلوب الرجال إلى تعاطي أسباب الزنا، وإذا كان الله سبحانه يحذر أمهات المؤمنين من هذه الأشياء المنكرة مع صلاحهن وإيمانهن وطهارتهن فغيرهن أولى، وأولى بالتحذير والإذكار والخوف عليهن من أسباب الفتنة، عصمنا الله وجميع المسلمين من مضلات الفتن، ويدل على عموم الحكم لهن ولغيرهن قوله سبحانه في هذه الآية: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فإن هذه الأوامر أحكام عامة لنساء النبي ﷺ وغيرهن.

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ فهذه الآية الكريمة نص واضح في وجوب تحجب النساء عن الرجال وتسترهن منهم، وقد أوضح الله سبحانه في هذه الآية أن التحجب أطهر لقلوب الرجال والنساء وأبعد عن الفاحشة وأسبابها، وأشار سبحانه إلى أن السفور وعدم التحجب خبث ونجاسة، وأن التحجب طهارة وسلامة.

فيا معشر المسلمين تأدبوا بتأديب الله، وامتثلوا أمر الله، والزموا نساءكم بالتحجب الذي هو سبب الطهارة ووسيلة النجاة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب: ٥٩]. والجلابيب جمع جلباب هو ما تضعه المرأة على رأسها وبدنها فوق الثياب للتحجب والتستر به، أمر الله سبحانه جميع نساء المؤمنين بإدناء جلابيبهن على محاسنهن من الشعور والوجه وغير ذلك حتى يعرفن بالعفة فلا يفتتن ولا يفتن غيرهن فيؤذيهن. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوهن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عيناً واحدة، وقال محمد بن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى.. ثم أخبر الله سبحانه أنه غفور رحيم عما سلف من التقصير في ذلك قبل النهي والتحذير منه سبحانه.

وقال عز وجل: ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠﴾ [النور: ٦٠].

يخبر سبحانه أن القواعد من النساء، وهن العجائز اللاتي لا يرجون نكاحاً، لا جناح عليهن أن يضعن ثيابهن عن وجوههن وأيديهن إذا كن غير متبرجات بزينة، فعلم بذلك أن المتبرجة بالزينة ليس لها أن تضع ثوبها عن وجهها ويديها غير ذلك من زينتها، وأن عليها جناحاً في ذلك ولو كانت عجوزاً، لأن كل ساقطة لها لاقطة، ولأن التبرج يفضي إلى الفتنة بالمتبرجة ولو كانت عجوزاً، فكيف يكون الحال بالشابة والجميلة إذا تبرجت، لا شك أن إثمها أعظم، والجناح عليها أشد، والفتنة بها أكبر.

وشرط سبحانه في حق العجوز أن لا تكون ممن يرجو النكاح، وما ذلك ـ والله أعلم ـ إلا أن رجاءها النكاح يدعوها إلى التجمّل والتبرج بالزينة طمعاً في الأزواج، فنهيت عن وضع ثيابها عن محاسنها صيانة لها ولغيرها من الفتنة، ثم ختم الآية سبحانه بتحريض القواعد على الاستعفاف، وأوضح أنه خير لهن وإن لم يتبرجن، فظهر بذلك فضل التحجب والتستر بالثياب ولو من العجائز، وأنه

خير لهن من وضع الثياب، فوجب أن يكون التحجب والاستعفاف عن إظهار الزينة خيراً للشابات من باب أولى، وأبعد لهن عن أسباب الفتنة. وقال سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١].

أمر الله سبحانه في هاتين الآيتين الكريمتين المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار وحفظ الفروج، وما ذاك إلا لعظم فاحشة الزنا وما يترتب عليها من الفساد الكبير بين المسلمين، ولأن إطلاق البصر من وسائل مرض القلب ووقع الفاحشة، وغض البصر من أسباب السلامة من ذلك، ولهذا قال سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فغض البصر وحفظ الفرج أزكى للمؤمن في الدنيا والآخرة، وإطلاق البصر والفرج من أعظم أسباب العطب والعذاب في الدنيا والآخرة، نسأل الله العافية من ذلك.

وأخبر عز وجل أنه خبير بما يصنعه الناس، وأنه لا يخفى عليه خافية، وفي ذلك تحذير للمؤمن من ركوب ما حرم الله عليه، والإعراض عما شرع الله له، وتذكير له بأن الله سبحانه يراه ويعلم أفعاله الطيبة وغيرها. كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] فالواجب على العبد أن يحذر ربه، وأن يستحي منه أن يراه على معصيته، أو يفقده من طاعته التي أوجب عليه، ثم قال سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾، فأمر المؤمنات بغض البصر، وحفظ الفرج، كما أمر المؤمنين بذلك صيانة لهن من أسباب الفتنة، وتحريضاً لهن على أسباب العفة والسلامة، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ما ظهر منها) يعني بذلك ما ظهر من اللباس، فإن

ذلك معفو عنه، ومراده بذلك رضي الله عنه الملابس التي ليس فيها تبرج وفتنة، وأما ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر (ما ظهر منها) بالوجه والكفين فهو محمول على حالة النساء قبل نزول آية الحجاب، وأما بعد ذلك فقد أوجب الله عليهن ستر الجميع، كما سبق في الآيات الكريمات من سورة الأحزاب وغيرها. ويدل على أن ابن عباس أراد ذلك، ما رواه عنه علي بن أبي طالب أنه قال: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدةً. وقد نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم والتحقيق وهو الحق الذي لا ريب فيه.

ومعلوم ما يترتب على ظهور الوجه والكفين من الفساد والفتنة، وقد تقدم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ ولم يستثن شيئاً، وهي آية محكمة فوجب الأخذ بها والتعويل عليها، وحمل ما سواها عليها، والحكم فيها عام في نساء النبي ﷺ وغيرهن من نساء المؤمنين، وتقدم من سورة النور ما يرشد إلى ذلك، وهو ما ذكره الله سبحانه في حق القواعد وتحريم وضعهن الثياب إلا بشرطين، أحدهما: كونهن لا يرجون النكاح، والثاني عدم التبرج بالزينة، وسبق الكلام على ذلك. وإن الآية المذكورة حجة ظاهرة، وبرهان قاطع على تحريم سفور النساء وتبرجهن بالزينة.

ويدل على ذلك أيضاً ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك أنها خمرت وجهها لما سمعت صوت صفوان بن المعطل السلمي وقالت: إنه كان يعرفها قبل الحجاب فدل ذلك على أن النساء بعد نزول آية الحجاب لا يعرفن بسبب تخميرهن وجوههن، ولا يخفى ما وقع فيه النساء اليوم من التوسع في التبرج وإبداء المحاسن، فوجب سد الذرائع وحسم الوسائل المفضية إلى الفساد وظهور الفواحش.

ومن أعظم أسباب الفساد خلوة الرجال بالنساء، وسفرهم بهن من دون محرم. وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم، ولا يخلون رجل بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما**» وقال ﷺ: «**لا يبيتن رجل عند امرأة إلا أن يكون زوجاً أو ذا محرم**» رواه مسلم في صحيحه. فاتقوا الله أيها المسلمون،

خذوا على أيدي نسائكم، وامنعوهن مما حرم الله عليهن من السفور والتبرج وإظهار المحاسن والتشبه بأعداء الله من النصارى ومن تشبه بهم، واعلموا أن السكوت عنهن مشاركة لهن في الإثم وتعرض لغضب الله وعموم عقابه، عافانا الله وإياكم من شر ذلك.

ومن أعظم الواجبات تحذير الرجال من الخلو بالنساء والدخول عليهن والسفر بهن بدون محرم لأن ذلك من وسائل الفتنة والفساد، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» وقال ﷺ: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**» وقال ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، ورجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس**» وهذا تحذير شديد من التبرج والسفور، ولبس الرقيق والقصير من الثياب، والميل عن الحق والعفة، وإمالة الناس إلى الفاحشة والباطل، وتحذير شديد من ظلم الناس والتعدي عليهم، ووعيد لمن فعل ذلك بحرمان دخول الجنة، نسأل الله العافية من ذلك.

ومن أعظم الفساد: تشبه الكثير من النساء بنساء الكفار من النصارى وأشباههم في لبس القصير من الثياب، وإبداء الشعور والمحاسن، ومشط الشعور على طريقة أهل الكفر والفسق، ووصل الشعر، ولبس الرؤوس الصناعية المسماة (الباروكة). وقال ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» ومعلوم ما يترتب على هذا التشبه، وهذه الملابس القصيرة التي تجعل المرأة شبه عارية من الفساد والفتنة ورقة الدين وقلة الحياء. فالواجب الحذر من ذلك غاية الحذر، ومنع النساء منه، والشدة في ذلك، لأن عاقبته وخيمة، وفساده عظيم، ولا يجوز التساهل في ذلك مع البنات الصغار، لأن تربيتهن عليه يفضي إلى اعتيادهن له، وكراهيتهن لما سواه إذا كبرن، فيقع بذلك الفساد والمحذور والفتنة المخوفة التي وقع فيها الكبيرات من النساء.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا ما حرم الله عليكم، وتعاونوا على البر والتقوى. وتواصوا بالحق والصبر عليه، واعلموا أن الله سبحانه سائلكم عن ذلك،

ومجازيكم عن أعمالكم، وهو سبحانه مع الصابرين، ومع المتقين والمحسنين. فاصبروا وصابروا واتقوا الله، وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين.

ولا ريب أن الواجب على ولاة الأمور من الأمراء والقضاة والعلماء ورؤساء وأعضاء الهيئات أكبر من الواجب على غيرهم، والخطر عليهم أشد، والفتنة في سكوت من سكت منهم عظيمة، ليس إنكار المنكر خاصاً بهم، بل الواجب على جميع المسلمين - ولا سيما أعيانهم وكبارهم وبالأخص أولياء النساء وأزواجهن - إنكار هذا المنكر، والغلظة فيه، والشدة على من تساهل في ذلك، لعل الله سبحانه يرفع عنا ما نزل من البلاء ويهدينا ونساءنا إلى سواء السبيل.

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»** وأسأل الله أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يصلح ولاة أمرنا، ويقمع بهم الفساد، وينصر بهم الحق، ويصلح لهم البطانة، وأن يوفقنا وإياكم وإياهم وسائر المسلمين لما فيه صلاح العباد والبلاد، في المعاش والمعاد، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فإن الدعوة إلى نزول المرأة للعمل في ميدان الرجل المؤدي إلى الاختلاط، سواء كان ذلك على جهة التصريح أو التلويح بحجة أن ذلك من مقتضيات العصر ومتطلبات الحضارة، أمر خطير جداً له تبعاته الخطيرة وثمراته المرة وعواقبه الوخيمة رغم مصادمته للنصوص الشرعية التي تأمر المرأة بالقرار في بيتها، والقيام بالأعمال التي تخصها في بيتها ونحوه.

ومن أراد أن يعرف عن كثب ما جناه الاختلاط من المفاسد التي لا تحصى، فلينظر إلى تلك المجتمعات التي وقعت في هذا البلاء العظيم اختياراً أو اضطراراً بإنصاف من نفسه وتجرد للحق عما عداه يجد التذمر ـ على المستوى الفردي والجماعي ـ والتحسر على انفلات المرأة من بيتها وتفكك الأسر. ونجد ذلك واضحاً على لسان الكثير من الكتاب، بل في جميع وسائل الإعلام، وما ذلك إلا لأن هذا هدم للمجتمع وتقويض لبنائه.

والأدلة الصحيحة الصريحة الدالة على تحريم الخلوة بالأجنبية وتحريم النظر إليها وتحريم الوسائل الموصلة إلى الوقوع فيما حرّم الله أدلة كثيرة، قاضية بتحريم الاختلاط لأنه يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه.

وإخراج المرأة من بيتها الذي هو مملكتها ومنطلقها الحيوي، إخراج لها عما تقتضيه فطرتها وطبيعتها التي جبلها الله عليها. فالدعوة إلى نزول المرأة في الميادين التي تخص الرجال أمر خطير على المجتمع الإسلامي، ومن أعظم آثاره الاختلاط

---

(١) لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.

الذي يعتبر من أعظم وسائل الزنا الذي يفتك بالمجتمع ويهدم قيمه وأخلاقه.

ومعلوم أن الله تبارك وتعالى جعل للمرأة تركيباً خاصاً يختلف تماماً عن تركيب الرجل، هيأها به للقيام بالأعمال التي في داخل بيتها والأعمال التي بين بنات جنسها.

ومعنى هذا: أن إقحام المرأة لميدان الرجال الخاص بهم يعتبر إخراجاً لها عن تركيبها وطبيعتها وفي هذا جناية كبيرة على المرأة وقضاء على معنويتها وتحطيمها، ويتعدى ذلك إلى أولاد الجيل من ذكور وإناث إذ أنهم يفقدون التربية والحنان والعطف. فالذي يقوم بهذا الدور وهو الأم قد فصلت منه وعزلت تماماً عن مملكتها التي لا يمكن أن تجد الراحة والاستقرار والطمأنينة إلا فيها وواقع المجتمعات التي تورطت في هذا أصدق شاهد على ما نقول. والإسلام جعل لكل من الزوجين واجبات خاصة على كل واحد منهما أن يقوم بدوره ليكتمل بذلك بناء المجتمع في داخل البيت وفي خارجه.

فالرجل يقوم بالنفقة والاكتساب، والمرأة تقوم بتربية الأولاد والعطف والحنان والرضاعة والحضانة والأعمال التي تناسبها لتعليم البنات وإدارة مدارسهن والتطبيب والتمريض لهن ونحو ذلك من الأعمال المختصة بالنساء. فترك واجبات البيت من قبل المرأة يعتبر ضياعاً للبيت بمن فيه، ويترتب عليه تفكك الأسرة حسيّاً ومعنويّاً وعند ذلك يصبح المجتمع شكلاً وصورة لا حقيقة ومعنى. قال الله جل وعلا: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

فسنة الله في خلقه أن القوامة للرجل على المرأة، وللرجل فضل عليها كما دلت الآية الكريمة على ذلك. وأمر الله سبحانه للمرأة بقرارها في بيتها ونهيها عن التبرج معناه النهي عن الاختلاط وهو: اجتماع الرجال بالنساء الأجنبيات في مكان واحد بحكم العمل أو البيع أو الشراء أو النزهة أو السفر أو نحو ذلك. لأن اقتحام المرأة في هذا الميدان يؤدي بها إلى الوقوع في المنهي عنه وفي ذلك مخالفة لأمر الله وتضييع لحقوق الله المطلوب شرعاً من المسلمة أن تقوم بها.

والكتاب والسنة دلاّ على تحريم الاختلاط وتحريم جميع الوسائل المؤدية إليه

قال الله عز وجل: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)﴾ [الأحزاب: ٣٣، ٣٤].

فأمر الله أمهات المؤمنين ـ وجميع المسلمات والمؤمنات داخلات في ذلك ـ بالقرار في البيوت لما في ذلك من صيانتهن وإبعادهن عن وسائل الفساد، لأن الخروج لغير حاجة قد يفضي إلى التبرج، كما قد يفضي إلى شرور أخرى، ثم أمرهن بالأعمال الصالحة التي تنهاهن عن الفحشاء والمنكر وذلك بإقامتهن الصلاة وإيتائهن الزكاة وطاعتهن لله ولرسوله ﷺ، ثم وجههن إلى ما يعود عليهن بالنفع في الدنيا والآخرة وذلك بأن يكنَّ على اتصال دائم بالقرآن الكريم وبالسنَّة النبوية المطهرة اللذين فيهما ما يجلو صدأ القلوب ويطهرها من الأرجاس والأنجاس ويرشد إلى الحق والصواب.

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩)﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فأمر الله نبيه عليه السلام وهو المبلغ عن ربه أن يقول لأزواجه وبناته وعامة نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن وذلك يتضمن ستر باقي أجسامهن بالجلابيب وذلك إذا أردن الخروج لحاجة لئلا تحصل لهن الأذية من مرضى القلوب.

فإذا كان الأمر بهذه المثابة فما بالك بنزولها إلى ميدان الرجال واختلاطها معهم وإبداء حاجتها إليهم بحكم الوظيفة والتنازل عن كثير من أنوثتها لتنزل في مستواهم، وذهاب كثير من حيائها ليحصل بذلك الانسجام بين الجنسين المختلفين معنى وصورة. قال الله جل وعلا: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

يأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يبلغ المؤمنين والمؤمنات أن يلتزموا

بغض البصر وحفظ الفرج عن الزنا، ثم أوضح سبحانه أن هذا الأمر أزكى لهم. ومعلوم أن حفظ الفرج من الفاحشة إنما يكون باجتناب وسائلها، ولا شك أن إطلاق البصر واختلاط النساء بالرجال والرجال بالنساء في ميادين العمل وغيرها من أعظم وسائل وقوع الفاحشة، وهذان الأمران المطلوبان من المؤمن يستحيل تحققهما منه وهو يعمل مع المرأة الأجنبية كزميلة أو مشاركة له في العمل.

فاقتحامها هذا الميدان معه أو اقتحامه الميدان معها لا شك أنه من الأمور التي يستحيل معها غض البصر وإحصان الفرج والحصول على زكاة النفس وطهارتها.

وهكذا أمر الله المؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة إلا ما ظهر منها، وأمرهن الله بإسدال الخمار على الجيوب المتضمن ستر رأسها ووجهها، لأن الجيب محل الرأس والوجه. فكيف يحصل غض البصر وحفظ الفرج، وعدم إبداء الزينة عند نزول المرأة ميدان الرجال واختلاطها معهم في الأعمال والاختلاط كفيل بالوقوع في هذه المحاذير. وكيف يحصل للمرأة المسلمة أن تغض بصرها وهي تسير مع الرجل الأجنبي جنباً إلى جنب بحجة أنها تشاركه في الأعمال أو تساويه في جميع ما يقوم به.

والإسلام حرَّم جميع الوسائل والذرائع الموصلة إلى الأمور المحرمة. ولذلك حرَّم الإسلام على النساء خضوعهن بالقول للرجال لكونه يفضي إلى الطمع فيهن كما في قوله عز وجل:

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ [الأحزاب: ٣٢].

يعني مرض الشهوة، فكيف يمكن التحفظ من ذلك مع الاختلاط.

ومن البديهي أنها نزلت إلى ميدان الرجال لا بد أن تكلمهم وأن يكلموها ولا بد أن ترقق لهم الكلام وأن يرققوا لها الكلام والشيطان من وراء ذلك يزين ويحسن ويدعو إلى الفاحشة حتى يقعوا فريسة له، والله حكيم عليم حيث أمر المرأة بالحجاب، وما ذاك إلا لأن الناس فيهم البر والفاجر والطاهر والعاهر، فالحجاب يمنع بإذن الله من الفتنة ويحجز دواعيها وتحل بها طهارة قلوب الرجال والنساء، والبعد عن مظان التهمة قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ

﴿...حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية. وخير حجاب للمرأة بعد حجاب وجهها وجسمها باللباس هو بيتها. وحرّم عليها الإسلام مخالطة الرجال الأجانب لئلا تعرّض نفسها للفتنة بطريق مباشر أو غير مباشر. وأمرها بالقرار في البيت وعدم الخروج منه إلاّ لحاجة مباحة مع لزوم الأدب الشرعي، وقد سمّى الله مكث المرأة في بيتها قراراً، وهذا المعنى من أسمى المعاني الرفيعة ففيه استقرار لنفسها وراحة لقلبها وانشراح لصدرها. فخروجها عن هذا القرار يفضي إلى اضطراب نفسها، وقلق قلبها، وضيق صدرها، وتعريضها لما لا تُحمد عقباه.

ونهى الإسلام عن الخلوة بالمرأة الأجنبية على الإطلاق إلا مع ذي محرم، وعن السفر إلا مع ذي محرم سداً لذريعة الفساد وإغلاقاً لباب الإثم وحسماً لأسباب الشر وحماية للنوعين من مكايد الشيطان، ولهذا صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»**.

وصح عنه ﷺ أنه قال: **«اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»** وقد يتعلق بعض دعاة الاختلاط ببعض ظواهر النصوص الشرعية التي لا يدرك مغزاها ومرماها إلا من نوَّر الله قلبه، وتفقه في دين الله وضم الأدلة الشرعية بعضها إلى بعض، وكانت في تصوره وحدة لا يتجزأ بعضها عن بعض. ومن ذلك خروج بعض النساء مع الرسول ﷺ في بعض الغزوات، والجواب عن ذلك أن خروجهن كان مع محارمهن لمصالح كثيرة لا يترتب عليه ما يخشى عليهن من الفساد لإيمانهن وتقواهن وإشراف محارمهن عليهن وعنايتهم بالحجاب بعد نزول آيته بخلاف حال الكثير من نساء العصر، ومعلوم أن خروج المرأة من بيتها إلى العمل يختلف تماماً عن الحالة التي خرجن بها مع الرسول ﷺ في الغزو فقياس هذه على تلك يعتبر قياساً مع الفارق.

وأيضاً فما الذي فهمه السلف الصالح حول هذا؟ وهم لا شك أدرى بمعاني النصوص من غيرهم وأقرب إلى التطبيق العملي بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما هو الذي نقل عنهم على مدار الزمن؟ هل وسعوا الدائرة كما ينادي دعاة الاختلاط؟ فنقلوا ما ورد في ذلك إلى أن تعمل المرأة في كل ميدان من ميادين الحياة مع الرجال تزاحمهم ويزاحمونها وتختلط معهم ويختلطون معها. أم أنهم فهموا أن

تلك قضايا معينة لا تتعداها إلى غيرها.

وإذا استعرضنا الفتوحات الإسلامية والغزوات على مدار التاريخ لم نجد هذه الظاهرة، أما ما يدعى في هذا العصر من إدخالها كجندي يحمل السلاح ويقاتل كالرجل فهو لا يتعدى أن يكون وسيلة لإفساد وتذويب أخلاق الجيوش باسم الترفيه عن الجنود لأن طبيعة الرجل إذا التقت مع طبيعة المرأة كان منهما عند الخلوة ما يكون بين كل رجل وامرأة من الميل والأنس والاستراحة إلى الحديث والكلام، وبعض الشيء يجر إلى بعض وإغلاق باب الفتنة أحكم وأحزم وأبعد من الندامة في المستقبل.

فالإسلام حريص جداً على جلب المصالح ودرء المفاسد وغلق الأبواب المؤدية إليها، ولاختلاط المرأة مع الرجل في ميدان العمل تأثير كبير في انحطاط الأمة وفساد مجتمعاتها كما سبق. لأن المعروف تاريخياً عن الحضارات القديمة الرومانية واليونانية ونحوهما أن من أعظم أسباب الانحطاط والانهيار الواقع بها هو خروج المرأة من ميدانها الخاص إلى ميدان الرجال ومزاحمتهم، مما أدى إلى فساد أخلاق الرجال وتركهم لما يدفع بأمتهم إلى الرقي المادي والمعنوي، وانشغال المرأة خارج البيت يؤدي إلى بطالة الرجل وخسران الأمة بانحلال الأسرة وانهيار صرحها وفساد أخلاق الأولاد، ويؤدي إلى الوقوع في مخالفة ما أخبر الله به في كتابه من قوامة الرجل على المرأة.

وقد حرص الإسلام أن يبعد المرأة عن جميع ما يخالف طبيعتها، فمنعها من تولي الولاية العامة كرئاسة الدولة والقضاء وجميع ما فيه مسؤوليات عامة لقوله ﷺ: **«لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة»** رواه البخاري في صحيحه. ففتح الباب لها بأن تنزل إلى ميدان الرجال يعتبر مخالفاً لما يريده الإسلام من سعادتها واستقرارها. فالإسلام يمنع تجنيد المرأة في غير ميدانها الأصيل. وقد ثبت من التجارب المختلفة وخاصة في المجتمع المختلط أن الرجل والمرأة لا يتساويان فطرياً ولا طبيعياً فضلاً عما ورد في الكتاب والسنة واضحاً جلياً في اختلاف الطبيعتين والواجبين، والذين ينادون بمساواة الجنس اللطيف ـ المنشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ـ بالرجال يجهلون أو يتجاهلون الفوارق الأساسية بينهما.

لقد ذكرنا من الأدلة الشرعية والواقع الملموس ما يدل على تحريم الاختلاط واشتراك المرأة في أعمال الرجال مما فيه كفاية ومقنع لطالب الحق، ولكن نظراً إلى أن بعض الناس قد يستفيدون من كلمات رجال الغرب والشرق أكثر مما يستفيدون من كلام الله وكلام رسوله ﷺ وكلام علماء المسلمين رأينا أن ننقل لهم ما يتضمن اعتراف رجال الغرب والشرق بمضار الاختلاط ومفاسده لعلهم يقتنعون بذلك، ويعلمون أن ما جاء به دينهم العظيم من منع الاختلاط هو عين الكرامة والصيانة للنساء وحمايتهن من وسائل الإضرار بهن والانتهاك لأعراضهن.

قالت الكاتبة الإنجليزية اللادي كوك: إن الاختلاط يألفه الرجال ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وههنا البلاء العظيم على المرأة. إلى أن قالت: علِّموهن الابتعاد عن الرجال أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد.

وقال شوبنهور الألماني: قل هو الخلل العظيم في ترتيب أحوالنا الذي دعا المرأة لمشاركة الرجل في علو مجده، وباذخ رفعته وسهَّل عليها التعالي في مطامعها الدنيئة حتى أفسدت المدنية الحديثة بقوى سلطانها ودنيء آرائها.

وقال اللورد بيرون: لو تفكرت أيها المطالع فيما كانت عليه المرأة في عهد قدماء اليونان لوجدتها في حالة مصطنعة مخالفة للطبيعة ولرأيت معي وجوب إشغار المرأة بالأعمال المنزلية مع تحسن غذائها وملبسها فيه، وضرورة حجبها عن الاختلاط بالغير .اهـ.

وقال ساموئيل سمايلس الإنجليزي: إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد، إن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية، لأنه هاجم هيكل المنزل وقوَّض أركان الأسرة ومزَّق الروابط الاجتماعية، فإنه يسلب الزوجة من زوجها والأولاد من أقاربهم صار بنوع خاص لا نتيجة له إلا تسفيل أخلاق المرأة، إن وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات، مثل ترتيب مسكنها، وتربية أولادها والاقتصاد في وسائل معيشتها، مع القيام بالاحتياجات البيتية ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات، بحيث أصبحت المنازل غير منازل، وأصبحت الأولاد تشب على عدم التربية وتلقى في زوايا الإهمال،

وانطفأت المحبة الزوجية، وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة، والقرينة المحبة للرجل وصارت زميلته في العمل والمشاق، وباتت معرضة للتأثيرات التي تمحو غالباً التواضع الفكري والأخلاقي الذي عليه مدار حفظ الفضيلة.

وقالت الدكتورة ايدايلين: إن سبب الأزمات العائلية في أمريكا وسر كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق، ثم قالت: إن التجارب أثبتت أن عودة المرأة إلى الحريم هو الطريق الوحيد لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذي يسير فيه.

وقال أحد أعضاء الكونجرس الأمريكي: إن المرأة تستطيع أن تخدم الدولة حقاً إذا بقيت في البيت الذي هو كيان الأسرة.

وقال عضو آخر: إن الله عندما منح المرأة ميزة إنجاب الأولاد لم يطلب منها أن تتركهم لتعمل في الخارج بل جعل مهمتها البقاء في المنزل لرعاية هؤلاء الأطفال.

وقال شوبنهور الألماني أيضاً: أتركوا للمرأة حريتها المطلقة كاملة بدون رقيب ثم قابلوني بعد عام لتروا النتيجة ولا تنسوا أنكم سترثون معي الفضيلة والعفة والأدب. وإذا مت فقولوا أخطأ أو أصاب كبد الحقيقة، ذكر هذه النقول كلها الدكتور مصطفى حسني السباعي رحمه الله في كتابه المرأة بين الفقه والقانون.

ولو أردنا أن نستقصي ما قاله منصفوا الغرب في مضار الاختلاط الذي هو نتيجة نزول المرأة إلى ميدان أعمال الرجال لطال بنا المقال ولكن الإشارة المفيدة تكفي عن طول العبارة.

والخلاصة أن استقرار المرأة في بيتها والقيام بما يجب عليها من تدبيره بعد القيام بأمور دينها هو الأمر الذي يناسب طبيعتها وفطرتها وكيانها، وفيه صلاحها وصلاح المجتمع وصلاح الناشئة فإن كان عندها فضل ففي الإمكان تشغيلها في الميادين النسائية كالتعليم للنساء، والتطبيب والتمريض لهن ونحو ذلك مما يكون من الأعمال النسائية في ميادين النساء كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وفيها شغل لهن شاغل، وتعاون مع الرجال في أعمال المجتمع وأسباب رقيه كل من جهة اختصاصه، ولا ننسى هنا دور أمهات المؤمنين، رضي الله عنهن ومن سار في

سبيلهن وما قمن به من تعليم للأمة وتوجيه وإرشاد وتبليغ عن الله سبحانه، وعن رسوله ﷺ فجزاهن الله عن ذلك خيراً وأكثر في المسلمين اليوم أمثالهن مع الحجاب والصيانة والبعد عن مخالطة الرجال في ميدان أعمالهم، والله المسؤول أن يبصر الجميع بواجبهم، وأن يعينهم على أدائه على الوجه الذي يرضيه، وأن يقي الجميع وسائل الفتنة وعوامل الفساد ومكايد الشيطان إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

* * *

حكم الاختلاط في التعليم[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد اطلعت على ما نشرته جريدة (السياسة) الصادرة يوم ١٤٠٤/٦/٢٤هـ بعددها ٥٦٤٤ منسوباً إلى مدير جامعة صنعاء د .عبد العزيز المقالح الذي زعم فيه أن المطالبة بعزل الطالبات عن الطلاب مخالفة للشريعة، وقد استدل على جواز الاختلاط بأن المسلمين من عهد الرسول ﷺ كانوا يؤدون الصلاة في مسجد واحد الرجل والمرأة وقال: (ولذلك فإن التعليم لا بد أن يكون في مكان واحد) وقد استغربت صدور هذا الكلام من مدير لجامعة إسلامية في بلد إسلامي يطلب منه أن يوجه شعبه من الرجال والنساء إلى ما فيه السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

ولا شك أن هذا الكلام فيه جناية عظيمة على الشريعة الإسلامية، لأن الشريعة لم تدع إلى الاختلاط حتى تكون المطالبة بمنعه مخالفة لها بل هي تمنعه وتشدد في ذلك كما قال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

---

(١) لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٣].

وفي هذه الآيات الكريمات الدلالة الظاهرة على شرعية لزوم النساء لبيوتهن حذراً من الفتنة بهن إلا من حاجة تدعو إلى الخروج، ثم حذَّرهن سبحانه من التبرج تبرج الجاهلية وهو إظهار محاسنهن ومفاتنهن بين الرجال، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» متفق عليه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه وخرجه مسلم في صحيحه عن أسامة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهما جميعاً، وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**» ولقد صدق رسول الله ﷺ، فإن الفتنة بهن عظيمة ولا سيما في هذا العصر الذي خلع فيه أكثرهن الحجاب وتبرجن فيه تبرج الجاهلية وكثرت بسببه الفواحش والمنكرات وعزوف الكثير من الشباب والفتيات عما شرع الله من الزواج في كثير من البلاد، وقد بين الله سبحانه أن الحجاب أطهر لقلوب الجميع فدل ذلك على أن زواله أقرب إلى نجاسة قلوب الجميع وانحرافهم عن طريق الحق، ومعلوم أن جلوس الطالبة مع الطالب في كرسي الدراسة من أعظم أسباب الفتنة، ومن أسباب ترك الحجاب الذي شرعه الله للمؤمنات ونهاهن عن أن يبدين زينتهن لغير مَنْ بيَّنهم الله سبحانه في الآية السابقة من سورة النور، ومن زعم أن الأمر بالحجاب خاص بأمهات المؤمنين فقد أبعد النجعة وخالف الأدلة الكثيرة الدالة على التعميم وخالف قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

فإنه لا يجوز أن يقال إن الحجاب أطهر لقلوب أمهات المؤمنين ورجال الصحابة رضي الله عنهم دون من بعدهم ولا شك أن من بعدهم أحوج إلى الحجاب من أمهات المؤمنين ورجال الصحابة لما بينهم من الفرق العظيم في قوة الإيمان والبصيرة بالحق، فإن الصحابة رضي الله عنهم رجالاً ونساء ومنهن أمهات المؤمنين هم خير الناس بعد الأنبياء وأفضل القرون بنص الرسول ﷺ في الصحيحين، فإذا كان الحجاب أطهر لقلوبهم فمن بعدهم أحوج إلى هذه الطهارة وأشد افتقاراً إليها ممن قبلهم، ولأن النصوص الواردة في الكتاب والسنة لا يجوز أن يخص بها أحد من الأمة إلا بدليل صحيح يدل على التخصيص فهي عامة

لجميع الأمة في عهده ﷺ وبعده إلى يوم القيامة، لأنه سبحانه بعث رسوله ﷺ إلى الثقلين في عصره وبعده إلى يوم القيامة كما قال عز وجل: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴿٢٨﴾﴾ [النور: ٢٨].

وهكذا القرآن الكريم لم ينزل لأهل عصر النبي ﷺ وإنما أنزل لهم ولمن بعدهم ممن يبلغه كتاب الله كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢]. وقال عز وجل: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ الآية [الأنعام: ١٩].

وكان النساء في عهد النبي ﷺ لا يختلطن بالرجال لا في المساجد ولا في الأسواق، الاختلاط الذي ينهى عنه المصلحون اليوم ويرشد القرآن والسنة وعلماء الأمة إلى التحذير منه حذراً من فتنته، بل كان النساء في مسجده ﷺ يصلين خلف الرجال في صفوف متأخرة عن الرجال وكان يقول ﷺ: «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها. وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**» رواه مسلم.

حذراً من افتتنان آخر صفوف الرجال بأول صفوف النساء وكان الرجال في عهده ﷺ يؤمرون بالتريث في الانصراف حتى يمضي النساء ويخرجن من المسجد لئلا يختلط بهن الرجال في أبواب المساجد، مع ما هم عليه جميعاً رجالاً ونساء من الإيمان والتقوى، فكيف بحال من بعدهم وكانت النساء ينهين أن يتوسطن الطريق ويؤمرون بلزوم حافات الطريق حذراً من الاحتكاك بالرجال والفتنة بمماسة بعضهم بعضاً عند السير في الطريق، وأمر الله سبحانه نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن حتى يغطين بها زينتهن حذراً من الفتنة بهن، ونهاهن سبحانه عن إبداء زينتهن لغير من سمى الله سبحانه في كتابه العظيم حسماً لأسباب الفتنة وترغيباً في أسباب العفة والبعد عن مظاهر الفساد والاختلاط، فكيف يسوغ لمدير جامعة صنعاء هداه الله وألهمه رشده بعد هذا كله أن يدعو إلى الاختلاط، ويزعم أن الإسلام دعا إليه وأن الحرم الجامعي كالمسجد، وأن ساعات الدراسة كساعات الصلاة، ومعلوم أن الفرق عظيم والبون شاسع لمن عقل عن الله أمره ونهيه وعرَّفه حكمته سبحانه في تشريعه لعباده، وما بيَّن في كتابه العظيم من الأحكام في شأن

الرجال والنساء. وكيف يجوز لمؤمن أن يقول إن جلوس الطالبة بحذاء الطالب في كرسي الدراسة مثل جلوسها مع أخواتها في صفوفهن خلف الرجال، هذا لا يقوله من له أدنى مسكة من إيمان وبصيرة يعقل ما يقول، هذا لو سلمنا وجود الحجاب الشرعي فكيف إذا كان جلوسها مع الطالب في كرسي الدراسة مع التبرج وإظهار المحاسن والنظرات الفاتنة والأحاديث التي تجر إلى فتنة والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله قال عز وجل: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وأما قوله: (الواقع أن المسلمين منذ عهد الرسول كانوا يؤدون الصلاة في مسجد واحد الرجل والمرأة، ولذلك فإن التعليم لا بد أن يكون في مكان واحد). فالجواب عن ذلك أن يقال هذا صحيح، لكن كان النساء في مؤخرة المساجد في الحجاب والعناية والتحفظ مما يسبب الفتنة، والرجال في مقدم المسجد، فيسمعن المواعظ والخطب ويشاركن في الصلاة ويتعلمن أحكام دينهن مما يسمعن ويشاهدن، وكان النبي ﷺ في يوم العيد يذهب إليهن بعد ما يعظ الرجال فيعظهن ويذكرهن لبعدهن عن سماع خطبته، وهذا كله لا إشكال فيه ولا حرج، وإنما الإشكال في قول مدير جامعة صنعاء، هداه الله وأصلح قلبه وفقهه في دينه (ولذلك فإن التعليم لا بد أن يكون في مكان واحد) فكيف يجوز بالله أن يُشبَّه التعليم في عصرنا بصلاة الرجال في مسجد واحد مع أن الفرق شاسع بين واقع التعليم المعروف اليوم وبين واقع صلاة النساء خلف الرجال في عهده ﷺ، ولهذا دعا المصلحون إلى إفراد النساء عن الرجال في دور التعليم، وأن يكن على حدة، والشباب على حدة حتى يتمكَّن من تلقي العلم من المدرسات بكل راحة من غير حجاب ولا مشقة، لأن زمن التعليم يطول بخلاف زمن الصلاة، ولأن تلقي العلوم من المدرسات في محل خاص أصون للجميع وأبعد لهن من أسباب الفتنة وأسلم للشباب من الفتنة، ولأن انفراد الشباب في دور التعليم عن الفتيات مع كونه أسلم لهم من الفتنة فهو أقرب إلى عنايتهم بدروسهم وشغلهم بها وحسن الاستماع إلى الأساتذة وتلقي العلوم عنهم بعيدين عن ملاحظة الفتيات والانشغال بهن وتبادل النظرات المسمومة والكلمات الداعية إلى الفجور.

وأما زعمه أصلحه الله أن الدعوة إلى عزل الطالبات عن الطلبة تزمت ومخالف للشريعة فهي دعوى غير مسلَّمة بل ذلك هو عين النصح لله ولعباده

والحيطة لدينه، والعمل بما سبق من الآيات القرآنية والحديثين الشريفين.

ونصيحتي لمدير جامعة صنعاء أن يتقي الله عز وجل وأن يتوب إليه سبحانه مما صدر منه وأن يرجع إلى الصواب والحق، فإن الرجوع إلى ذلك هو عين الفضيلة والدليل على تحري طالب العلم للحق والإنصاف.

والله المسؤول سبحانه أن يهدينا جميعاً سبيل الرشاد وأن يعيذنا وسائر المسلمين من القول عليه بغير علم ومن مضلات الفتن ونزغات الشيطان، كما أسأله سبحانه أن يوفق علماء المسلمين وقادتهم في كل مكان لما فيه صلاح البلاد والعباد في المعاش والمعاد، وأن يهدي الجميع إلى صراطه المستقيم، إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

خطورة تعليم
النساء للأولاد في المرحلة الابتدائية[1]

اطلعت على ما نشرته صحيفة المدينة عدد (٣٨٩٨) وتاريخ ٣٠/٢/١٣٩٧هـ بقلم من سمت نفسها(نوره بنت عبد الله) تحت عنوان (وجهاً لوجه) وخلاصة المقال أن نوره المذكورة ضمها مجلس مع جماعة من النساء بحضرة عميدة كلية التربية بجدة فائزة، ونسبت نورة المذكورة إلى فائزة استغرابها عدم قيام المعلمات بتعليم أولادنا الذكور في المرحلة الابتدائية ولو إلى الصف الخامس، وأيدتها نوره المذكورة للأسباب المنوه عنها في مقالها. وإني مع شكري لفائزة ونوره وزميلاتها على اهتمامهن بموضوع تعليم أولادنا الذكور الصغار وحرصهن على مصلحتهم أرى من واجبي التنبيه على ما في هذا الاقتراح من الأضرار والعواقب الوخيمة، وذلك أن تولي النساء لتعليم الصبيان في المرحلة الابتدائية يفضي إلى اختلاطهن بالمراهقين والبالغين من الأولاد الذكور، لأن بعض الأولاد لا يلتحق بالمرحلة الابتدائية إلا وهو مراهق، وقد يكون بعضهم بالغاً، ولأن الصبي إذا بلغ العشر يعتبر مراهقاً ويميل بطبعه إلى النساء لأن مثله يمكن أن يتزوج ويفعل ما يفعله الرجال.

وهناك أمر آخر وهو أن تعليم النساء للصبيان في المرحلة الابتدائية يفضي إلى الاختلاط، ثم يمتد ذلك إلى المراحل الأخرى فهو فتح لباب الاختلاط في جميع المراحل بلا شك، ومعلوم ما يترتب على اختلاط التعليم من المفاسد الكثيرة والعواقب الوخيمة التي أدركها من فعل هذا النوع من التعليم في البلاد الأخرى، فكل من له أدنى علم بالأدلة الشرعية وبواقع الأمة في هذا العصر من ذوي البصيرة الإسلامية على بنينا وبناتنا يدرك ذلك بلا شك، وأعتقد أن هذا الاقتراح مما ألقاه

---

(١) لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.

الشيطان أو بعض نوابه على لسان فائزة ونوره المذكورتين، وهو بلا شك مما يسر أعداءنا وأعداء الإسلام وما يدعون إليه سرّاً وجهراً.

ولذا فإني أرى أن من الواجب قفل هذا الباب بغاية الإحكام وأن يبقى أولادنا الذكور تحت تعليم الرجال في جميع المراحل. كما يبقى تعليم بناتنا تحت تعليم المعلمات من النساء في جميع المراحل وبذلك نحتاط لديننا وبناتنا ونقطع خط الرجعة على أعدائنا، وحسبنا من المعلمات المحترمات أن يبذلن وسعهن بكل إخلاص وصدق وصبر في تعليم بناتنا، وعلى الرجال أن يقوموا بكل إخلاص وصدق وصبر على تعليم أبنائنا في جميع المراحل. ومن المعلوم أن الرجال أصبر على تعليم البنين وأقوى عليه، وأفرغ له من المعلمات في جميع مراحل التعليم، كما أن من المعلوم أن البنين في المرحلة الابتدائية وما فوقها يهابون المعلم الذكر ويحترمونه ويصغون إلى ما يقول أكثر وأكمل مما لو كان القائم بالتعليم من النساء، مع ما في ذلك كله من تربية البنين في هذه المرحلة على أخلاق الرجال وشهامتهم وصبرهم وقوتهم، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع**» رواه أحمد وأبو داود. وهذا الحديث الشريف يدل على ما ذكرناه من الخطر العظيم في اختلاط البنين والبنات في جميع المراحل. والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وواقع الأمة كثيرة لا نرى ذكرها هنا طلباً للاختصار. وفي علم حكومتنا وفقها الله وعلم معالي وزير المعارف. وعلم سماحة الرئيس العام لتعليم البنات وحكمتهم جميعاً وفقهم الله ما يغني عن البسط في هذا المقام. وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً لكل ما فيه صلاح الأمة ونجاتها وصلاحنا، وصلاح شبابنا وفتياتنا وسعادتهم في الدنيا والآخرة إنه سميع قريب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

أمور منكرة يجب التحذير منها(١)

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على خير خلقه أجمعين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.. أما بعد:

فإن أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده هي نعمة الإسلام والهداية لاتباع شريعة خير الأنام، وذلك لما تضمنته هذه الشريعة من الخير والسعادة في الدنيا والفوز والفلاح والنجاة يوم القيامة لمن تمسك بها وسار على نهجها القويم.

ولا يخفى أن الإسلام قد جاء بالمحافظة على كرامة المرأة وصيانتها ووضعها في المقام اللائق بها وحث على إبعادها عما يشينها أو يخدش كرامتها.. لذلك حرم عليها الخلوة بالأجنبي ونهاها عن السفر بدون محرم، ونهاها عن التبرج الذي ذم الله به الجاهلية لكونه من أسباب الفتنة بالنساء وظهور الفواحش.

كما قال عز وجل: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. والتبرج إظهار المحاسن والمفاتن ونهاها عن الاختلاط بالرجال الأجانب عنها والخضوع بالقول عند مخاطبتهم حسماً لأسباب الفتنة والطمع في فعل الفاحشة كما في قوله سبحانه: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢]. والمرض هنا هو مرض الشهوة. كما أمرها بالحشمة في لباسها، وفرض عليها الحجاب لما في ذلك من الصيانة لها وطهارة قلوب الجميع.. فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٣].

---

(١) لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.

وقد امتثلن رضي الله عنهن لأمر الله ورسوله فبادرن إلى الحجاب، والتستر عن الرجال الأجانب، فقد روى أبو داود بسند حسن عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «لما نزلت هذه الآية خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الألبسة وعليهن أكسية سود يلبسنها».

وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله ﷺ فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها فإذا جاوزناه كشفناه».

وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هي أكمل النساء ديناً وعلماً وخلقاً وأدباً، قال في حقها المصطفى ﷺ: **«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»** والثريد هو اللحم والخبز.

وقد ثبت أن النبي ﷺ لما أمر بإخراج النساء إلى مصلى العيد قلن يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب.. فقال النبي ﷺ: **«لتلبسها أختها من جلبابها»** رواه البخاري ومسلم. فيؤخذ من هذا الحديث أن المعتاد عند نساء الصحابة أن لا تخرج المرأة إلا بجلباب، فلم يأذن لهن رسول الله ﷺ بالخروج بغير جلباب درءاً للفتنة، وحماية لهن من أسباب الفساد، وتطهيراً لقلوب الجميع مع أنهن يعشن في خير القرون ورجاله ونساؤه من أهل الإيمان من أبعد الناس عن التهم والريب.

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات بمروطهن ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد من الغلس».. فدل هذا الحديث على أن الحجاب والتستر كان من عادة نساء الصحابة الذين هم خير القرون وأكرمها على الله عز وجل وأعلاها أخلاقاً وآداباً وأكملها إيماناً وأصلحها عملاً فهم القدوة الصالحة في سلوكهم وأعمالهم لغيرهم ممن يأتي بعدهم.

إذا علم هذا تبين أن ما يفعله بعض نساء هذا الزمان من التبرج بالزينة والتساهل في أمر الحجاب وإبراز محاسنهن للأجانب وخروجهن للأسواق متجملات متعطرات أمر مخالف للأدلة الشرعية ولما عليه السلف الصالح، وأنه

منكر يجب على ولاة الأمر من الأمراء والعلماء ورجال الحسبة تغييره وعدم إقراره كل على حسب طاقته ومقدرته وما يملكه من الوسائل والأسباب التي تؤدي إلى منع هذا المنكر، وحمل النساء على التحجب والتستر، وأن يلبسن لباس الحشمة والوقار، وأن لا يزاحمن الرجال في الأسواق.

ومن الأمور المنكرة التي استحدثها الناس في هذا الزمان وضع منصة للعروس بين النساء يجلس إليها زوجها بحضرة النساء السافرات المتبرجات، وربما حضر معه غيره من أقاربه أو أقاربها من الرجال.

ولا يخفى على ذوي الفطرة السليمة والغيرة الدينية ما في هذا العمل من الفساد الكبير، وتمكن الرجال الأجانب من مشاهدة النساء الفاتنات المتبرجات، وما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة، فالواجب منع ذلك والقضاء عليه حسماً لأسباب الفتنة وصيانة للمجتمعات النسائية مما يخالف الشرع المطهر.

وإني أنصح جميع إخواني المسلمين في هذه البلاد وغيرها بأن يتقوا الله ويلتزموا شرعه في كل شيء، وأن يحذروا كل ما حرم الله عليهم، وأن يبتعدوا عن أسباب الشر والفساد في الأعراض وغيرها التماساً لرضى الله سبحانه وتعالى وتجنباً لأسباب سخطه وعقابه.

وأسأل الله الكريم أن يمن علينا وعلى جميع المسلمين باتباع كتابه الكريم، والتمسك بهدي نبيه ﷺ وأن يعصمنا من مضلات الفتن واتباع شهوات النفوس، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه إنه خير مسؤول.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

* * *

دور المرأة
في
إصلاح المجتمع[1]

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالىٰ بالهدى ودين الحقّ، فبلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإنه يسرني أن أحضر لأعبر عما في نفسي في هذا الموضوع الخطير، وهو «دور المرأة في إصلاح المجتمع».

فأقول مستعيناً بالله عز وجل، طالباً منه التوفيق للصواب والسداد.

إن دور المرأة في إصلاح المجتمع دور له أهميته الكبرى، وذلك لأن إصلاح المجتمع يكون على نوعين:

النوع الأول: الإصلاح الظاهر:

وهو الذي يكون في الأسواق، وفي المساجد، وفي غيرها من الأمور الظاهرة، وهذا يغلب فيه جانب الرجال لأنهم هم أهل البروز والظهور.

النوع الثاني: إصلاح المجتمع فيما وراء الجدر:

وهو الذي يكون في البيوت، وغالب مهمته موكول إلى النساء؛ لأن المرأة هي ربة البيت، كما قال الله سبحانه وتعالى موجهاً الخطاب والأمر إلى نساء

---

(١) لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالىٰ.

النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أهمية دور المرأة في إصلاح المجتمع

نظن بعد ذلك أنه لا ضير علينا إن قلنا: إن إصلاح نصف المجتمع أو أكثر يكون منوطاً بالمرأة، وذلك لسببين:

السبب الأول:

أن النساء كالرجال عدداً، إن لم يكنَّ أكثر، أعني أن ذرية آدم أكثرهم من النساء، كما دلت على ذلك السنة النبوية، ولكنها تختلف من بلد إلى بلدٍ ومن زمن إلى زمن، فقد تكون النساء في بلدٍ ما أكثر من الرجال، وقد يكون العكس في بلد آخر، كما أن النساء قد يكنَّ أكثر من الرجال في زمن، والعكس في زمن آخر.

وعلى كل حال فإن للمرأة دوراً كبيراً في إصلاح المجتمع.

السبب الثاني:

أن نشأة الأجيال أول ما تنشأ إنما تكون في أحضان النساء، وبه يتبين أهمية ما يجب على المرأة في إصلاح المجتمع.

مقومات إصلاح المرأة في المجتمع

لكي تتحق أهمية المرأة في إصلاح المجتمع، لا بد للمرأة من مؤهلات أو مقومات لتقوم بمهمتها في الإصلاح.. وإليكم جانباً من هذه المقومات:

المقوم الأول: صلاح المرأة:

أن تكون المرأة نفسها صالحة؛ لتكون أسوة حسنة، وقدوة طيبة لبنات جنسها؛ ولكنْ كيف تصل المرأة إلى الصلاح؟ لتعلم كل امرأة أنها لن تصل إلى الصلاح إلا بالعلم، وما أعنيه هو العلم الشرعي الذي تتلقاه؛ إما من بطون الكتب - إن أمكنها ذلك - وإما من أفواه العلماء، سواء أكان هؤلاء العلماء من الرجال أو من النساء.

وفي عصرنا هذا يسهل كثيراً أن تتلقى المرأة العلم من أفواه العلماء، وذلك بواسطة الأشرطة المسجلة، فإن هذه الأشرطة ـ ولله الحمد ـ لها دور كبير في توجيه المجتمع إلى ما فيه الخير والصلاح؛ إذا استعملت في ذلك.

إذن فلا بد لصلاح المرأة من العلم، لأنه لا صلاح إلا بالعلم.

المقوم الثاني: البيان والفصاحة:

أي أن يمن الله عليها ـ أي على المرأة ـ بالبيان والفصاحة؛ بحيث يكون عندها طلاقة لسان وتعبير بيان تعبر به عمّا في ضميرها تعبيراً صادقاً، يكشف ما في قلبها وما في نفسها من المعاني، التي قد تكون عند كثير من الناس، ولكن يعجز أن يعبر عنها، أو قد يعبر عنها بعبارات غير واضحة وغير بليغة؛ وحينئذٍ لا يحصل المقصود الذي في نفس المتكلم من إصلاح الخلق.

وبناء على ذلك نسأل: ما الذي يوصل إلى هذا؛ أي يوصل إلى البين والفصاحة والتعبير عما في النفس بعبارة صادقة كاشفة عما في الضمير؟.

نقول: الطريق إلى ذلك هو أن يكون عند المرأة شيء من العلوم العربية: نحوها، وصرفها، وبلاغتها؛ وحينئذٍ لا بد أن يكون للمرأة دروس في ذلك ولو قليلة، بحيث تعبر عمّا في نفسها تعبيراً صحيحاً تستطيع به أن توصل المعنى إلى أفئدة النساء اللاتي تخاطبهنّ.

المقوم الثالث: الحكمة:

أي أن يكون لدى المرأة حكمة في الدعوة، وفي إيصال العلم إلى من تخاطب، وحكمة في وضع الشيء في موضعه، كما قال أهل العلم، وهي من نعمة الله سبحانه وتعالى على العبد؛ أن يؤتيه الله الحكمة. قال الله عز وجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وما أكثر ما يفوت المقصود ويحصل الخلل؛ إذا لم تكن هناك حكمة! فمن الحكمة في الدعوة إلى الله عز وجل أن ينزل المخاطب المنزلة اللائقة به، فإذا كان جاهلاً عومل المعاملة التي تناسب حاله، وإذا كان عالماً؛ ولكن عنده شيء من التفريط والإهمال والغفلة عومل بما تقتضيه حاله، وإذا كان عالماً؛ ولكن عنده شيء من الاستكبار وردّ الحق عومل بما تقتضيه حاله.

فالناس ـ إذن ـ على درجات ثلاث: جاهل، وعالم متكاسل، وعالم معاند، ولا يمكن أن نسوي كل واحد بالآخر؛ وعالم معاند، ولا يمكن أن نسوي كل واحد بالآخر؛ بل لا بد أن نُنْزِل كل إنسان منزلته، ولهذا لما أرسل النبيّ ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له: **«إنك تأتي قوماً أهل كتاب»**، وإنما قال له النبي ﷺ ذلك، ليعرف معاذ حالهم كي يستعد لهم بما تقتضيه هذه الحال ويخاطبهم بما تقتضيه هذه الحال أيضاً.

أمثلة على استعمال الحكمة في دعوته ﷺ:

ويدل على استعمال الحكمة في الدعوة إلى الله وقائع وقعت ممن هو أحكم الخلق في الدعوة إلى الله، ألا وهو النبي محمد ﷺ، ولنضرب لذلك أمثلة:

المثال الأول: الأعرابي الذي بال في المسجد:

أخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن أعرابياً دخل المسجد ثم جعل يبول، فأخذت الصحابة الغيرة، فنَهَوه وصاحوا به؛ ولكن النبيّ ﷺ الذي أوتي الحكمة في الدعوة إلى الله عز وجل، قال: **«لا تزرموه»** أي لا تقطعوا عليه بوله، فلما قضى الأعراب بوله أمر النبي ﷺ أن يُصب عليه ـ أي على البول ـ ذنوب من ماء ـ أي دلوْ من ماء ـ ثم دعا الأعرابي وقال له: **«إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذى ـ أو من القذر ـ وإنما هي للصلاة، وقراءة القرآن، وذكر الله عز وجل»** أو كما قال ﷺ.

وقد روى الإمام أحمد رحمه الله، أن هذا الأعرابي قال: «اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً».

ونأخذ من هذه القصة العبر التالية:

العبرة الأولى:

أن الصحابة رضي الله عنهم أخذتهم الغيرة، وصاحوا بهذا الأعرابي، فيؤخذ من ذلك أنه لا يجوز الإقرار على المنكر، بل الواجب المبادرة بالإنكار على فاعل المنكر، ولكن إذا كانت المبادرة تؤدي إلى أمر أكبر ضرراً، فإن الواجب التأني، حتى تزول هذه المفسدة الكبرى، ولهذا نهاهم النبيّ ﷺ، بل زجرهم عن أن ينهوا الأعرابي ويصيحوا به.

العبرة الثانية:

أن النبيّ ﷺ أقر منكراً لدفع ما هو أنكر منه، فالمنكر الذي أقره هو استمرار هذا الأعرابي في التبول، والمنكر الذي دفعه بهذا الإقرار هو أن هذا الأعرابي لو قام لا يخلو من أمرين:

إما أن يقوم مكشوف العورة لئلا تتلوث ثيابه بالبول، وحينئذٍ يتلوث منه المسجد بقدر أكبر، ويبدو الرجل للناس هو كاشف عورته وهاتان مفسدتان.

وإذا لم يقم على هذا الوجه؛ فإنه سوف يستر عورته، ولكنْ تتلوث ثيابه بما يصيبها من البول، فمن أجل هاتين المفسدتين أقره النبيّ ﷺ على استكمال البول، على أنه أيضاً قد حصلت المفسدة بالبول في المسجد من أول الأمر، فإذا قام؛ فإن هذه المفسدة التي حصلت لن تختفي، فنأخذ من هذه النقطة عبرة، وهي أن المنكر إذا كان لا يئول إلا إلى شيء أنكر منه، فإن الواجب الإمساك دفعاً لكبرىٰ المفسدتين بصغراهما.

ولهذا أصل في كتاب الله، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

كلنا يعلم أن سب آلهة المشركين من الأمور المحبوبة لله عز وجل، ولكن لما كان سب هذه الآلهة يؤدي إلى سب من ليس أهلاً للسبّ، وهو الرب عز وجل؛ فقد نهانا الله سبحانه عن سب آلهتهم في الآية السابقة.

العبرة الثالثة:

أن النبي ﷺ، بادر بإزالة المفسدة، لأن التأخير له آفات، إذ كان من الممكن أن يؤخر النبيّ ﷺ تطهير هذه البقعة من المسجد، حتى يحتاج الناس إلى الصلاة فيها، فتطهر من أجل ذلك؛ ولكن من الأولىٰ أن يبادر الإنسان إلى إزالة المفسدة حتى لا يعتريه فيما بعد عجز أو نسيان؛ وهذه نقطة هامة جدّاً، وهي أن يبادر الإنسان بإزالة المفسدة، خوفاً من العجز عن إزالتها في المستقبل، أو نسيانه. فمثلاً: لو أصابت الثوب نجاسة وهو ثوب يصلي فيه، أو لا يصلي فيه فالأولىٰ أن يبادر بغسل هذه النجاسة. وألا يؤخره؛ لأنه ربما ينسىٰ في المستقبل، أو يعجز عن إزالتها إما لفقد الماء، أو لغير ذلك.

ولهذا لما جيء إلى النبيّ بصبي أقعده في حجره، فبال الصبي في حجر النبيّ ﷺ، فأمر ﷺ بماء فأتبع البول مباشرة، ولم يؤخر غسل ثوبه إلى وقت الصلاة لما ذكرنا آنفاً.

العبرة الرابعة:

أن النبي ﷺ أخبر الأعرابي بشأن هذه المساجد، وأنها إنما بينت للصلاة، وقراءة القرآن، وذكر الله، أو كما قال ﷺ لا يصلح فيها شيء من الأذى والقذر.

إذن فشأن المساجد: أن تعظم، وأن تنظف، وأن تطهر، وألا يعمل فيها إلا ما يرضي الله تعالىٰ، من الصلاة، وقراءة القرآن، وذكر الله عز وجل ونحو ذلك.

العبرة الخامسة:

أن الإنسان إذا دعا غيره بالحكمة واللطف واللين، حصل من المطلوب ما هو أكبر مما لو أراد معالجة الشيء بالعنف، وقد اقتنع هذا الأعرابي اقتناعاً تاماً بما علّمه النبيّ ﷺ، حتى إنه قال هذه الكلمة المشهورة: (اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً).

فنجد هنا أن النبيّ ﷺ استعمل مع هذا الرجل جانب اللين والرفق؛ لأنه جاهل بلا شك، إذ لا يمكن لعالم بحرمة المسجد، ووجوب تعظيمه أن يقوم أمام الناس ليبول في جانب منه.

المثال الثاني: الصحابي الذي جامع زوجته في نهار رمضان:

أخرج البخاري: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبيّ ﷺ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكتُ. قال: «**ما أهلكك؟**» قال: وقعت على امرأتي في رمضان وأنا صائم ـ وهذا جرم عظيم أن يتعمد الإنسان جماع زوجته وهو صائم في رمضان، ولكنْ لننظر كيف عامله النبي ﷺ؟ هل زجره؟ هل تكلم عليه؟ هل وبّخه؟ لا. لأن الرجل جاء تائباً نادماً، وليس معرضاً مستهتراً غير مبالٍ بما جرى منه. فسأله النبي ﷺ: هل يجد رقبة ليعتقها كفارة عما وقع منه؟ فقال: لا.

فسأله: هل يستطيع أن يصوم شهرين متتابعين؟ فقال: لا. فسأله: هل يستطيع أن يطعم ستين مسكيناً؟ فقال: لا. ثم جلس الرجل فأُتي النبي ﷺ بتمر،

فقال: «**خذ هذا فتصدّق به**» يعني كفارة. فقال: أعَلَى أفقر مني يا رسول، والله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر مني فضحك النبيّ ﷺ، حتى بدت نواجذه، ثم قال: «**أطعمه أهلك**».

فنجد في هذه القصة عبراً منها: أنه لم يعنف الرجل، ولم يزجره، ولم يوبخه، لأنه جاء تائباً نادماً، وهناك فرق بين رجل معاند، ورجل مسالم، جاء يستنجد بنا ويطلب منا أن نخلصه مما وقع فيه، لذلك عامله النبي ﷺ بهذه المعاملة، حيث رده إلى أهله ومعه الغنيمة التي حملها من رسول الله ﷺ، وهي هذا التمر الذي كان مفروضاً عليه أن يطعمه ستين مسكيناً، لو لم يكن فقيراً.

المثال الثالث: الرجل الذي عطس في الصلاة:

نأخذ هذا المثال من حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه، حين دخل مع النبيّ ﷺ وهو يصلي فعطس رجل من القوم فقال: الحمد لله. فقال له معاوية: يرحمك الله. فرماه الناس بأبصارهم، يعني استنكاراً لقوله فقال: واثكل أميّاه، فجعلوا يضربون على أفخاذهم يسكتونه فسكت، فلما انصرف النبيّ ﷺ من الصلاة، دعاه وقال له: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التكبير، وقراءة القرآن**». أو كما قال ﷺ.

قال معاوية: فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً أحسن تعليماً منه، والله ما كهرني، ولا نهرني.

المثال الرابع: الرجل الذي لبس خاتماً من ذهب:

نأخذ هذا المثال من قصة الرجل الذي عليه خاتم من ذهب، وكان النبي ﷺ قد بيّن أن الذهب حرام على ذكور هذه الأمة. فقال النبي ﷺ: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيضعها في يده**». ثم نزع النبيّ ﷺ الخاتم بنفسه، ورمى به فلما انصرف النبيّ ﷺ قيل للرجل: خذ خاتمك وانتفع به، فقال: والله لا آخذ خاتماً طرحه النبيّ ﷺ.

نرى في معاملة النبيّ ﷺ لهذا الرجل، شيئاً من الشدة، إذ الظاهر أن هذا الرجل كان قد بلغه الخبر بأن الذهب حرام على ذكور هذه الأمة فلهذا عامله النبي ﷺ هذه المعاملة التي هي أشد من معاملة من ذكرنا سابقاً.

إذن لا بد أن يكون الداعية مُنْزِلاً لكل إنسان منزلته بحسب ما تقتضيه الحال: فهناك جاهل لا يدري، وهناك عالم ولكنْ عنده فتور وكسل، وهناك عالم ولكنه معاند ومستكبر، فيجب أن ينزل كل واحد من هؤلاء المنزلة اللائقة به.

المقوم الرابع: حسن التربية:

أي أن تكون المرأة حسنة التربية لأولادها؛ لأن أولادها هم رجال المستقبل، ونساء المستقبل، وأول ما ينشئون يقابلون هذه الأم؛ فإذا كانت الأم على جانب من الأخلاق، وحسن المعاملة، وظهروا على يديها وتربوا عليها، فإنهم سوف يكون لهم أثر كبير في إصلاح المجتمع.

لذلك يجب على المرأة ذات الأولاد أن تعتني بأولادها، وأن تهتم بتربيتهم، وأن تستعين إذا عجزت عن إصلاحهم وحدها، بأبيهم أو بولي أمرهم، إذا لم يكن لهم أب من إخوة، أو أعمام، أو بني أخوة، أو غير ذلك.

ولا ينبغي للمرأة أن تستسلم للواقع، وتقول: سار الناس على هذا فلا أستطيع أن أغيِّر؛ لأننا لو بقينا هكذا مستسلمين للواقع ما تم الإصلاح إذ أن الإصلاح لا بد أن يغير ما فسد إلى وجه صالح، ولا بد أن يغير الصالح إلى ما هو أصلح حتى تستقيم الأمور.

ثم إن التسليم للواقع أمر غير وارد في الشريعة الإسلامية، ولهذا لما بعث النبيّ ﷺ في أمة مشركة يعبد أفرادها الأصنام، ويقطعون الأرحام، ويظلمون ويبغون على الناس بغير حق، لم يستسلم للأمر الواقع، بل قال سبحانه له: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: ٩٤].

فأمره سبحانه أن يصدع بالحق، وأن يعرض عن المشركين، ويتناسى شركهم وعدوانهم حتى يتم له الأمر، وهذا هو الذي حصل، نعم قد يقول قائل: إن من الحكمة أن نغير، لكنْ ليس بالسرعة التي نريدها؛ لأن المجتمع على خلاف ما نريد من الإصلاح. فحينئذٍ لا بد أن ينتقل الإنسان بالناس لإصلاحهم من الأهم إلى ما دونه، أي يبدأ بإصلاح الأهم والأكثر إلحاحاً، ثم ينتقل بالناس شيئاً فشيئاً حتى يتم له مقصوده.

المقوم الخامس: النشاط في الدعوة:

أي أن يكون للمرأة دور في تثقيف بنات جنسها، وذلك من خلال المجتمع، سواء أكان في المدرسة، أو الجامعة، أو في مرحلة ما بعد الجامعة كالدراسات العليا. كذلك أيضاً من خلال المجتمع فيما بين النساء من الزيارات التي يحصل فيها من الكلمات المفيدة ما يحصل.

ولقد بلغنا ـ ولله الحمد ـ أن لبعض النساء دوراً كبيراً في هذه المسألة، وأنهن قد رتبْنَ جلسات لبنات جنسها في العلوم الشرعية، والعلوم العربية، وهذا لا شك أمر طيب تحمد المرأة عليه، وثوابه باقٍ لها بعد موتها لقول النبيّ ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو به**».

فإذا كانت المرأة ذات نشاط في مجتمعها في نشر الدعوة: من خلال الزيارات، أو من خلال المجتمعات في المدارس أو غيرها، كان لها أثر كبير، ودور واسع في إصلاح المجتمع.

هذا هو ما حضرني الآن بالنسبة لدور المرأة في إصلاح المجتمع، وذكر مقومات هذا الإصلاح.

هذا والله سبحانه أسأل أن يجعلنا هداة مهتدين، وصالحين مصلحين، وأن يهبنا منه رحمته إنه هو الوهاب. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

رسالة إلى كل مسلم ومسلمة(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، وفاوت بين خلقه في ذواتهم وصفاتهم وأعمالهم حكمة وتدبيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وكان الله على كل شيء قديراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه الله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسانٍ وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فقد قال الله عز وجل: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال الله عز وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [النساء: ٣٤].

أيها الناس: إن من هاتين الآيتين الكريمتين يتبين لنا نقص المرأة في عقلها وتدبيرها ففي الآية الأولى: بيان نقصان عقلها وإدراكها وإحاطتها حتى فيما تستشهد عليه ويطلب منها رعايته وضبطه.

وفي الآية الثانية: بيان نقص تدبيرها وتصرفها وأنها محتاجة إلى مسؤول يتولى القيام عليها وهو الرجل لهذا وجب على الرجال رعاية النساء والقيام عليهن لتكميل ما فيهن من نقص ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

---

(١) لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى.

أيها المسلمون: إنه كلما عظم الخطر عظمت المسؤولية وكلما كثرت أسباب الفتنة وجبت قوة الملاحظة وإننا في عصر عظم فيه الخطر وكثرت فيه أسباب الفتنة بما فُتح علينا من زهرة الدنيا واتصالنا بالعالم الخارجي مباشرة أو بواسطة وسائل الإعلام، وبسبب ذلك، وبسبب ضعف كثير من الرجال أو تهاونهم بالقيام بمسؤوليتهم تجاه نسائهم وقع كثير من النساء في شرك هذه الفتنة وهاوية ذلك الخطر حتى أنه لترى المرأة الشابة تخرج من بيتها إلى السوق بألبسة مغرية.. ألبسة جميلة إما قصيرة وإما طويلة ضيقة ليس فيها سوى عباءة قصيرة أو طويلة يفتحها الهواء أحياناً وترفعها هي نفسها عمداً أحياناً، تخرج بخمار تستر به وجهها لكنه أحياناً يكون رقيقاً يصف لون جلد وجهها وأحياناً تشده على وجهها شدّاً قويّاً بحيث تبرز مرتفعات وجهها كأنفها ووجنتيها، تخرج من بيتها لابسة من حلي الذهب ما لبست ثم تكشف عن ذراعيها حتى يبدو الحلي كأنما تقول للناس شاهدوا ما عليّ.

إنها لفتنة كبرى وإنها لمحنة عُظمى، فيا ويل الشباب ويا ويل الشابات إذا غفل العقلاء عن هذا، تخرج من بيتها متطيبة بطيب قوي الرائحة يفتن كل من في قلبه مرض من الرجال، وربما خلع ثياب الحياء وصار يلاحقها ويغازلها، تخرج من بيتها تمشي في السوق مشياً قوياً كما يمشي أقوى الرجال وأشبَهم كأنما تريد أن يعرف الناس قوتها ونشاطها وتمشي كذلك في السوق مع صاحبة لها تمازحها وتضاحكها بصوت مسموع وربما تدافعها بتدافع منظور، تقف على صاحب الدكان تبايعه وقد كشفت عن يديها وربما عن ذراعيها وربما تمازحه أو يمازحها أو يضحك معها، إلى غير ذلك مما يفعله بعض النساء من أسباب الفتنة والخطر العظيم والسلوك الشاذ الخارج عن توجيهات الإسلام وعن طريق أمة الإسلام، يقول الله عز وجل لنساء نبيه ﷺ وهنّ القدوة وهنّ أعف النساء وأكرمهن وأرفعهن قدراً يقول الله لهن: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. ويقول النبي ﷺ: «**لا تمنعوا إماءَ الله مساجدَ الله وبُيوتهن خير لهن**». هكذا يقول النبي ﷺ: «**وبيوتهن خير لهن**». خير لهن من أي شيء؟ خير لهن من مساجد الله فكيف بالخروج إلى الأسواق.

ويقول الله عز وجل: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ

جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠]. فإذا كانت المرأة من العجائز ممنوعة من التبرج بالزينة فكيف تكون الشابة التي هي محل الفتنة!!

ويقول الله عز وجل: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. الخمر ما تغطي به المرأة رأسها فإذا كانت مأمورة بأن تضرب بالخمار على جيبها ليستر ما قد يبدو من رقبتها أو يربو على صدرها فكيف تخالف المرأة المسلمة المؤمنة بالله ورسوله كيف تخالف إلى محاولة إبداء وجهها وهو محل الفتنة ومحل التعلق بها؟

ويقول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. والمراد بذلك صوت الخلخال التي تلبسه برجلها وتخفيه فإذا ضربت برجلها على الأرض سُمع صوته فإذا كانت المرأة منهية أن تفعل ما يُعلم به زينة الرجل المخفاة فكيف بمن تكشف عن ذراعيها حتى تشاهد زينة اليد.

وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن النساء في عهد النبي ﷺ يلبسن ثياباً طويلة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية وكان لباس النساء في عهد الرسول ﷺ من الكف إلى الكعب إذا كن في البيوت أما إذا خرجت المرأة فإنها تلبس ثوباً فضفاضاً يغطي قدميها.

أيها المسلمون: لقد قال النبي ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس** - ويعني بذلك الظلمة من ذوي السلطة الذين يضربون الناس بغير حق أما من يضربون الناس بحق لتقويمهم وتأديبهم فليسوا من هؤلاء، وقد يكون المقصود من الحديث كراهة هذا النوع من السياط أما الصنف الثاني فيقول فيه النبي ﷺ - **ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**».

فوصفهن النبي ﷺ بأنهن كاسيات يعني عليهن كسوة ولكنهن عاريات لأن هذه الكسوة لا تستر إما لقصرها أو خفتها أو ضيقها، مائلات عن طريق الحق، مميلات لغيرهن بما يحصل منهن من الفتنة، رؤوسهن كأسنمة البخث المائلة بما يلففن على الرؤوس من شعورهن أو غيرها حتى تكون كسنام البعير المائل.

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة**» فمنعها النبي ﷺ من حضور المسجد للصلاة لأنها أصابت بخوراً فكيف

بمن تتطيب بما هو أطيب من البخور وأشد جاذبية ثم تخرج إلى الأسواق.

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: **«خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها»** فلماذا كان الأمر كذلك؟ كان الأمر كذلك لأن آخر الصفوف أبعد عن الرجال والاختلاط بهم هذا وهو في العبادة والصلاة فكيف بمن تلي الرجال وتختلط بهم في الأسواق.

أيها المسلمون: هذه توجيهات الله في كتابه وتوجيهات رسول الله ﷺ في سنته: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

هذه أيها المسلمون توجيهات الله ورسولَه لأهل الإسلام فماذا كان طريقهم حين وجهوا إلى ذلك، قالت أم سلمة رضي الله عنها: «لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها»، هكذا كانت نساء الصحابة رضي الله عنهن إذا أمر الله ورسوله بأمر بادرن إليه امتثالاً لأمر الله ورسوله، أفلا يجدر بنا أيها المسلمون أن نأخذ بهذه التوجيهات الإسلامية وأن نعتبر بطريق السلف الصالح أفلا نتقي الله عز وجل.. أفلا نتدارك ما وقع فيه كثير من النساء من مخالفة طريق السلف الصالح ونلزمهن بالسلوك السليم والصراط المستقيم حتى يكون مجتمعنا مجتمعاً إسلامياً في رجاله ونسائه.. في عبادته وأخلاقه.

أيها المسلمون: إننا الآن نخطب أمامكم لأنكم الرجال المسؤولون عن النساء فاتقوا الله عز وجل.. اتقوا الله في أنفسكم.. أعدّوا جواباً يكون صواباً إذا وقفتم بين يدي الله.. لاحظوا نساءكم، لا تدعوهن يخرجن كما شئن ولا يخرجن متى شئن.. لاحظوهن فإنهن والله ناقصات عقل ودين، كل أحدٍ يمكن أن يجترهن بما يبدي من الكلام المعسول الذي فيه السم إنه جدير بنا أن نلزمهن البيوت وألا يخرجن إلى الأسواق إلا للحاجة التي لا بد منها، إنهن سيجدن هذا ثقيلاً عليهن في أول الأمر لكنهن إذا ألفن ذلك خف عليهن وصرن ذوات الخدور وربات الحياء.

أيها المسلمون: إن علينا أن نتفطن لهذا.. إن علينا أن نذكر دائماً قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

إن علينا أن نتذكر قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

اللهم إنا نسألك في مقامنا هذا أن توفقنا رجالاً ونساءاً للتقوى والقول السديد، اللهم أصلح لنا أعمالنا.. اللهم اغفر لنا ذنوبنا اللهم اجعلنا ممن أطاعك وأطاع رسولك.. اللهم اجعلنا ممن أحسن الرعاية في أهله وفيمن ولاهم الله عليه إنك جواد كريم.

اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، وأشكره وقد تأذن بالزيادة لمن شكر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولو كره من أشرك به وكفر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد البشر صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه خير صحب ومعشر وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى واعلموا أن الله حملكم الأمانة في أهليكم فقوموا بما يجب عليكم من رعاية ولاحظوا ملاحظة دقيقة فإن الواجب على الإنسان أن يلاحظ أهله أكثر مما يلاحظ ماله لأن أهله أشد حرمة من ماله فاتقوا الله عباد الله.

أيها الناس: إنه قد كثر السؤال عما يسمى «بالكاب» وهو اللباس الذي تلبسه المرأة بدلاً عن العباءة والحقيقة أن هذا اللباس لا يكون ساتراً كما تستر العباءة إنه يبدي حجم الكتفين ويبدي حجم الرقبة ويبدي حجم الرأس ويبدي حجم اليدين، والذراعين، والعضدين، وإنه مع ذلك يعتبر مرحلة انتقال لما هو شر منه كما جرت به العادة.

إن الناس يتدرجون في الأشياء شيئاً فشيئاً حتى يصلوا إلى ما وصل إليه من يتبرجون تبرجاً ظاهراً لا إشكال في تحريمه.

وأرى أن تمنعوا نساءكم منه لأنه سوف يكون درجة انتقال إلى ما هو أسوأ منه وأنتم تشاهدون الأمور تتدرج شيئاً فشيئاً وتنحدر إلى الهاوية، يكون الشيء مستنكراً مستغرباً أول ما يحدث ثم يكون أمراً عادياً لا ينكر ثم ينتقل إلى ما هو أسوأ منه حتى يُستنكر أول ما يقع ثم يكون بالتدريج أمراً عادياً لا يُنكرُ وهكذا حتى يصل الناس إلى الهاوي، ولو كنا نتدرج إلى ما هو أفضل وإلى ما هو أقرب إلى الحياء والستر لكنا لا نعارض في هذا لكنه بلا شك سوف يكون هذا سُلماً لما أسوأ منه.

إنني أكرر عليكم أيها الرجال أن تمنعوا نساءكم من هذا اللباس وأن يبقين على ما كن يعتدنه من اللباس، لباس العباءة الذي هو أقرب إلى الحياء والحشمة.

أيها المسلمون: لا تتهاونوا في هذه الأمور لا تغضوا أبصاركم عنها أحرصوا عليها.. لاحظوها ملاحظة دقيقة قبل أن يسير بكم السير سيراً أهوج لا تستطيعون أن توقفوه.

أيها المسلمون: إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، فعليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار، واعلموا أن الله أمركم أن تصلّوا وتسلموا على نبيكم ﷺ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

أكثروا من الصلاة والسلام على نبيكم فإن من صلى عليه مرة واحدة صلى الله عليه بها عشراً، اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك محمد، اللهم ارزقنا محبته واتباعه ظاهراً وباطناً.. اللهم توفنا على ملته.. اللهم احشرنا في زمرته.. اللهم اسقنا من حوضه.. اللهم أدخلنا في شفاعته.. اللهم اجمعنا به في جنات النعيم مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين..

اللهم ارض عن خلفائه الراشدين: أبي بكر.. وعمر.. وعثمان.. وعلي

أفضل أتباع المرسلين.. اللهم ارض عن الصحابة أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.. اللهم ارض عنا معهم وأصلح أحوالنا كما أصلحت أحوالهم يا رب العالمين اللهم أصلح ولاة أمور المسلمين صغيرهم وكبيرهم يا رب العالمين..

اللهم هيء لهم بطانة صالحة تدلهم على الخير وتحثهم عليه وتبين لهم الشر وتحذرهم منه يا رب العالمين، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقادمنا وانصرنا على القوم الكافرين.

* * *

تفسير قوله تعالى:
﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ . . . ﴾[1]

قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢].

الخضوع: بمعنى التطامن والذلّ والخنوع، فالمعنى: لا تتطامنَّ ولا تذللن ولا تخنعن لأحد من الرِّجال بالقول أي لا يكون قولكنَّ لأحد من الرِّجال رقيقاً وضيعاً هشّاً لأن المرأة فتنة فإذا خضعت بالقول دبَّ الشَّيطانُ بينها وبين الرَّجل الَّذي تخاطبه مهما كان بالإنسان من شرفٍ ونزاهةٍ فإن المرأة إذا خاطبته بقولٍ خاضعٍ فإنها قد تغريه ولهذا قال النَّبي ﷺ: **«ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودين أذهب للبِّ الرَّجل الحازم من إحداكن»** أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري. الرجل الحازم: الفطن الكيِّس لا أحد يذهب لبّه وعقله مثل المرأة.

وفي قوله: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ دليل على أنه يجب على المرأة أن تكون عند مخاطبة الرجال أبعد ما تكون من الخضوع بالقول ولين اللفظ وظرافته لأن الخضوع واللين والظرافة تؤدي إلى هذا الخطر العظيم وهو قوله: ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ يطمع في المرأة إما بفعل الفاحشة أو التمتع والتلذذ بخطابها فإن الإنسان الذي في قلبه مرض إذا خضعت له المرأة بالقول فإنه يستمر معها في مخاطبتها حتى يغريه الشيطان وربَّما يجعل بعد ذلك موعداً للقاء وفاحشة كما يحصل لكثير من السفهاء حيث يفتح أحدهم الهاتف على أي رقم يكون فإذا خاطبته امرأة بدأ معها بالكلام اللين الخاضع حتى يغريه الشيطان بها ويغريها به ولهذا قال تعالى: ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ أي الذي في قلبه مرض الشهوة والتمتع لا مرض النفاق لأن بعض المنافقين لا يكون في نفوسهم هذا الشيء

---

(١) لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى.

وبعض المؤمنين قد يكون في قلوبهم هذا الشيء، فالمراد بالمرض هنا مرض التَّمتُّع والتَّلذُّذ بصوت المرأة.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ قلن فعل أمر. فنهاهنَّ سبحانه وتعالى عن الخضوع بالقول وأمرهنَّ أن يقلن قولاً معروفاً لئلا يظن ظان أن المرأة لا تخاطب الرَّجل مطلقاً وليس كذلك بل المرأة مخاطبتها للرِّجال جائزة لكن بالقول المعروف ومن غير خضوع.

والمراد بالمعروف هو ما ليس بمنكر وليس المعروف هو ما تعرف عليه النَّاس لاختلاف الأعراف فيوجد مثلاً من النِّساء من تخاطب الرجل وتمازحه كما يوجد الآن مع الأسف في كثير من بلاد المسلمين المرأة مع الرَّجل تجدها تقعد معه وتضاحكه وتمزح معه والعياذ بالله وهذا لا شكَّ أنَّه حرام وأنه دعوة إلى الفجور.

فالمراد بالمعروف ما عرفه الشَّرع وأقرَّه من الكلام الذي هو بعيد عن التمتع بالقول والتلذذ به.

فوائد من الآية الكريمة:

١ ـ الميزة والخصيصة لنساء النبي ﷺ في قوله: «**لستن كأحد من النساء**» لأنهنَّ تحت رسول الله ﷺ الذي هو أطيب الطيبين من الخلق وقد قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾.

٢ ـ أن الإنسان قد يشرف بشرف من اتصل به وهذه تؤخذ من شرف أمَّهات المؤمنين باتصالهنَّ بالرَّسول ﷺ ولهذا حث الرسول ﷺ على الجليس الصالح في قوله: «**مثل الجليس الصالح كحامل المسك إما أن يبيعك وإمَّا أن يحذيك وإمَّا أن تجد منه رائحة طيبة**»، وحذَّر من جليس السوء لأن الإنسان بلا شك يشرف بشرف من اتصل به ويذل بذل من اتصل به.

٣ ـ وجوب التقوى حتى على زوجات الرسول لقوله: ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾.

٤ ـ تحريم خضوع المرأة للرجال لقوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ وإن قال قائل: إن الحكم خاص بزوجات النبي ﷺ فقوله مردود لأنه إذا كان نساء الرسول ﷺ وهنَّ أطهر النساء وأبعدهن عن الفتنة منهيَّات عن الخضوع بالقول معلِّلاً ذلك النَّهي

بخوف طمع من في قلبه مرض فإن الحكم يدور مع علّته وجوداً وعدماً فإذا كان هذا في النّساء الطّاهرات والمبرءات كان في غيرهنّ أولىٰ، وإذا كانت العلّة خوف طمع من في قلبه مرض فهذه العلّة لا تختص بزوجات النبي ﷺ وعلى هذا فيحرم خضوع المرأة بالقول لأيّ أحد من الناس اللهم إلا لمحارمها مع أمن الفتنة أيضاً أمّا مع خوف الفتنة فلا يجوز الخضوع حتى مع المحارم لأنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وربّما مع الخضوع بالقول تحصل الفتنة ولا سيما المحارم بالرضاع والمصاهرة لأن نفور الطبيعة عن المحارم بالرضاع والمصاهرة أقل من نفورها عن المحارم بالنسب والقرابة وهذا أمر مشاهد ولهذا يجب التحرز من المحارم بالرّضاع والمصاهرة أكثر من المحارم بالنسب.

٥ ـ ومن فوائد الآية الكريمة أنه لا بأس بمخاطبة المرأة للرجال لكن بالمعروف يؤخذ من قوله: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

٦ ـ أن صوت المرأة ليس بعورة خلافاً لمن قال إنه عورة من أهل العلم، والصواب أنه ليس بعورة ولهذا كان النساء يأتين إلى الرسول وحوله أصحابه فيخاطبنه ولا ينهاهن عن ذلك ولو كان صوت المرأة عورة لنهاهنّ النبي ﷺ عن الكلام مع حضور الرّجال.

٧ ـ أنه يجب على الإنسان أن يتتبع ما جاء به الشرع في أقواله وأفعاله لقوله: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

٨ ـ أن فتنة النساء مرض في القلب يحتاج الإنسان فيه إلى معالجة لقوله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ وهذا المرض مرض فتّاك مرض في القلب كمرض السرطان في البدن إذا لم يتدارك الله عبده بعفوه وتوفيقه فإنّه يهلك، ولهذا قال ﷺ: **«ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»** أخرجه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد. فالواجب الحذر من هذا الأمر.

٩ ـ أن من جعل الله قلبه صحيحاً فإن المرأة لا تغريه بما تفعله من أسباب الفتنة، لكن مع ذلك لو كان الإنسان صحيح القلب ثم أحسّ بنفسه شيئاً من الفتنة فالواجب عليه البعد، لا يقُل إنني صحيح القلب بحمد الله ولا يهمني هذا الأمر، فإن الإنسان قد يرى نفسه متحصناً بحصن التّقوى ولكن الشيطان يخدعه عند مواضع الفتن.

١٠ ـ أن للوسائل أحكام المقاصد فوسائل الحرام حرام لقوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ فجعل الخضوع بالقول منهيّاً عنه لكونه وسيلة لطمع من في قلبه مرض.

نسأل الله أن يطهر قلوبنا ويعافيها من أمراضها.

* * *

تكريم المرأة في الإسلام[1]

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

لقد كرم الإسلام المرأة بأن جعلها مربية الأجيال، وربط صلاح المجتمع بصلاحها، وفساده بفسادها، لأنها تقوم بعمل عظيم في بيتها، ألا وهو تربية الأولاد الذين يتكوَّن منهم المجتمع، ومن المجتمع تتكون الدولة المسلمة.

وبلغ من تكريم الإسلام للمرأة أن خصص لها سورة من القرآن سماها «سورة النساء» ولم يخصص للرجال سورة لهم، فدل ذلك على اهتمام الإسلام بالمرأة، ولا سيما الأم، فقد أوصى الله تعالى بها بعد عبادته فقال عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقد حملها الرسول ﷺ أمانة تربية الأولاد فقال مكرماً لها: «...**والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها**». [متفق عليه].

ومن أراد الزيادة عن تكريم الإسلام، للمرأة، فليقرأ الكتاب.

والله أسأل أن ينفع به القراء، ويجعله خالصاً لله تعالى.

المرأة عند العرب في الجاهلية

١ ـ لم يكن للمرأة حق الإرث، وكانوا يقولون في ذلك: لا يرثنا إلا من يحمل السيف، ويحمي البيضة.

٢ ـ لم يكن للمرأة على زوجها أي حق، وليس للطلاق عدد محدود، وليس

(١) لفضيلة الشيخ محمد بن جميل زينو حفظه الله تعالى.

لتعدد الزوجات عدد معين، وكانوا إذا مات الرجل، وله زوجة وأولاد من غيرها، كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره، فهو يعتبرها إرثاً كبقية أموال أبيه!

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان الرجل إذا مات أبوه، أو حموه، فهو أحق بامرأته إن شاء أمسكها، أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها، أو تموت فيذهب بمالها». [الصداق: المهر].

٣ ـ وقد كانت العدة في الجاهلية حولاً كاملاً، وكانت المرأة تحد على زوجها شرّ حِداد وأقبحه، فتلبس شر ملابسها، وتسكن شر الغرف، وتترك الزينة والتطيب والطهارة، فلا تمس ماء، ولا تقلم ظفراً، ولا تزيل شعراً، ولا تبدو للناس في مجتمعهم، فإذا انتهى العام خرجت بأقبح منظر، وأنتن رائحة.

٤ ـ كان العرب في الجاهلية يُكرهون إماءهم على الزنا، ويأخذون أجورهم: حتى نزل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣].

٥ ـ وكان عند العرب في الجاهلية أنواع من الزواج الفاسد الذي يوجد عند كثير من الشعوب، ولا يزال بعضه إلى اليوم في البلاد الهمجية:

أ ـ فمنها اشتراك الرهط من الرجال في الدخول على امرأة واحد، وإعطائها حق الولد تلحقه بمن شاءت منهم.

ب ـ ومنها نكاح الاستبضاع: وهو أن يأخذ الرجل لزوجه أن تمكن من نفسها رجلاً معيناً من الرؤساء المتصفين بالشجاعة، ليكون لها ولد مثله!

جـ ـ ومنها نكاح المتعة: وهو المؤقت، وقد استقر أمر الشريعة على تحريمه، ويبيحه فِرَق الشيعة الإمامية.

د ـ ومنها نكاح الشغار: وهو أن يُزوِّج الرجل امرأة: بنته، أو أخته، أو مَن هي تحت ولايته على أن يُزوجه أخرى بغير مهر، صداقُ كل واحد بُضعُ الأُخرى.

وهذان النوعان مبنيان على قاعدة اعتبار المرأة ملكاً للرجل يتصرف فيها كما يتصرف في أمواله وبهائمه.

ولا يزالان موجودين عند بعض الشعوب الهمجية كالغجر!! وأما المرتقون

من العرب كقريش، فكان نكاحهم هو الذي عليه المسلمون اليوم من الخطبة، والمهر، والعقد، وهو الذي أقره الإسلام، مع إبطال بعض العادات الظالمة، للنساء فيه من استبداد في تزويجهن كرهاً، أو عَضلهن ـ أي منعهن من الزواج ـ أو أكل مهورهن، إلى غير ذلك.

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«كنا في الجاهلية لا نعُد النساء شيئاً، فلما جاء الإسلام، وذكرهن الله رأينا لهن بذلك علينا حقّاً». [رواه البخاري].

وأد البنات في الجاهلية

كان العرب في الجاهلية يكرهون البنات، ويدفنونهن في التراب أحياء خشية العار، وقد أنكر الإسلام هذه العادة، وصورها القرآن في أبشع صورة، فقال عن العرب في الجاهلية: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ۝٥٩﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

وقد بالغ الله سبحانه وتعالى في الإنكار عليهم في دفن البنات، فقال: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ۝٩﴾ [التكوير: ٨، ٩].

تكريم المرأة في الإسلام

١ ـ لم يعتبر الإسلام المرأة مكروهة، أو مهانة، كما كانت في الجاهلية، ولكنه قرر حقيقة تزيل هذا الهوان عنها: وهي أن المرأة قسيمة الرجل لها ما له من الحقوق، وعليها أيضاً من الواجبات ما يلائم تكوينها وفطرتها، وعلى الرجل بما اختص به من الرجولة، وقوة الجلد، وبسطة اليد، واتساع الحيلة، والصبر على التعب والمكاره، أن يلي رياستها، فهو بذلك وليها يحوطها، ويذود عنها بدمه، وينفق عليها من كسب يده.

٢ ـ ومن مظاهر تكريم المرأة في الإسلام أن سواها بالرجل في أهلية الوجوب والأداء، وأثبت لها حقها في التصرف، ومباشرة جميع الحقوق كحق البيع، وحق الشراء، وحق الدائن، وحق التملك، وغيرها.

٣ ـ وقد كرم الإسلام المرأة، وذلك حينما أخبر الله تعالى في القرآن بأن الله خلقنا من ذكر وأنثى، وجعل ميزان التفاضل العمل الصالح والتقوى فقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

٤ ـ ومن مظاهر تكريم المرأة في الإسلام الاهتمام بتعليمها: عن أبي سعيد الخدري: قالت النساء للنبي ﷺ: «غلَبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن، وأمرهن، فكان مما قال لهن: **«ما منكن تُقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار**، فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: **واثنين**» أخرجه البخاري.

ومعنى تُقدّم: تحتسب وترضى بموت أولادها.

٥ ـ ومن مظاهر تكريم الله للمرأة أن ذكرها بجانب الرجل قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

سورة النساء تكريم للمرأة

لم يذكر الله تعالى في كتابه سورة الرجال، بل ذكر سورة النساء، وهذا دليل على تكريم المرأة، وقد تحدثت السورة عن أمور هامة تتعلق بالمرأة والأسرة والدولة والمجتمع، وأن معظم السورة تتحدث عن حقوق النساء، فلذلك سميت سورة النساء، والمتأمل لهذه السورة الكريمة يرى فيها تكريماً للمرأة.

١ ـ خلق الله المرأة من ضلع الرجل، وبث منهما الرجال والنساء: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النساء: ١].

وهذه الآية جزء من خطبة الحاجة التي كان الرسول ﷺ يبدأ بها خطبه، وهي مهمة جداً، ولا سيما للمتحدثين، والدعاة والوعاظ.

٢ ـ المحافظة على حقوق اليتامى من النساء:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ [النساء: ٣].

عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ قالت: يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تُشركه في ماله، ويُعجبه مالها وجمالها، فيريد أن يتزوجها بغير أن يُقسط في صَداقها، فيُعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنُهوا أن ينكحوهن إلا أن يُقسطوا إليهن، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق، وأُمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.

قال عروة: قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فيهن، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ قالت عائشة: وقول الله في الآية الأخرى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ رغبة أحدِكم عن يتيمته إذا كانت قليلة المال والجمال، فنُهوا أن ينكحوا مَن رغبوا في مالها وجمالها من النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال. رواه البخاري.

٣ ـ الاقتصار على زوجة واحدة إذا خاف عدم العدل: لقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣].

أي إن خفتم تعدد النساء أن لا تعدلوا، فاقتصروا على واحدة، وهذا تكريم للمرأة.

٤ ـ النساء لهن نصيب من الإرث:

قال الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ [النساء: ٧].

وكان الميراث في الجاهلية للذكور دون الإناث.

٥ ـ التفاوت في الميراث بين الرجل والمرأة:

قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

أي يأمركم الله أن تقسطوا للذكر مثل حصة البنتين، وذلك لأن الرجل هو الذي يُنفق على عياله، وهو الذي يدفع المهر للمرأة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السُدس والثلث، وجعل للزوجة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع. رواه البخاري.

٦ ـ المهر يدفعه الزوج للزوجة حسب الاتفاق: قال الله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةًۭ ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍۢ مِّنْهُ نَفْسًۭا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًۭٔا مَّرِيٓـًۭٔا ﴿٤﴾﴾ [النساء: ٤].

عن ابن عباس: النحلة، المهر، وقيل فريضة مسماه، ولا ينبغي تسمية المهر كذباً بغير حق، وعلى الرجل أن يدفع المهر عن طيب نفس، فإن طابت نفسها عن شيء منه بعد تسميته، فليأكله حلالاً طيباً.

٧ ـ الأمر للأزواج أن يباشروا زوجاتهم بالمعروف:

قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [النساء: ١٩].

أي طيِّبوا أقوالكم وحسّنوا أفعالكم وهيئاتكم حسب قدرتكم لزوجاتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقال الرسول ﷺ: **«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»** [رواه الترمذي وصححه الألباني]

٨ ـ على الزوج أن يحسن إلى زوجته، حتى في حالة كرهها: قال الله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًۭٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًۭا كَثِيرًۭا﴾ [النساء: ١٩].

أي فعسى إن صبرتم على إمساكهن مع الكراهة فيه أن يكون في ذلك خير كثير لكم في الدنيا والآخرة.

قال ابن عباس: هو أن يعطف عليها فيرزق منها ولداً، ويكون فيه خير كثير.

وقال ﷺ: **«لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلقاً رضي الله منها خُلقاً آخر»** [رواه مسلم]

«أي لا يبغضها بغضاً يؤدي إلى تركها».

٩ ـ لا يجوز استرداد المهر بعد المفارقة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴿٢٠﴾﴾ [النساء: ٢٠].

أي إذا أراد أحدكم مفارقة زوجته، والزواج من غيرها، فما له أن يسترد من مهرها شيئاً، ولو كان قنطاراً من المال.

وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١].

روي عن ابن عباس: أن المراد بذلك العقد بين الزوج والزوجة.

وعن ابن عباس أيضاً قال: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

وقال ﷺ في خطبة حجة الوداع: **«استوصوا بالنساء خيراً، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»**. [رواه مسلم]

١٠ ـ ومن مظاهر تكريم المرأة تحريم المحارم من النسب، وما تبعه من الرضاع: قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴿٢٣﴾﴾ [النساء: ٢٣].

فتحريم هؤلاء على الرجال له حِكم عظيمة، وأهداف سامية، تقتضيها الفطرة، فتحريم نكاح الأختين مثلاً يورث العداوة بين الأخوات.

قوامة الرجل للتنظيم لا للاستبداد

قال ﷺ: **«كل نفس من بني آدم سيد، فالرجل سيد أهله، والمرأة سيدة بيتها»**. [صححه الألباني في صحيح الجامع].

١ ـ إن قوامة الرجل على المرأة قاعدة تنظيمية تستلزمها هندسة المجتمع،

واستقرار الأوضاع في الحياة الدنيا، فهي تشبه قوامة الرؤساء وأولي الأمر، فإنها ضرورة يستلزمها المجتمع الإسلامي والبشري، ويأثم المسلم بالخروج عليها مهما يكن من فضله على الخليفة المسلم في العلم، أو في الدنيا، إلا أن طبيعة الرجل تؤهله لأن يكون هو القيم، فالرجل أقوى من المرأة وأجد منها في خوض معركة الحياة، وتحمل مسؤولياتها، فالمشاريع الكبيرة يديرها الرجال، والمعارك الحربية يقودها الرجال، ورئاسة الدولة العليا يضطلع بها الرجال، وهكذا ترى الأمور الهامة يفوق فيها الرجال غالباً، ويندر أن تفلح امرأة إلا أن يكون من ورائها رجل يساعدها.

٢ ـ إن النطاق الذي تشمله قوامة الرجال، لا يمس كيان المرأة ولا كرامتها، وهذا هو السر في أن الله تعالى لم يقل: «الرجال سادة على النساء» ليفيد بأنهم يقومون بالنفقة عليهن والذب عنهن؛ وشأن القوامين أنهم يصلحون ويعدلون، لا أنهم يستبدون ويتسلطون.

الرجال قوامون على النساء

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤].

قال ابن كثير في تفسير الآية: الرجل رئيس المرأة وكبيرها والحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجت، لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، وكذلك الملك الأعظم لقول الرسول ﷺ: **«لن يُفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة»**. [رواه البخاري]

وكذا منصب القضاء وغير ذلك.

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ أي من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهن لهن في كتابه وسنة نبيه ﷺ، ولما كان الرجل أفضل من المرأة ناسب أن يكون قيّماً عليها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وعليها أن تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته: أن تكون محسنة لأهله، حافظة لماله.

فالصالحات من النساء قانتات مطيعات لأزواجهن، تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله.

علاج المرأة العاصية لزوجها

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

أي والنساء اللاتي تتخوفون أن ينشزن على أزواجهن، والمرأة الناشزة: المترفعة على زوجها، الناكرة لأمره، المعرضة عنه، المبغضة له، فمتى ظهر له منها أمارات النشوز، فليعظها، وليخوفها عقاب الله في عصيانه، فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته، وحرم عليها معصيته، لما له عليها من الفضل والإفضال، وقد قال رسول الله ﷺ: **«لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»** [صحيح رواه الترمذي].

وقال ﷺ: **«إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه، لعنتها الملائكة حتى تصبح»** [رواه البخاري].

وقال ﷺ: **«إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح»** [رواه مسلم].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾: قال ابن عباس: الهجر: هو ألا يجامعها ويضاجعها على فراشها، ويوليها ظهره، ولا يكلمها مع ذلك.

وعن ابن عباس: يعظها، فإن هي قبلت، وإلا هجرها في المضجع، ولا يكلمها من غير أن يرد نكاحها، وذلك عليها شديد.

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾: أي إذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران، فلكم أن تضربوهن ضرباً غير مُبرّح، قال الحسن البصري: يعني غير مؤثر.

قال الفقهاء: هو ألا يكسر فيها عضواً، ولا يؤثر فيها شيئاً. وعلى الرجل إذا ضرب زوجته أن يجتنب الوجه لقول رسول الله ﷺ:

أ ـ **«إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته»**. [رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة].

ب ـ «**إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه**». [رواه مسلم].

جـ ـ «**إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا تقل قبح الله وجهك، ووجه مَن أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته**» [حسن رواه أحمد].

٤ ـ وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يُريده منها مما أباحه الله له منها فلا سبيل له عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرانها.

٥ ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾: تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فإن الله العلي الكبير وَليُّهن، وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن.

٦ ـ التحكيم في الصلح أو الفراق: قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء: ٣٥].

بعد أن ذكر حال نفور الزوجة شرع بذكر حال نفور الزوجين، وطلب حكماً ثقة من أهل المرأة، وحَكماً ثقة من أهل الرجل، ليجتمعا، فينظرا في أمرهما، ويفعلا ما فيه المصلحة مما يريانه من التفريق، أو التوفيق.

وتشوف الشارع إلى التوفيق بين الزوجين فقال: ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾.

فينظر الحكمان، فإن كان الرجل هو المسيء، حجبوا عنه امرأته، وقصروه على النفقة، وإن كانت المرأة هي المسيئة قصروها على زوجها ومنعوها نفقة.

هذه بعض مظاهر تكريم المرأة في سورة النساء.

تكريم الإسلام للأم

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

قال ابن عباس: يريد البر، برهما مع اللطف، ولين الجانب، فلا يغلظ لهما في الجواب، ولا يحد النظر إليهما، ولا يرفع صوته عليهما، بل يكون بين يديهما كالعبد بين يدي السيد تذللاً لهما.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

لقد أمر الله تعالى بعبادته وحده في الآيتين، وقرن بعبادته البِرَّ بالوالدين، وهذا يدل على أهمية إكرام الأم والأب، ونهى الأولاد أن يقولوا للوالدين قولاً سيئاً، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء، ولا يجوز للأولاد أن ينهروهما، ويصدر منهم كلام قبيح، بل على الأولاد أن يخاطبوا الوالدين بالرفق واللين، والقول الحسن، ولا سيما الأم.

«جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مَن أحقُّ الناسِ بحسن صحابتي؟ قال: **«أمك»** قال: ثم مَن؟ قال: **«أمك»** قال: ثم مَن؟ قال: **«أمك»** قال: ثم مَن؟ قال: **«أبوك»** [متفق عليه].

فأنت ترى أن الرسول ﷺ أوصى بالأم ثلاث مرات، وهو تكريم للمرأة المسلمة.

حق الزوجة وحق الزوج

١ ـ لقد كرم الإسلام الزوجة، وجعل لها حقوق، ولزوجها عليها حقوق، فهذا رسول الله ﷺ يعلن ذلك في أكبر اجتماع، وذلك حينما خطب الناس في حجة الوداع، وفي عرفات، فكان مما قاله في خطبته: **«فاتقوا الله فى النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطِئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك، فاضربوهن ضرباً غير مُبرِّح** (شديد)، **ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.**

وقد تركت فيكم ما ـ لن تضلوا بعده ـ إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأدَّيت ونصحت.

فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها (يميلها) إلى الناس: **اللهم اشهد (ثلاث مرات)»**. [رواه مسلم].

من فوائد الخطبة العظيمة

١ - فيها الحث على مراعاة حق النساء، والوصية بهن، ومعاشرتهن بالمعروفة، وقد جاءت أحاديث كثيرة تبين حقوق النساء، وتحذر من التقصير في ذلك.

استحلال فروج النساء بالزواج الشرعي، كقول الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣].

٣ - لا يجوز للزوجة إدخال أحد يكرهه الزوج في بيته، سواء كان رجلاً أجنبياً، أو امرأة، أو أحداً من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك كما ذكره النووي.

٤ - يجوز للرجل أن يضرب زوجته - إذا خالفته فيما تقدم - ضرباً ليس بشديد، ولا سيما الابتعاد عن ضرب الوجه، أو تقبيحه، فإنه من خلق الله، ولأن فيه السمع والبصر، وقد يتضرر بالضرب.

٥ - شهادة الصحابة على أن الرسول ﷺ قد بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة.

٦ - فيها الدليل الواضح على عُلو الله على عرشه، حيث رفع الرسول ﷺ أصبعه إلى السماء ليُشهد الله على أنه بلَّغ الرسالة.

وهناك آيات كثيرة، وأحاديث صريحة تثبت أن الله على السماء، وهو قول الأئمة الأربعة وغيرهم، ومن الخطأ قول بعض الناس: إن الله في كل مكان! لأن هناك أماكن نجسة، وقذرة يستحيل أن يكون الله فيها، كالحمامات وغيرها.

وإذا قلنا: إن الله معنا في كل مكان بعلمه يسمعنا ويرانا، فهذا صحيح، لأن الله تعالى يقول لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

الحكمة في خلق الرجل والمرأة

١ - خلق الله الخلائق على اختلافها من الإنس والجن لهدف عظيم، وهو العبادة، ولتحقيق العبودية لله تعالى وحده دون غيره من المخلوقات: قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

٢ ـ وقد خلق الله الناس من ذكر وأنثى، وميَّز كلاً منهما بخصائص تختلف عن غيره في طبيعته، وطاقته، وقدرة تحمله؛ ومن ثم فالمهام الملقاة على أحدهما تختلف على الآخر بشكل متناسب، ومتناسق، فلم يكن ذلك اعتباطاً؛ وإنما على علم ودراية، ذلك هو الخالق سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

٣ ـ فكان من مهمة الرجل طلب العيش والرزق، والبحث عنه، والإنفاق على الزوجة والأسرة، وهذا ما لا تستطيعه المرأة على الوجه الأكمل وكان من مهمة المرأة أن تستقبل ذلك الزوج المتعب من طلب الرزق، فتُذهب عنه العناء، وتمسح عنه التعب، وتكون له راحة وتشجيعاً: قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الروم: ٢٤].

والمرأة وسيلة لإنجاب الأولاد، وتربيتهم التربية الصالحة، في حين يكون الرجل خارج البيت.

٤ ـ ومن هذه المهام ما لا يستطيع الرجل أن يقوم بها على الوجه الأكمل كالغسيل والطبخ، ومنها ما لا يستطيع القيام بها أبداً كالحمل والإرضاع؛ فمثل الرجل والمرأة كمثل الليل والنهار، لكل واحد منهما دوره ومهمته، فالنهار للإبصار والتحرك والعمل والنشاط، فيكون فيه طلب الرزق والكسب من أجل الإنفاق، وهذا ينطبق على الرجل.

وأما الليل فهو للسكن، والهدوء، والنوم، والاستقرار، وهذا ينطبق على المرأة، وقد ذكرت قبل قليل الآية التي تشير إلى هذا العمل.

٥ ـ إذن فالرجل والمرأة لكل واحد منهما دوره في الحياة، فلا يحاول أحد منهما أن يقوم بمهام الآخر، فإن ذلك لن يكون، وإذا حصل فتكون النتائج عكسية وسلبية، إما عليهما، أو على أولادهما، أو على المجتمع، ذلك لأنها تجري على عكس ما فُطرت وجُبلت عليه المرأة، والرجل كذلك، قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

سبب اختلاف الرجل عن المرأة

ومن اختلاف وظيفة الرجل ومهامّه عن وظيفة المرأة ومهامها ترتب اختلاف في الأحكام الشرعية:

١ ـ الشهادة: اشترط الإسلام لهذه المسألة رجلين، فإن لم يكن فرجل وامرأتان كما قال الله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ليس امتهاناً، أو احتقاراً للمرأة، وإنما بحكم فطرتها، قليلة الاهتمام بأمور الجرائم، أو البيع والشراء والمداينات وما سواهما؛ فقد لا تنتبه، أو تنسى بحكم اشتغالها في تربية الأولاد، وتدبير المنزل، وغير ذلك من الأمور المهمة، أضف إليها ما تقوم به من الرضاع وما ينتابها من الحيض والنفاس، وغيرها.

فإن كانت معها واحدة أُخرى تذكرها فيكون ذلك أثبت للحق، وأدفع للظلم، فذلك قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فشهادة المرأة قبلها الإسلام، ولم يرفضها، على أن يصحبها شهادة امرأة ثانية تذكرها إن نسيت، أو لم تنتبه إحقاقاً للحق، ودفعاً للظلم.

٢ ـ الميراث: فقوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]. ليس هدراً لحقوق المرأة، وحاشاه، بل حفاظاً عليه، ذلك أن المرأة أخذت حقها من الميراث، وأخذ الرجل ضعف ما أخذت، لأنه مكلف بالإنفاق عليها، ودفع المهر لها، ودفع النفقة للمعتدة، وهي غير مكلفة بذلك؛ فاختلاف نصيبها في الميراث عن نصيب الرجل إنما هو نتيجة لاختلاف وظيفتها عن وظيفة الرجل، وليس انتقاصاً لحقها، أو كرامتها.

٣ ـ الدية: في القتل غير العمد، فإن من الحكمة أن يفرض الإسلام دية الرجل، ضعف دية المرأة، لأن المقتول حينما يكون رجلاً، فقد خسرت عائلته رجلاً كان ينفق عليها، فتأخذ عائلته الدية ضعف ما إذا خسرت امرأة غير مكلفة بالإنفاق، بل هي يُنفَقُ عليها، فكان اختلاف الدية باختلاف الوظيفة بين الرجل والمرأة.

٤ ـ رئاسة الدولة والإمارة: إن من خصائص رئيس الدولة، أو الأمير في

الإسلام أن يكون إماماً في الصلاة، وقائداً عسكريّاً في الحرب، والمرأة لا تستطيع، ولا يمكنها أن تقوم بمثل هذه المهام لفطرتها التي تغلب عليها العاطفة، ولضعف جسمها، ومرورها في فترات حمل، وطمث وغير ذلك من الظروف التي تمر بها المرأة دون الرجل، فضلاً عن عدم جواز الإمامة في الصلاة لها (لما فيه من الفتنة).

٥ ـ الطلاق: فالزوج الرجل هو الذي يُنفق المال في دفع المهر للزوجة، وهو الذي يدفع النفقة في مدة العدة، وهو بمقتضى رجاحة عقله، ومزاجه، يكون أصبر من المرأة على ما يكره، فلا يسارع إلى الطلاق لأدنى غضب يحصل له؛ ولو كان الطلاق من حق الرجل والمرأة سواء لكثر الطلاق إلى أضعاف، كما حصل في بلاد الإفرنج.

لذلك ومن أجل هذه الأسباب المتقدمة جعل الإسلام الطلاق من حق الرجل وحده.

والطلاق في الحقيقة إنما هو نعمة وتكريم للمرأة المسلمة، حيث يخلصها من حياة نكدة، أو من زوج ظالم، أو لا يعدل، أو لا يقيم أركان الإسلام، أو لدوام شقاق بين الزوجين، رغم تدخل الأقرباء من الطرفين، أو لعدم وجود الحب بين الزوجين، أو غير ذلك من الأسباب التي يتعذر الحياة معها، ولا يكون إلا بالفراق والطلاق، وقد جعل الإسلام الطلاق على مراحل: قال الله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ففي الطلقة الأولى يحق للزوج أن يراجع زوجته، وتعود إليه، وفي المرة الثانية أيضاً، أما في الطلقة الثالثة فتحرم عليه، حتى تتزوج، ثم يطلقها زوجها، فيحق للزوج الأول أن يجدد الزواج بعقد جديد.

حجاب المرأة المسلمة

١ ـ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب: ٥٩].

٢ ـ وتحدث القرآن عن غطاء الرأس للمرأة، فقال بصيغة الأمر: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

٣ ـ وقد نهى عن التبرج بشتى صوره، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

إن نساء الجاهلية كن يلبسن غطاء الرأس ويضربنه على ظهورهن فتظهر أعناقهن، ونحورهن، وآذانهن بالحلي والأقراط، فنهى الله تعالى عن ذلك وأمر المؤمنات بسترها:

وهذه شروط الحجاب:

(١) استيعاب الحجاب لجميع بدن المرأة حتى الوجه.

(٢) ألا يكون الحجاب ضيقاً بحيث يصف ما تحته من سِمَن، وظهور ثدي وغيره.

(٣) ألا يكون رقيقاً، فيصف، أو يشف ما تحته.

(٤) ألا يشبه لباس الكافرات لقول الرسول ﷺ: **«من تشبه بقوم فهو منهم»** [أخرجه أبو داود وصححه الألباني].

(٥) ألا يشبه ملابس الرجال للنهي الوارد عن ذلك في الأحاديث.

(٦) ألا يكون زاهياً، أو ملوناً يجذب الأنظار، وأفضله الأسود.

لباس الرجل والمرأة

قال الرسول ﷺ: **«من جرَّ ثوبه خُيَلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، فقالت أم سلمة: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: يُرخين شبراً، قالت: إذن تنكشِف أقدامُهن، قال: يُرخين ذراعاً، ثم لا يزدن»** [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

يستفاد من الحديث:

١ ـ أن لباس المرأة يجب أن يكون عريضاً وطويلاً يغطي القدمين، بعكس الرجال الذين أمرهم الرسول ﷺ أن يقصروا الثياب إلى نصف الساق، ولا يزيدون على الكعبين لقوله ﷺ: **«ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار»** [رواه البخاري].

وفي عصرنا انعكس الأمر، فأصبح الرجال يطيلون ثيابهم أسفل الكعبين، ويتعرضون لدخول النار، وأصبح النساء يقصرن فوق الكعبين، ويتعرضن بهذا العمل وغيره لحرمانهن من دخول الجنة كما أخبر بذلك الرسول ﷺ بقوله: **«ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسافة كذا وكذا»**. [رواه مسلم].

والمعنى أن المرأة التي تكشف عن ساقها، أو شيئاً من جسمها، أو تلبس الثياب الشفافة، أو تتمايل في مشيتها، وشعرها مرتفع كأنه سَنم جمل لا تدخل الجنة حتى تلقى جزاءها.

٢ ـ إذا كان قدَم المرأة لا يجوز كشفه، فوجهها بالأولى، لأنها تعرف به، وفيه الفتنة أكثر، وسفور المرأة تقليد للكفار والأجانب، وتشبه بهم: وفي الحديث: **«من تشبه بقوم فهو منهم»** [صحيح رواه أبو داود].

وليت المسلمين قلدوا الكفار في المخترعات النافعة كصنع الدبابات والطائرات وغيرها مما يفيد الأمة ولكن كما قال الشاعر:

قلَّدوا الغربيَّ، لكن بالفجور وعن اللُّب استعاروا بالقشور

٣ ـ وتغطية وجه المرأة مستفاد أيضاً من قول الرسول ﷺ: **«لا تنتقب المرأة المحرمة، ولا تلبس القفازين»** [رواه البخاري].

النقاب: هو غطاء الوجه الذي تشده المرأة على وجهها.

ومفهوم الحديث: المرأة غير المحرمة تضع النقاب على وجهها وتلبس القفازين.

الحجاب تكريم وحفظ للمرأة

١ ـ لقد كرم الإسلام المرأة، وفرض عليها الحجاب ليحفظها من الأشرار وأعين الناس، ويحفظ المجتمع من سفورها.

٢ ـ الحجاب يُبقي المودة بين الزوجين، فالرجل عندما يرى امرأةً أجمل من امرأته تسوء العلاقة بينهما، وربما يؤدي ذلك إلى الفراق والطلاق، بسبب هذه المرأة السافرة التي فتنت الزوج، فلم يعد تعجبه زوجته.

٣ ـ المرأة المسلمة في نظر الإسلام أشبه بالجوهرة النفيسة التي يسعى صاحبها لإخفائها وسترها عن أعين الناس.

٤ ـ تقول المستشرقة (فرانسواز ساجان): أيتها المرأة الشرقية، إن الذين ينادون باسمك، ويدعون إلى خلع حجابك ومساواتك بالرجل، إنهم يضحكون عليك، فقد ضحكوا علينا من قبلك.

٥ ـ ويقول (فون هرمر): الحجاب هو وسيلة الاحتفاظ بما يجب للمرأة من الاحترام والمكانة الشيء الذي تغبط عليه.

تعدد الزوجات تكريم للمرأة

١ ـ إن الإسلام الحكيم الذي أباح تعدد الزوجات، هو في مصلحة النساء قبل الرجال، حتى يكفل للبنات والأرامل العيش السعيد في بيوت أزواجهن. بدلاً من أن يكن عالة في بيوت من يعولهن كالأخ والولد، وغيرهما.

٢ ـ إن الدعوة إلى عدم تعدد الزوجات يسبب قلة النسل الذي يسعى إليه أعداء الإسلام لتقليل عددهم، والسيطرة عليهم، كما أنه يسبب كثرة العوانس في البيوت مما يعرضهن للفتنة والفساد والزنا، لأن النساء أكثر عدداً من الرجال حسب الإحصاء، ولا سيما حينما يتعرض الرجال للقتل في المعارك والحروب، ولذلك قامت مظاهرة نسائية في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى يطالبن بتعدد الزوجات.

٣ ـ إن تعدد الزوجات يوافق هذا الزمن، لأن الأمم ينظر إليها بعدد نفوسها، وكلما ازداد عددهم قويت شوكتهم، وبما أن الحروب في فلسطين، والعراق، والبوسنة والهرسك، وكشمير، وأفغانستان وغيرها من البلاد الإسلامية سببت قلة الرجال، وكثرة الأرامل اللواتي فقدن أزواجهن، فإن الإسلام يريد من المسلمين ألا يتركوا هؤلاء للجوع والفتنة والفساد فسمح بتعدد الزوجات.

٤ ـ تقول الزعيمة العالمية (أني بيزانت): متى وزنا الأمور بقسطاس العدل المستقيم ظهر لنا أن تعدد الزوجات الإسلامي أرجح وزنا من البغاء الغربي الذي يسمح أن يتخذ الرجل امرأة لمحض إشباع شهوته، ثم يقذف بها إلى الشارع متى قضى منها أوطاره.

أقول هذه شهادة امرأة كافرة على حسن تعدد الزوجات، والفضل ما شهدت به الأعداء.

المرأة سلاح ذو حدين

١ ـ لقد حاول أعداء الإسلام في كل عصر من العصور إبعاد المسلمين عن دينهم بوسائل متعددة لا تحصى، وكانت إحدى أهم هذه الوسائل المستهدفة هي المرأة المسلمة، لأنها نصف المجتمع، ووليدة النصف الثاني (من الذكور) ومربيه، فبصلاحها يصلح المجتمع، وبفسادها يفسد المجتمع وينحل، فلذلك نرى أنهم وضعوا كل جهودهم وأفكارهم الشيطانية مستخدمين وسائل الإعلام كالتلفاز، والفيديو، والدش وغيرها من الوسائل التي وضعوا فيها أفلاماً خليعة تفسد المرأة المسلمة.

٢ ـ وقد استطاع شياطين الغرب بمساعدة شياطين الشرق إفساد المرأة المسلمة، فسلخوها من حجابها وعفتها وكرامتها، وأدخلوها جميع ميادين العمل، وجعلوا منها دعايات لتصريف منتجاتهم، فأصبحت المرأة المسلمة بعيدة عن دينها وحجابها، ففسدت الأسرة وفسد المجتمع بفسادها، فانحجب نصر الله عن هذه الأمة، ونزل بها سخطه وغضبه، وأصبحنا أذل أمة بعد أن كنا أعز أُمة، وصدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين قال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ولو ابتغينا العزة بغيره أذلناه الله.

٣ ـ وكذلك لا ننسى أن انحراف المرأة، والانحراف بالمرأة كان السبب الأول في أن حضارات قديمة انهارت وتمزقت كل ممزق، ونزل بها العقاب الإلّهي كالأوجاع والأمراض الفتاكة وغيرها كما وقع لليونان، والرومان والفرس والهنود، وبابل وغيرها من الممالك.

٤ ـ أما في عصرنا الحاضر، فلا زلنا نسمع عن البراكين التي هددت سكان إحدى المدن الإيطالية المشهورة بالفساد والدعارة، ونوادي المرأة، وإذا انتقلنا إلى البلاد الإسلامية لرأينا كيف أن غضب الله عز وجل وسخطه قد نزل في هذه البلاد بسبب الفساد والانحلال، وانتشار الزنا والفاحشة؛ فكثرت بسبب ذلك الزلازل والفتن وغيرها من أنواع العذاب والهلاك والحروب المدمرة، ولن يرفع الله عنا العذاب إلا بالتوبة والرجوع إلى الله.

٥ ـ إن المرأة تملك مجموعة من المواهب العظيمة الجديرة بأن تبني أُمة، لو قامت بواجبها في تربية الأولاد الذين يتكون منهم المجتمع، كما أنها تستطيع أن تهدم أُمة إذا فسدت أخلاقها، وتركت الواجبات الملقاة على عاتقها، لذلك قال رسول الله ﷺ: **«إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»**. [رواه مسلم].

وقال ﷺ: **«ما تركت فتنة بعدي في الناس أَضرَّ على الرجال من النساء»** [رواه البخاري].

٦ ـ إن المرأة هي نصف الأمة، ثم هي تلد لنا النصف الآخر، فهي أُمة بأسرها.

فساد المرأة والرجل

لقد تفنن أعداء لإسلام في إفساد المرأة المسلمة بوسائل وأساليب عديدة لا يمكن حصرها، وجميعها مخططة ومدروسة لإفساد المرأة المسلمة وسلخها من دينها وأخلاقها وعفتها، فكانت الأزياء والموديلات المكشوفة إحدى هذه الوسائل الفتاكة، إنهم يعلمون جديّاً ميول المرأة إلى اقتناء الفساتين المكشوفة، والكوفيرات، وأدوات الزينة المتنوعة، لفتنة الرجال في المعامل والمصانع والمتاجر التي دخلتها المرأة باسم العمل والتقدم والرقي والحضارة الزائفة.

فالمرأة حينما تذهب إلى وظيفتها، فلا بُد لها ـ حسب العادة ـ من أنواع الألبسة الجذابة، والموديلات المتعددة، والتسريحات المختلفة، وغيرها من أنواع الزينة التي تتغير وتتبدل، وهذا ما يدفعها لصرف مرتبها الشهري لتظهر بمظهر أنيق وجذاب، علماً بأن أكثر الملابس وأنواع الزينة مستوردة من البلاد الأجنبية الموالية للصهيونية لتمدها بالمال للقضاء على المسلمين، فوقع المسلمون في الخسارة المادية، والخسارة الأخلاقية، والتشبه بالكفرة، وصدق فيهم قول الرسول ﷺ:

«لتركبن سنن مَن كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعً بذراع، حتى لو أن أحدهم دخل جُحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه». [صححه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع].

وقوله ﷺ: **«ما تركت فتنة بعدي أضر على الرجال من النساء»**. [متفق عليه].

مسؤولية المرأة المسلمة

١ ـ لقد كرم الإسلام المرأة، وألزمها بعمل عظيم في بيتها، وهو تربية أولادها التربية الصالحة، فمن يدري؟ فلعل هذا الطفل الذي تربيه يكون له مستقبل عظيم، فقد يكون رئيس دولة، أو قائد جيش، أو أي عمل كبير يتوقف عليه صلاح المجتمع بأكمله، ولهذا قال أحد الحكماء:

إن المرأة التي تهز السرير لطفلها بيمينها، تهز العالم بأسره.

وصدق الشاعر حين قال:

الأُم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيّب الأعراق

فعمل المرأة في بيتها مهم جدّاً إذا قامت بتربية أولادها التربية الصالحة وهو عمل فطري عند المرأة تميل إليه، وتحب القيام به.

٢ ـ تدبير المنزل: المرأة هي سيدة بيتها، فهي مسؤولة عنه، تسعى لتحسينه، وتهيئة جميع الوسائل لجعله مأوى يأوي إليه الزوج فينسى أتعابه، وقد قدم لزوجته ما يحتاج إليه البيت من نفقات متعددة، وأراحها من عناء طلب الرزق الذي لا تستطيعه المرأة.

فالرجل عليه مسؤولية، والمرأة عليها مسؤولية، كل حسب اختصاصه وفطرته وميوله، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيتها»** [متفق عليه].

نتائج عمل المرأة خارج البيت

لقد كان لعمل المرأة خارج بيتها نتائج سيئة على نفسها وأسرتها والمجتمع ومنها:

١ ـ مزاحمة الرجال يومياً في الحافلات والعمل، وقد تتعرض للإرهاق والتعب، والخطورة أحياناً بسبب الازدحام والعمل، فيفقدها بعض أنوثتها وجمالها.

٢ ـ إن عمل المرأة خارج البيت يشغلها عن واجباتها المنزلية، وتربية أولادها، وقد يستاء الرجل من إهمالها، فيضطر إلى طلاقها وفراقها، أو من الزواج من غيرها.

٣ ـ قد يسبب العمل طلاقها، وهدم أسرتها، وتشتيت أولادها بسبب علاقتها مع رجل في العمل، لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

٤ ـ إن عمل المرأة يسبب فراقها لأولادها مما يفقدهم عاطفتها وتربيتها لهم، وقد يسبب انحرافهم وشذوذهم مما يدفعهم إلى الجرائم، كما أوضحت تلك النتائج في المجتمعات الغربية.

٥ ـ ومن النتائج السيئة أن الوظيفة قد تقضي على الطفل:

فهذه موظفة حان وقت دوامها، وولدها مريض، وهو ينادي أُمه: إلى من تتركيني وحدي في البيت؟ ولكن الأم كانت مضطرة للالتحاق بعملها فتركته وهو يقول: أمي، أمي، بصوت خافت؟.

وحينما عادت الأم إلى البيت وجدت ولدها جثة هامدة قد فارق الحياة، وحزنت وبكت على طفلها، وندمت على فعلها حيث لا ينفع الندم، وقالت في نفسها: ما هي الفائدة من هذه الوظيفة، بل ما الفائدة من المال الذي يكون سبباً في موت طفلي، وهو أعز ما يملكه الإنسان.

المرأة سبب البطالة في المجتمعات الغربية

١ ـ لقد دخلت المرأة جميع ميادين العمل في المجتمعات الغربية، فكثرت البطالة في تلك المجتمعات بشكل متفاقم، مما تعسر على علماء الاقتصاد إيجاد حلول لتخفيف حدة البطالة، أو توقيف زيادتها على الأقل، وكان السبب الرئيسي والمباشر للبطالة في تلك المجتمعات هو دخول المرأة جميع ميادين العمل دون استثناء: مزاحمة الرجال في الدوائر الحكومية والشركات، والمصانع، وغيرها من الوظائف.

٢ ـ أن الأزمات الاقتصادية التي أصابت المجتمعات الغربية جعلها تسرح عدداً كبيراً من الموظفين والعمال، وأول ما وقع عليه التسريح هم الرجال، لأن أصحاب الشركات والمصانع والمحلات التجارية وغيرها يفضلون الاحتفاظ بالمرأة على الرجل لما للمرأة من جاذبية وأنوثة وإغراء لجلب الزبائن والحلفاء.

٣ ـ ومن المؤسف أن تحذو البلاد العربية والإسلامية حذو المجتمعات

الغربية فتدخل المرأة ميادين العمل في دوائر الحكومة، حتى المحاماة، وكثيراً ما تدخل في الشركات، والمؤسسات الخاصة والعامة، وحتى المعامل، مما سبب البطالة للرجال الذين عليهم مسؤولية الإنفاق على أسرتهم، وتدهورت الأخلاق، وانتشرت الفاحشة في تلك الأماكن التي اختلط فيها الرجال والنساء، وساءت العلاقة بين الزوج وزوجته نتيجة هذا الاختلاط.

خطر الاختلاط في المدارس

إن اختلاط الرجال بالنساء ولا سيما في المدارس له خطر عظيم على الرجل والمرأة، وعلى الطلاب والطالبات.

١ ـ كانت إحدى كليات الزراعة في بلد عربي إسلامي تجري تجارب لطلابها وطالباتها في المزرعة، فكان أحد الطلاب يذهب بطالبة إلى أماكن الحمامات، ليختلي بها في الحمام بعد أن ترك التجارب الزراعية، وقد رآه حارس الزراعة يدخل الحمام مع زميلته، وهذه السمعة السيئة تؤثر على الطالبة أكثر من الطالب.

٢ ـ كثيراً ما يجتمع المدرسون والمدرسات في غرفة واحدة، ويحصل المزاح، وتبادل الضحكات، فيكون الفساد، وتتغير نفسية الزوج على زوجته، فلم تعد تعجبه، لأنه رأى أجمل منها، وكانت المشاكل بين الزوجين التي تؤدي إلى الطلاق، والسبب في هذا الفراق هذه المدرِّسة السافرة التي جلست مع المدرس فأفسدته.

٣ ـ حتى الأطفال الصغار الذي كانوا يتعلمون عند المعلمة، ثم انتقلوا إلى الصف الذي يعلمهم فيه معلم كانوا يتحدثون لمعلمهم عن مشاكلهم مع المعلمة؛ وأن أحد الطلبة كان ينظر إلى فخذ المعلمة عندما تنحني نحو الأرض.

٤ ـ لقد حمى الله البلاد السعودية من هذا الاختلاط الضار في جميع مراحل التعليم، فكانت الطالبة السعودية أكثر التزاماً بالحجاب والأخلاق من غيرها.

شروط عمل المرأة المسلمة

إن الإسلام الذي كرم المرأة أحسن تكريم، وسمح لها بالعمل النبيل ضمن أسرتها ومجتمعها، حتى تكون عنصراً أساسياً وفعالاً في بناء الأسرة المسلمة

والمجتمع المسلم، والدول المسلمة، فالإسلام لا يمنع عمل المرأة المسلمة منعاً باتاً، بل حدد لها نوعية العمل، مع ما يتناسب وطبيعتها التي فطرها الله عليها، ووضع لعملها شروطاً تحفظ لها كرامتها:

١ ـ ألا تختلط المرأة بالرجال في عملها، فهذا الاختلاط يضر المرأة والرجال.

٢ ـ أن يكون العمل بموافقة الزوج والأب، أو الأخ، أو مَن هو مسائل عنها.

٣ ـ أن يتناسب العمل مع طبيعتها بعيداً عن الإرهاق والتعب الشديد الشاق.

٤ ـ يجب على المرأة أن تعمل في المجالات التي تعود على المجتمع بالنفع والفائدة:

(أ) في مجال التربية والتعليم: لتستطيع أن تعلم البنات بدلاً من تعليم الرجال لهن.

(ب) في مجال الطب والتمريض النسائي: حتى تداوي النساء بدلاً من الأطباء.

(ج) الخياطة النسائية: لكي تخيط لبنات جنسها فلا يذهبن إلى الخياطين من الرجال.

(د) ألا يأخذ عملها جُل وقتها، وأن تعطي شيئاً من وقتها لأداء واجباتها المنزلية، وتلبية رغبات زوجها، والحرص على تربية أولادها.

(هـ) ألا تتزين عند خروجها، ولا تضع المساحيق على وجهها، ولا تتعطر، بل تلبس الجلباب الأسود الطويل العريض، وتغطي الوجه عند ملاقاة الرجال.

كيف تختار المرأة زوجها وكيف يختارها؟

١ ـ لا تنظري إلى المال والجاه والجمال، واختاري صاحب الدين لقول الرسول ﷺ: **«إذا أتاكم من ترضون خُلُقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»**. [حسن رواه الترمذي وغيره].

٢ ـ إذا أحبك الزوج صاحب الدين فسيكون لك عوناً على أمور دينك ودنياك.

٣ ـ إذا لم يحبك فهو على الأقل لا يكرهك، ولا يظلمك ويحتقرك، فهو يعمل بقوله ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً، رضي منها غيره**». [رواه مسلم].

٤ ـ الزوج المتدين يكون لك عوناً على تربية أولادك التربية الإسلامية الصحيحة.

٥ ـ سيكون الإسلام هو المرجع الأساسي لحياتكما ترضيان الحكم به، فيحقق لكما سعادة الدنيا والآخرة.

٦ ـ الزوج المتدين ينصحك إذا أخطأت، ويبين لكِ الصواب، فاقبلي منه.

٧ ـ على الزوج المسلم أن يختار الزوجة الصالحة المتمسكة بالدين، المحجبة التي تحفظ بيتها وأسرتها من الفساد، وتراعي حق الزوج عليها امتثالاً لقول الرسول ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبتْ يداك**» [متفق عليه].

والهدي النبوي يبين للزوجين أن العبرة للعمل لا للشاكل: قال ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**». [رواه مسلم].

حرية المرأة في اختيار الزوج

لقد كرم الإسلام المرأة، وحفظ لها حقها في اختيار الزوج، واحترم إرادتها وهذا الموقف من أدق المواقف في حياتها، وأمسّها بمستقبلها ويتجلى هذا التكريم وهذه الحرية للمرأة فيما يلي:

إذن البنت في الزواج: لقد أعطى الإسلام حق المرأة البكر في اختيار الزوج. عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الجارية يُنكحها أهلها، أتُستأمر أم لا؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «**نعم تستأمر**» فقالت: فقلت له: إنها تستحي، فقال رسول الله ﷺ: «**فذلك إذنها، إذا هي سكتت**». [أخرجه البخاري في النكاح].

١ ـ البكر الصغيرة: يجوز للأب أن يزوج ابنته الصغيرة بدون إذنها، قال الحافظ ابن حجر: «إذ لا معنى لاستئذان من لا تدري ما الإذن؟ ومن يستوي سخطها وسكوتها». [فتح الباري ٩/١٩٣].

والدليل من القرآن قول الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

والأيِّم: الأنثى التي ليس لها زوج صغيرة كانت أو كبيرة.

والدليل من السنة أن أبا بكر زوج عائشة رسول الله ﷺ وهي بنت ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين. [متفق عليه].

٢ ـ المرأة البالغة الثيب: وهي التي تزوجت ثم فارقت زوجها فلا يجوز تزويجها بغير إذنها ورضاها، وإذنها: كلامها.

قال رسول الله ﷺ: **«لا تُنكح الأيِّم: حتى تُستأمر»**. [رواه البخاري].

قال الحافظ ابن حجر: وظاهر الحديث أن الأيِّم: هي الثيِّب التي فارقت زوجها بموت أو طلاق لمقابلتها بالبكر، وهذا هو الأصل. والمعنى: لا يعقد عليها حتى يُطلب الأمر منها: وتأمر بذلك. [فتح الباري ٩/١٩٢].

قال البغوي: فإن زوّجها وليها بغير إذنها فالنكاح مردود. وعن خنساء بنت خدام الأنصارية رضي الله عنها: **«أن أباها زوجها وهي ثيِّب، فكَرهت ذلك، فأتَت** رسول الله ﷺ، فردَّ نكاحها» [أخرجه البخاري].

٣ ـ البكر البالغة: لا يجوز لوليها أن يزوجها حتى يأخذ رأيها، قال رسول الله ﷺ: **«لا تُنكح البكر حتى تُستأذن، ولا الثيب حتى تُستأمر، فقيل له: إن البكر تستحي، فقال: إذنها صماتها** ـ وفي رواية: ـ **البكر: يستأذنها أبوها»**. [رواه البخاري].

وهذا الاستئذان يشمل للأب وغيره، ممن هو ولي عليه. وأيضاً فإن الأب ليس له أن يتصرف في مالها إذا كانت بالغة إلا بإذنها، قال ابن القيم رحمه الله: ومعلوم أن إخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره بغير رضاها. [انظر زاد المعاد جـ ٥/٩٩].

الرسول ﷺ يكرم البنات

لقد أمر الرسول ﷺ الآباء والمربين بحسن صحبة البنات، والعناية بهن، ورغب في الإحسان إليهن، ورحمتهن:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: **«من عال جاريتين حتى تبلُغا جاء يوم القيامة أنا وهو ـ** وضمَّ أصابعه ـ **أي معاً»** [رواه مسلم].

٢ ـ وقال ﷺ: **«من عال جاريتين حتى يُدركا، دخلتُ أنا وهو الجنة كهاتين»**. [رواه مسلم].

٣ ـ وقال ﷺ: **«من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، وأطعمهن، وسقاهن وكساهن من جِدته ـ** (يعني ماله) **ـ كُن له حجاباً من النار»**. [صححه الألباني في صحيح الجامع].

٤ ـ وقال ﷺ: **«من ابتُلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كُن له ستراً من النار»** [متفق عليه].

وقوله ﷺ: (بشيء) يصدق على البنت الواحدة.

٥ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحد تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: **«إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها من النار»**. [متفق عليه].

٦ ـ وقال محمد بن سليمان: البنون نِعم، والبنات حسنات، والله عز وجل يحاسب على النِعم، ويجازي على الحسنات.

القرآن يكرم الإناث

جاء الإسلام يكرم الإناث، وينهى عن كراهية البنات والحزن لولادتهن، وأن هذا التشاؤم من عمل الجاهلية.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ

مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

إن هذا العمل من ضعف الإيمان وزعزعة اليقين، لكونهم لم يرضوا بما قسم الله لهم من الإناث، ومن الغريب أن بعض المسلمين يكرهون ولادة البنات، ويحبون ولادة البنين، كأنهم لم يسمعوا قول الله عز وجل: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

وما سماه الله هبة فهو أولى بالشكر، وبحسن القبول أحرى، قال واثلة بن الأسقع: إن من يُمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ فبدأ بالإناث.

أقول: والأم تستفيد من بنتها في مساعدتها أكثر من البنين ولا سيما في البيت.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رجلاً كان عنده، وله بنات، فتمنى موتُهن، فغضب ابن عمر، فقال: «أنت ترزقهن؟»». [رواه البخاري في الأدب المفرد].

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية رحمه الله: فقسم سبحانه وتعالى حال الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود، وأخبر أن ما قدره بينهما من الولد، فقد وهبهما إياه، وكفى بالعبد تعرضاً لمقته أن يتسخط ما وهبه (الله تعالى) وبدأ سبحانه وتعالى بذكر الإناث، فقيل: جبراً لهن لاستثقال الوالدين لمكانهن، وقيل - وهو أحسن - إنما قدمهن للسياق لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء، لا ما يشاء الأبوان، فإن الأبوين لا يريدان إلا الذكور غالباً، وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق ما يشاء، فبدأ بذكر النصف الذي يشاء، ولا يريده الأبوان.

وعندي وجه آخر: وهو أنه سبحانه قدم ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات، حتى كانوا يئدوهن، أي هذا النوع المؤخر عندكم مقدم عندي على الذكر، وتأمل كيف نكر سبحانه الإناث، وعرَّف الذكور، فجبر نقص الأنوثة بالتقديم وجبر نقص التأخير بالتعريف. [انظر: تحفة المودود بأحكام المولود ص ٢٠ - ٢١].

وقال ابن القيم: وقد قال الله تعالى في حق النساء: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وهكذا البنات أيضاً قد يكون للعبد فيهن خير في الدنيا والآخرة، ويكفي في قبح كراهتهن أن يكره ما رضيه الله، وأعطاه عبده. [انظر: تحفة المودود ص ٢٦].

ولعله من أجل هذا نهى النبي ﷺ عن تهنئة المتزوج بعبارة: (بالرفاء والبنين)، لأن فيها الدعاء له بالبنين دون البنات، فعن الحسن أن عقيل بن أبي طالب تزوج امرأة من جُشم، فدخل عليه القوم، فقالوا: بالرفاء والبنين، فقال: لا تفعلوا فإن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك، قالوا: فما نقول يا أبا زيد؟ قال: قولوا بارك الله لكم، وبارك عليكم، إنا كذلك كنا نؤمر. [رواه أحمد وغيره، وهو قوي بمجموع طرقه]. [وانظر آداب الزفاف للشيخ الألباني ص ١٧٦].

كرامة المرأة المسلمة

لقد بلغ من كرامة المرأة المسلمة أنها كانت تجير الخائف، وتفك الأسير، وهذا يدل على احترام المرأة المسلمة غاية الاحترام:

١ ـ فقد أجارت أم هانىء بنت أبي طالب رجلين من أحمائها كُتب عليهما القتل، قالت رضي الله عنها: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فسلّمتُ عليه، فقال: «**من هذه؟**» فقلت: «**أنا أم هانىء بنت أبي طالب**»، فقال: «**مرحباً بأم هانىء**» فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد، فلما انصرف قلت: «يا رسول الله، زعم ابن أمي علي: أنه قاتلٌ رجلاً قد أجرته فلان بن هبيرة.. فقال رسول الله ﷺ: «**قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانىء**» قالت أم هانىء: وذلك ضحى. [رواه البخاري].

٢ ـ ولما أسر المسلمون أبا العاص بن الربيع، وغنموا ماله فيما أسروا وغنموا وكان زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، إلا أن الإسلام فرّق بينهما، استجار أبو العاص بزينب رضي الله عنها، فوعدته خيراً وانتظرت حتى صلى رسول الله ﷺ الفجر بالمسلمين، ثم وقفت على بابها ـ في المسجد ـ فنادت بأعلى صوتها: إني قد أجرتُ أبا العاص بن الربيع فقال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟**» قالوا: نعم. قال: «**فوالذي نفسي بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعت الذي سمعتم، المؤمنون يدٌ على مَن سواهم، يجير عليهم أدناهم، وقد أجرنا من أجارت**».

فلما انصرف النبي ﷺ إلى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبي

العاص ما أُخذ منه، ففعل. وقد عاد أبو العاص بعد ذلك إلى مكة، فأدى الحقوق إلى أهلها، ثم آب إلى المدينة مسلماً، فرد عليه رسول الله ﷺ زوجه زينب. [انظر سير أعلام النبلاء ١/ ٣٣٢، والإصابة ٧/ ٤٨].

تحريم قتل النساء في الحرب

لقد بلغ من تكريم الإسلام للمرأة أنه حرم قتلها، وقتل الأطفال والشيوخ في الجهاد إلا أن يقاتلوا، فيدفعوا بالقتل:

١ ـ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيشاً قال: «**انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلُوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**». [حسنه محقق جامع الأصول بشواهده].

٢ ـ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «وُجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان، وفي رواية: فأنكر» [متفق عليه].

٣ ـ وعن رباح بن الربيع رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فرأى الناس مجتمعين على شيء، فبعث رجلاً فقال: «**انظُر علام اجتمع هؤلاء؟**» فجاء فقال: على امرأة قتيل، فقال: «**ما كانت هذه لتقاتل**» قال: وعلى المقدمة خالد بن الوليد، قال: فبعث رجلاً، فقال: «**قل لخالد: لا تقتلن امرأة ولا عسيفاً**». [العسيف: الأجير] [حسنه الألباني في الإرواء ج ٥/ ٣٥].

٤ ـ وصدق المستشرق الفرنسي حين قال: ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب.

محافظة الإسلام على سمعة المرأة

١ ـ لقد بلغ من محافظة الله تعالى على سمعة المرأة المسلمة أنه أنزل في هذا المعنى قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة، يحذر فيه من إشاعة السوء عن المرأة المسلمة، فقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)﴾ [النور: ٤].

فجعل الله سبحانه في هذه الآية عقوبة القاذف المتهم للمرأة المسلمة بالزنا جلد ثمانين جلدة، إذا لم يأت بأربعة شهداء، ثم دعَّم هذه العقوبة بعدم قبول شهادته أبداً، ثم وصفه بالفسق الذي يستحقه.

٢ ـ لم يكتف الله تعالى سبحانه بهذه العقوبات، بل هددهم بما هو أشد، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٢٣].

٣ ـ وفي حديث الإفك بالنسبة لعائشة أم المؤمنين أنزل الله تبرأتها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١].

الوحي ينتصر للمرأة

كان الوحي ينتصر للمرأة إنصافاً لها، وانتصاراً لحقها، بل أنزل سورة خاصة بها سماها سورة المجادلة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليَّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: «يا رسول الله، أكل مالي، وأفنى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبِرتْ سني، وانقطع ولدي ظاهر مني! «اللهم إني أشكو». قالت: فما برحتْ حتى جاء جبريل بهذه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة: ١].

لقد نزل الوحي مؤيداً لهذه المرأة الصالحة التي شكت أمرها إلى الله وجادلت النبي ﷺ في زوجها، وما جرى معها، فاستجاب الله شكواها حالاً؛ وهذه عادة المرأة المسلمة إذا أصابها شيء شكت أمرها إلى الله، ودعت الله وحده، ولم تدعُ غيره، ولم تذهب إلى الكهنة والعرافين، كما يفعل بعض النساء في عصرنا الحاضر، إذا أصابها شيء لجأت إلى الأولياء تدعوهم، مع أنهم أموات لا يسمعون، ولا يستطيعون أن يفعلوا فهم بحاجة إلى الدعاء. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا

يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠، ٢١].

ودعاء غير الله من الأموات أو الغائبين من الشرك الذي يحبط العمل: قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا﴿٢٠﴾﴾ [الجن: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وبعض النساء يذهبن إلى السحرة والكهنة والعرافين الذين قال الرسول ﷺ فيهم: **«من أتى كاهناً أو عرافاً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزِل على محمد»**. [رواه أحمد وصححه الألباني].

وقال ﷺ: **«من أتى عرافاً، فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة»**. [رواه مسلم].

العمل بمشورة النساء الصالحات

١ ـ جاء الملك جبريل إلى رسول الله ﷺ في غار حراء فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴿١﴾﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاد، فدخل على خديجة بنت خويلد، وأخبرها الخبر: **«لقد خشيتُ على نفسي»** فقالت خديجة: كلا والله ما يُخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل فقالت له خديجة يا ابن عم: اسمع من ابن أخيك، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حيّاً إذ يُخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أَوَ مخرجيَّ هم؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثلِ ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. [رواه البخاري].

فأنت ترى أن خديجة شجعت الرسول ﷺ على الاستمرار في الدعوة، وأن الله لا يتخلَّى عنه لما تعلم من الصفات الحسنة التي كان يتصف بها الرسول ﷺ مثل مساعدة الضعيف، والفقير وإكرام الضيف، ومعاونة أصحاب النوازل والمصائب.

قال ابن حجر: وفي هذه القصة من الفوائد:

أ ـ استحباب تأنيس من نزل به أمر بذكر تيسيره عليه، وتهوينه لديه.

ب ـ أن مَن نزل به أمر استُحب له أن يُطلع عليه من يثق بنصيحته، وصحة رأيه. [فتح الباري ١/ ٢٥].

أقول: حتى ولو كانت امرأة كخديجة، هذا من تكريم الإسلام للمرأة.

٢ ـ الشروط في عمرة القضاء: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا، ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرُج، ثم لا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بُدْنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً غمّاً. [رواه البخاري].

أ ـ والقصة دليل على أن المرأة الصالحة تُستشار في شؤون الأمة، ويُعمل برأيها في القضايا المهمة، وتدل على وفور عقل أم المؤمنين أم سلمة وصواب رأيها، حيث نفذ الرسول ﷺ اقتراحها، وانتهت المشكلة.

ب ـ والقصتان السابقتان: خديجة وأم سلمة، ومشورة الرسول ﷺ لهما في أمور هامة حصلت له يدل على احترام الإسلام للمرأة، ويُبطل القول المنسوب إلى الخليفة عمر: «شاوروهن وخالفوهن» ومعاذ الله أن يخالف عمر عمل الرسول ﷺ، ويخالف القرآن القائل: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

موقف المرأة المسلمة من الدين

١ ـ إن المسلم رجلاً كان أو امرأة، حينما أعلن كل واحد منهما ولاءه لله عز وجل ورضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً كان على كل واحد منهما أن يعطي الثقة التامة والكاملة للتعاليم الإسلامية، لأنها ربانية جاءت لسعادة الرجل والمرأة في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥١﴾ [النور: ٥١].

٢ ـ فلا بُدَّ للمرأة المسلمة أن تذعن لتعاليم الإسلام وأحكامه التي جاءت

لعزتها وكرامتها، وإنصافها في جميع حقوقها مع الرجل وما يتناسب مع فطرتها، وطبيعتها التي فطرها الله عليها، وهو أعلم بخلقها: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

وقد أشار القرآن من موقف المرأة المسلمة من الدين فقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقد توعد الله تعالى من خالف أمر رسوله ﷺ فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وصية امرأة لابنتها في زفافها

قالت امرأة تزف ابنتها إلى الملك الحارث بن عمرو الكندي:

أي بُنية: إن الوصية لو كانت تترك لفضل أدب أو مكرمة نسب لتركت ذلك معك، ولكنها تذكرة للعاقل، ومُنبهة للغافل.

أي بُنية: لو استغنت ابنة عن زوج لغنى أبويها، لكنتِ أغنى الناس عنه، لكنا خُلقنا للرجال، كما خُلق الرجال لنا.

أي بُنية: إنك فارقت الوطن الذي منه خرجت، والعش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، أصبح بملكه إياكِ مَلِكاً عليك، فكوني له أمةً يكن لك عبداً واحفظي له عشر خصال يَكُنَّ لك ذُخراً:

١ ـ الصحبة بالقناعة: فإن في القناعة راحة القلب.

٢ ـ المعاشرة بحسن السمع والطاعة: فإن فيهما رضا الرب.

٣ ـ التعهد لموضع عينيه والتفقد لموضع أنفه: فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيب ريح.

٤ ـ الكحل والماء: وأعلمي أن الكحل أحسن الموجود، وأن الماء أطيب الطيب المفقود.

٥ ـ التعهد لوقت طعامه: فإن حرارة الجوع ملهبة.

٦ ـ الهدوء عند منامه: فإن تنغيص النوم مغضبة.

٧ ـ الاحتفاظ ببيته وماله: فإن حفظ المال من حسن التقدير.

٨ ـ الرعاية لحشمه وعياله: فإن الرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير.

٩ ـ ألا تفشي له سرّاً: فإن أفشيت له سرّاً لم تأمني غدره.

١٠ ـ ألا تعصي له أمراً: فإن عصيت أمره أوغرت صدره.

وأشد ما تكونين له إعظاماً أشد ما يكون لك إكراماً، وأكثر ما تكونين له موافقة أحسن ما يكون لك مرافقة؛ واعلمي أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثري هواه على هواك، ورضاه على رضاك فيما أحببت أو كرهت.

شرط الولي لنكاح المرأة

لقد اشترط الإسلام موافقة ولي أمر المرأة على نكاحها تكريماً لها وحفاظاً على مستقبلها، وهو أدرى بها على نفسها.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

٢ ـ قال تعالى حكاية عن قول والد المرأتين اللتين وجدهما موسى على البئر: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧].

فالخطاب في الآيتين للرجال، ولو كان للنساء لذكر ذلك، وهذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤].

٣ ـ وقال الرسول ﷺ: **«لا نكاح إلا بولي، والسلطان ولي مَن لا ولي له»**. [صحيح رواه أحمد].

وقال ﷺ: **«لا نكاح إلا بولي، وشاهدي عدل»**. [صححه الألباني في الإرواء].

قال الصنعاني: والحديث دل على أنه لا يصح النكاح إلا بولي، لأن الأصل في النفي نفي الصحة لا الكمال. [انظر: سبل السلام ٣/١١٧].

٤ ـ وقال ﷺ: **«أيما امرأة نُكحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها، وإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي لها»**. [صححه الحاكم ووافقه الذهبي].

٥ ـ وقال ﷺ: **«لا تُزوج المرأة المرأة، ولا تُزوج المرأة نفسها، فإن الزانية هي التي تزوج نفسها»**.
[قال الحافظ في بلوغ المرام: رجاله ثقات، وصحح الألباني الجملة الأولى. وصحح وقف الجملة الأخيرة على أبي هريرة].

إن الشارع الحكيم لما اشترط للزواج موافقة الولي، كان له أهداف عظيمة، وفوائد كثيرة، هي في مصلحة المرأة:

١ ـ قال الشيخ ولي الله الدهلوي رحمه الله في حجة الله البالغة: وفي اشتراط الولي في النكاح تنويه أمرهم، واستبداد النساء بالنكاح وقاحة منهن. منشؤه قلة الحياء. والتعدي على الأولياء، وعدم الاكتراث بهم.

٢ ـ يجب أن يُميز النكاح من السفاح بالتشهير، وأحق التشهير أن يحضر أولياؤها. انتهى.

٣ ـ أقول: ويشهد لهذا المعنى قول الرسول ﷺ: **«فصل ما بين الحلال والحرام ضرب الدف، والصوت في النكاح»**. [صحيح رواه أحمد].

فهذا الحديث يدل على أن الفرق بين الحلال وهو الزواج الشرعي، وبين الزنا وهو الحرام ضرب الدف للبنات لإعلانه، وكذلك الغناء النزيه للبنات أيضاً.

٤ ـ كما أن المرأة لقلة تجربتها في المجتمع، وعدم معرفتها شؤون الرجال وخفايا أمورهم غير مأمونة حين تستبد لسرعة انخداعها، وسهولة اغترارها بالمظاهر البراقة دون تفكير في العواقب وقد اشترط إذن الولي مراعاة لمصالحها، لأنه أبعد نظراً، وأوسع خبرة، وحكمه موضوعي لا دخل فيه للعاطفة أو الهوى، بل يبنيه على اختيار من يكون أحسن عشرة.

٥ ـ وكيف لا يكون لوليها في زواجها إذن، وهو الذي سيكون شاءت أم أبت، بل شاء أو أبى المرجع في حالة الاختلاف، وفي حالة فشل الزواج يبوء هو بآثار هذا الفشل.

واجب الولي للمرأة

قال رسول الله ﷺ: **«إذا أتاكم من ترضون خُلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»**. [حسن رواه الترمذي].

١ ـ يجب على الولي أن يتقي الله فيمن يزوجها به، وأن يراعي خصال الزوج الصالح، فلا يزوجها ممن ساء خلقه، أو ضعف دينه.

قال بعض السلف: من زوج كريمته من فاجر فقد قطع رحمها.

وقال رجل للحسن: قد خطب ابنتي جماعة، فَمِمَّن أزوجها؟

قال: ممن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

٢ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وإذا رضيتْ رجلاً، وكان كفؤاً لها، وجب على وليها كالأب. ثم الأخ، ثم العم أن يزوجها به، فإن عضلها أو امتنع عن تزويجها زوجها الولي الأبعد منه، أو الحاكم بغير إذنه باتفاق العلماء، فليس للولي أن يجبرها على نكاح من لا ترضاه، ولا يعضلها عن نكاح من ترضاه إذا كان كفؤاً لها باتفاق العلماء.

وإنما يعضلها أهل الجاهلية والظلمة الذين يزوجون نساءهم لمن يختارونه لغرض، لا لمصلحة امرأة، ويكرهونها على ذلك، أو يخجلونها حتى تفعل ذلك ويعضلونها عن نكاح من يكون كفؤاً لها لعداوة أو غرض، وهو ممن حرمه الله ورسوله، واتفق المسلمون على تحريمه.

وأوجب الله على أولياء النساء أن ينظروا في مصلحة المرأة لا في أهوائهم، فإن هذا من الأمانة التي قال الله تعالى فيها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]. .

٣ ـ ويجوز للرجل أن يعرض ابنته أو أخته على من يرى فيه الصلاح فقد عرض عمر بن الخطاب حفصة على عثمان، ثم على أبي بكر، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحه إياها.

٤ ـ وأباح الإسلام أن تعرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ولا سيما وإذا لم يكن لها ولي ينوب عنها، فقد خطبت خديجة بنت خويلد رسول الله ﷺ قبل البعثة، فكانت خير زوجة له ﷺ ناصرته وآوته وأعانته بمالها ونفسها، ولم يعب أحد ذلك، وكان يخطبها كبار قريش وأشرافهم، وكانت تسمى في الجاهلية، (الطاهرة) رضي الله عنها.

الخنساء قبل الإسلام وبعده

١ ـ لقد أصيبت الخنساء بفقد أخيها واسمه (صخر) فجزعت عليه، وحزنت حزناً شديداً وقالت فيه الشعر، وذلك قبل الإسلام.

٢ ـ أما بعد الإسلام، فرزقها الله أربعة أولاد خرجوا إلى معركة القادسية فكان مما أوصتهم به قولها: يا بني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما هجَّنت حسبكم، وما غيرت نسبكم، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية: اصبروا، وصابروا، واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمَّرت عن ساقها، وجلَّلت ناراً على أوراقها، فيمِّموا وطيسها وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنيمة والكرامة في دار الخلد والمقامة.

فلما كشرت الحرب عن نابها، تدافعوا إليها، وتواقعوا عليها، وكانوا عند ظن أمهم بهم حتى قُتلوا واحداً بعد واحد.

ولما وافتها النعاة بخبرهم، لم تزد على أن قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من الله أن يجمعني بهم في الجنة. [انظر: الإصابة والاستيعاب].

فما أعظم الفرق في سلوك الخنساء قبل الإسلام وبعده، وهذا من فضل الإسلام وتكريمه.

إهانة المرأة في بلاد الكفر

إن وضع المرأة في البلاد التي يزعمون أنها متقدمة في الحضارة وضعٌ حرج، فيه الإذلال والمهانة، والمجون والخلاعة، والقسوة والاستغلال في أقسى صورها، وأبشع مظاهرها، لا يقبلها إلا ممسوخ الفطرة، منتكس السريرة، خبيث الطوية.

١ ـ إن القانون الإنكليزي حتى عام ١٨٠٥م كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته.

٢ ـ جاء في مجلة حضارة الإسلام، السنة الثانية (ص ١٠٧٨): حدث في العام الماضي أن باع إيطالي زوجته لآخر على أقساط، فلما امتنع المشتري عن سداد الأقساط قتله الزوج البائع.

٣ ـ وقال الأستاذ محمد رشيد رضا رحمه الله: من الغرائب التي نقلت عن بعض صحف إنكلترا في هذه الأيام أنه لا يزال يوجد في بلاد الأرياف الإنكليزية رجال يبعون نساءهم بثمن بخس جداً كثلاثين شلناً، وقد ذكرت ـ أي الصحف الإنكليزية ـ أسماء بعضهم.

٤ ـ أما في أمريكا التي تتربع على قمة العالم الغربي، فإن المرأة وصلت إلى انحطاط أخلاقي، وانهيار اجتماعي، وتفكك في الأسرة: يقول الدكتور مصطفى السباعي: وأما المرأة فقد دفع بها الوضع الاجتماعي الذي لا يرحم إلى أن أصبحت تطرد من المنزل بعد سن الثامنة عشرة لكي تبدأ في الكدح لنيل لقمة العيش، وإذا ما أجبرتها الظروف في البقاء في المنزل مع أسرتها بعد هذه السنين، فإنها تدفع لوالديها إيجار غرفتها، وثمن طعامها، وغسيل ملابسها، بل تدفع رسماً معيناً مقابل اتصالاتها الهاتفية. [انظر: المرأة بين الفقه والقانون ص ٣٠٠].

أقول: هذه المعاملة للبنت موجودة حتى الآن في جميع بلاد الكفر، وحدثني ولدي الذي يقيم في فرنسا أن هذا موجود.

٥ ـ أما عن قلة الزواج، وشيوع البغاء، وانتشار الزنا واللواط، وكثرة اللقطاء، وارتفاع نسبة الطلاق، وتغلغل الأمراض التناسلية الفتاكة، ولا سيما مرض الإيدز المنتشر، والذي لم يُعرف له دواء فحدث عنه ولا حرج، بل لقد وصلت المرأة الغربية إلى درجة من الانحلال والمهانة ما لا يتصوره عاقل.

يقول الدكتور «نور الدين عتر»: حدثني صديق أنهى تخصصه العالي في أمريكا حديثاً: إن في الأمريكيين أقواماً يتبادلون زوجاتهم لمدة معلومة ثم يسترجع كل واحد زوجته المعارة تماماً كما يعير القروي دابته، أو الحضري شيئاً من متاع بيته. [انظر كتابه: ماذا عن المرأة ص ١٥، ١٦].

وكان أحد القادمين من فرنسا يحدث عن إعارة الزوجة هناك أيضاً.

٦ ـ فعلى المرأة المسلمة أن تعرف أنها مكرمة، وألا تنخدع في الحضارة الزائفة، حضارة مساواة الرجل بالمرأة، وإنما هي حضارة الإنسان بمساواة الحيوان.

فتاة أمريكية تعتنق الإسلام

الإسلام هو السبيل الوحيد لإنقاذ وخلاص البشرية.

«هاجر» الاسم الجديد «لياميلا» فتاة أمريكية في الثامنة والعشرين من عمرها، طالبة في قسم علم الاجتماع في جامعة ميزوري - كولومبيا -.

بدأت قبل سنتين بدراسة الإسلام دراسة جادة متعمقة بحثاً عن الحقيقة التي كانت شغلها الشاغل، والتي لم تجدها كما تقول في الثقافة المادية الأمريكية، وبعد سنتين من الدراسة والبحث والتأمل أعلنت «ياميلا» الإسلام، وغيرت اسمها إلى «هاجر» حيث تقول: إن اسم «هاجر» مُحبَّب إلى نفسي لكونه مرتبطاً بالإسلام.

تتحدث هاجر عن تجربتها قائلة: منذ مدة طويلة كانت تدور في ذهني تساؤلات عن الكون، والوجود والحياة، وقد أضناني البحث والتفكير عن أجوبة لهذه التساؤلات الفلسفية، ولكن عبثاً لم أجد لها تفسيراً مقنعاً من خلال دراستي في الثقافة الأمريكية المادية، وكنت أسمع بالإسلام، ولكن صورته غامضة في ذهني بل مُشوهة، فهو دين يفرق بين الرجل والمرأة، وقائم على العنف والقسوة، وبقيت جاهلة بحقيقة الإسلام، حتى بدأت أُدرك نقاء الإسلام وتحديه للقوى المادية، فبدأت من حينها أدرس وأبحث عن الإسلام، وكان البحث في البداية شاقاً جدّاً، فليس هناك كتب أمينة عن الإسلام في اللغة الإنجليزية، ولكنني منذ البداية شعرت بحب للإسلام، فهو دين عدل وإنصاف، يعطي الفرد حريته، ويحمله مسؤولية أعماله وأفعاله، وهكذا بمرور الوقت ازددت وعياً وفهماً بالإسلام، وكان أن هداني الله لاعتناق الإسلام.

ومنذ أن أعلنت «هاجر» إسلامها، وهي تعمل بجد ونشاط لنشر الإسلام، فهي ترى أن رسالتها الآن أن تجاهد في سبيل الإسلام، وإبلاغ دعوته للأمريكيين الذين يجهلون حقيقة الإسلام بفعل الصورة المشوهة التي صُور الإسلام بها من خلال أعدائه الحاقدين عليه.

لقد غير الإسلام «هاجر» تغييراً شاملاً، فبعد أن كانت تعيش كأية فتاة أمريكية حياة لاهية أصبحت الآن ملتزمة بقواعد ومبادىء الإسلام كما تقول: إن هدفي

الأسمى أن أجاهد في سبيل الإسلام، وأن أحارب الرأسمالية، والطغيان والشر، فبعد تجربتي وجدت أن الإسلام هو الطريق الوحيد لخلاص الإنسانية من خطر الحروب والمجاعة والفناء.

وعندما سئلت «هاجر» ولماذا الإسلام بالذات هو السبيل إلى خلاص البشرية؟ أجابت قائله: إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يُقدم حلولاً لقضايانا الاجتماعية، والسياسية المعاصرة، إنه نظام حياة شامل يوازن بين مطالب الروح، وحاجات الجسد دونما إخلال. لقد وجدت فيه أجوبة شافية على تساؤلات فلسفية كانت تقلقني وتقض مضجعي.

وحين تتحدث هاجر عن الإسلام تشعر بالصدق في كلامها، فهي تعي ما تقول، وأحياناً تنطق بالعبارات الإسلامية باللغة العربية ولكنها في كل الحالات تفهم جيداً أن الإسلام نظام شامل للحياة وليس دين عبادات فقط. الجهاد في نظرها أهم ما في الإسلام، أو أهم ما يحتاج إليه المسلمون في الوقت الحاضر.

ومنذ إسلام هاجر، غيّرت أسلوب حياتها، فارتدت اللباس الشرعي، وبدأت تصلي الصلوات الخمس في مواقيتها، وبذلت جهداً كبيراً في حفظ الآيات من القرآن، لتستطيع تأدية الصلوات.

وطبيعي أن تواجه صعوبات كبيرة من زميلاتها وعائلتها، ولكن «هاجر» المسلمة كما تقول: أستطيب المصاعب في سبيل عقيدتي، وهذا جدير بالنسبة للمسلمين والمسلمات، ولقد سبق أن عذب الكثير منهم، لكنهم لم يتحولوا، وأنا لن أبالي إلا بالإسلام.

ولا يقتصر نشاط «هاجر» على الجانب الديني، فهي نشطة سياسيّاً، ومؤمنة بالحقوق العادلة للشعب الفلسطيني المسلم، لذلك فهي تحاضر وتتحدث عن الظلم الذي وقع على الشعب الفلسطيني.

إنها حقاً ظاهرة فريدة: فتاة أمريكية بيضاء تتحول إلى داعية إسلامية تذب وتدافع عن قضايا الشعب الإسلامي في مجتمع لا يُصغي، ولكنها لا تمل ولا تتعب.

ورسالتها إلى الشعوب الإسلامية عامة والعربية خاصة: أنتم الذين أنرتم

الدرب للبشرية، فلا تضعفوا أمام غزاة أرضكم المقدسة أمام إسرائيل وحلفائها.

الخليفة ينقذ المرأة الضعيفة

لما خرج ملك الروم وفعل في بلاد الإسلام ما فعل فقتل مَن بها من الرجال، وسبى الذرية والنساء، ومثَّل بمن صار في يده من المسلمين. وسمل أعينهم، وقطع أنوفهم وآذانهم، وبلغ المعتصم أن امرأة هاشمية صاحت وهي أسيرة في أيدي الروم «وا معتصماه» فأجابها وهو جالس على سريره لبيكِ، لبيكِ، ونهض من ساعته، وصاح في قصره النفير النفير، ثم ركب دابته، ومعه حقيبة فيها زاده، وجمع العساكر، وأحضر قاضي بغداد، وهو عبد الرحمن بن إسحاق، وشعبة بن سهل ومعهما ثلاثمائة وثمانية وعشرون رجلاً من أهل العدالة، فأشهدهم على ما وقف من الضِياع: فجعل ثلثاً لولده، وثلثاً لله تعالى، وثلثاً لمواليه، ثم سار فعسكر في غربي «دلجة» ومعه جملة من القواعد، حتى انتصر على الروم، بعد قتالهم مدة طويلة. [انظر: الكامل لابن الأثير ٥/٢٤٧].

أقول: لقد بلغ من تكريم الإسلام للمرأة أن سار الخليفة «المعتصم» بجيشه، حينما سمع من امرأة أسيرة في بلاد الروم تنادي لينقذها من الكفار، فلبى نداءها، وسار بنفسه مع جنده حتى يقاتل الكفرة، وينصر المرأة الضعيفة، وهذا يدل على عزة المسلمة، والدفاع عن النساء.

لقد أكبر المسلمون هذا العمل من الخليفة «المعتصم» ولا سيما بعد فتحه «عمورية» وقال فيه الشعراء قصائد تشيد بذلك العمل الطيب والانتصار الباهر.

أهمية تربية النساء

من لي بتربية النساء فإنها ... في الشرق علَّة ذلك الإخفاق
الأُم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيّب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا ... بالريِّ أورق أيَّما إيراق!
الأم أستاذ الأساتذة الأولى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق
أنا لا أقول دعو النساء سوافراً ... بين الرجل يَجلْن في الأسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع ... يحذرن رِقبته ولا من واقي

يفعلن أفعال الرجال لواهياً ... عن واجبات نواعس الأحداق

في دورهن شؤونهن كثيرة ... كشؤون رَب السيف والمزراق

كلا ولا أدعوكم أن تُسرِفوا ... في الحجب والتضييق والإرهاق

ليست نساؤكم أثاثاً يُقتنى ... في الدين بين مخادع وطباق

تتشكل الأزمان في أدوارها ... دولاً وهُن على الجمود بواقي

فتوسطوا في الحالتين وأنصفوا ... فالشرّ في التقييد والإطلاق

رَبّوا البنات على الفضيلة إنها ... في الموقفين لهن خير وَثاق

وعليكم أن تستبين بناتكم ... نورَ الهدى وعلى الحياء الباقي

«للشاعر حافظ إبراهيم»

* * *

إنها السعادة يا أمة اللَّه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فكل الناس في هذه الحياة، على اختلاف مذاهبهم وأعراقهم. وعلى اختلاف مبادئهم وأهدافهم، يبحثون عن أمرٍ ربما يكونوا قد اتفقوا عليه من أولهم إلى آخرهم، ألا وهو طلب السعادة، فالمؤمن والكافر، البر والفاجر، كل واحد منهم يريد السعادة، ولو سألته لم يعمل هذا؟ ولأي شيء تفعل ذلك؟ لقال لك على الفور: أريد السعادة، أبحث عن السعادة، أفتش عن الفرح والسرور، فكل الناس يريدون السعادة، ولكن كثيراً منهم، يخطىء هذا الطريق، بل إنّ القلة القليلة هي التي تسلك سبيل السعادة الحقيقية.

فيا أيها الأخوات، هل تردن السعادة، هل تردن الراحة، هل تردن الطمأنينة، هل تردن ذلك في الدنيا والآخرة أم تردنها في وقت غير وقت من هذه الأوقات، اعلمي يا أمة الله أنَّ السعادة سعادتان، سعادة دنيوية مؤقتة بعمر قصير محدود، من طلبها وحاول الوصول إليها، وذاقها، فسينسى ذلك في غمسة واحدة يغمسها في جهنم، نسأل الله السلامة.

ففي الحديث الصحيح عن النبيّ ﷺ قال: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيغمس في النار غمسة، فيقال له هل مر بك خير قط هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا واللَّه يا رب**» فينسى كل نعيم وينسى كل لذة تنعم بها في هذه الحياة الدنيا الدنية، بغمسة واحدة يغمسها في النار، نعوذ بالله منها.

أما السعادة الثانية، فهي سعادة أخروية دائمة، لا انقطاع لها أبداً، في حياة خالدة، طيبة باقية، في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وتلك واللَّه هي الحياة الحقيقية، وهي الحياة الطيبة وهي السعادة الحقيقية عندما يفوز العبد برضىٰ الله جل وعلا، عندما يفوز بمغفرة اللَّه سبحانه، عندما يفوز بجنات الرحمن جل وعلا، عندما يتنعم بنعيم الجنة الباقي، ويلتقي هناك مع النبيِّين والصديقين

والشهداء والصالحين، فيا لله ما أجملها من حياة، ويا لله ما أجملها من سعادة، إنها الحياة الحقيقية، إنها السعادة الحقيقية التي سينالها المؤمن بعد أن يقطع هذه الدنيا، وحتى لو حصل له في حياته ما حصل من التعاسة والشقاء ومن الآلام والهموم، لم يكن بعد ذلك نادماً أبداً، لأن غمسة واحدة في الجنة تنسيه تلك الأيام، وتنسيه ذلك الشقاء، وتلك الآلام والهموم كما قال ذلك المصطفى ﷺ.

أخواتي الكريمات إن سعادة الدنيا مقرونة بسعادة الآخرة، واقصد هنا السعادة الحقيقية التي تكون في الدنيا والآخرة للمؤمنين والمؤمنات، للصالحين والصالحات، للطيبين والطيبات، للعابدين والعابدات، للمتقين والمتقيات للقانتين والقانتات وصدق الله العظيم إذ يقول في سورة النحل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ فالحياة الطيبة هي الحياة السعيدة، وإن كان صاحبها فقيراً معدوماً لا يملك منه حطام الدنيا شيئاً، ورحم الله من قال:

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ولكن التقي هو السعيد

فالسعادة كلها في طاعة الله ورسوله، والسعادة كلها في السير على منهج الله، وعلى طريقة محمد بن عبد الله ﷺ.

فالله سُبحانه يقول: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وفي المقابل فالشقاوة كلها من معصية الله جل وعلا، والتعاسة كلها في منهج غير منهج اللّه، وغير منهج المصطفى ﷺ ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ .

فيا أيها الأخوات المسلمات، هل تردن السعادة، هل تردن الراحة والطمأنينة، إن كنتن تردن ذلك، وما أظنكن إلا كذلك، فلتسمعوا مِني النصيحة والعتاب، من مخلص في نصحكم، يرجوا لكم حسن الثواب، يخشى على هذه الوجوه من الحميم من العذاب، أخواتنا لا تغضبن فالحق أولى أن يجاب.

اختي المسلمة:

أول ما أدعوك إليه، وأدعوا نفسي، هو تقوى الله جل وعلا، أن نتقي الله

سبحانه وأن نقدم ما نستطيع لأنفسنا من الأعمال التي تبيض الوجوه يوم نلقى الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾.

فيا أمة الله إن النجاة والله في طاعة الله جل وعلا لا غير، إن النجاة والله في تقوى الله جل وعلا لا غير، فالله سبحانه يقول: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾.

فاتقي الله يا أمة الله، وأطيعي الله يا أمة الله، واحمدي الله جل وعلا الذي هداك وشرفك وأكرمك بهذا الدين ورفع قدرك بهذا الدين، يوم ضل غيرك من نساء العالمين، ثم استمسكي بحبل الله جل وعلا، واعتصمي بدين الله جل وعلا، فإنه الركن أن خانتك أركان، ثم أنقذي نفسك من النار يا أخت الإسلام، أنقذي نفسك من النار يا أمة الله، والله لست خيراً من فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ وسيدة نساء أهل الجنة، وقد قال لها أبوها ﷺ بأبي وأمي هو كما في صحيح مسلم: «**يا فاطمة بنت محمد، انقذي نفسك من النار لا أغني عنك من الله شيئاً**».

ألا فاعلمي يا أمة الله أنك عرضة لعذاب الله جل وعلا، إن لم تخضعي لأوامر الله سبحانه! أن لم تطيعي الله سبحانه، إن لم تقفي عند حدوده جل وعلا، إن لم تنفذي أوامره وتجتنبي نواهيه، ألا فأنقذي نفسك من النار واعملي بطاعة الله، واعلمي دائماً أن الله سبحانه مطلع عليك، يراقبك، فهو جل وعلا الرقيب العليم الذي ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا.

ألا فخافي الله يا أمة الله، ألا فاتقي الله يا أخت الإسلام، وأنقذي نفسك من النار، إنك والله لأعجز من أن تطيقي عذاب الله جل وعلا في النار، إن الجبال والله لو سيرت في النار لذابت من شدة حرها.

فأين أنت أيتها الضعيفة من الجبال الشم الراسيات؟

فيا أختاه اعلمي أنه لا مهرب من الله إلا إليه ولا ملجأ منه إلا إليه، فالكل راجع إليه والكل مسؤول بين يديه، والكل موقوف بين يديه، الكل سيسأل عن الصغير والكبير، و النقير والقطمير، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾.

فماذا عسى يكون الجواب يا أخت الإسلام؟

ألا فأعدي للسؤال جواباً، ثم أعدي للجواب جواباً، أطيعي الله يا أمة الله وأطيعي رسوله ﷺ، خذي من أوامر الله ما استطعت، واجتنبي نواهيه، وقفي عند حدوده وتمسكي بدين الله جل وعلا، ثم تمسكي بحياءك والحياء من الإيمان، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، واحفظي الله جل وعلا وكوني على يقين أن من حفظ الله جل وعلا فسيحفظه الله لا محالة.

وخذي مثالاً لذلك سارة زوج الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم تلك المرأة التقية النقية، التي اعتصمت بالله جل وعلا والتجأت إلى الله سبحانه، وحفظت الله في الرخاء فحفظها الله جل وعلا في الشدة، أخذت من بيتها بالقوة من قبل زبانية طاغية مصر آنذاك، ويوم أن أدخلت عليه، وقام إليها يريد فعل الفاحشة، اتصلت بربها سبحانه وبحمده مباشرة بلا وسائط، بتضرع إلى الله وتدعو الله سبحانه قائلة: اللهم إن كنت تعلم إني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلط عليَّ هذا الكافر، اللهم أكفنيه بما شئت، فماذا تتوقعون أخواتي أن يحصل؟ امرأة ضعيفة مسكينة لكنها والله عزيزة قوية يوم تمسكت بحبل الله جل وعلا، يوم حفظت الله سبحانه... لقد جمد الكافر في مكانه، ولم يستطع الحراك، ولم يستطع أن يقترب إليها، فيرجع ثم يحاول الثانية فيمد يده مرة أخرى على زوج الخليل فتجمد أعضاؤه مرة أخرى، ثم يرجع ويمد الثالثة، وتجمد الأعضاء، فيرجع ثم يمد الرابعة، فتجمد الأعضاء، ثم يرجع ويقول: ما جئتموني إلا بشيطان، أرجعوها إلى إبراهيم، وأخدموها هاجر.

فيالله لم ترجع تلك المرأة المؤمنة، سليمة محفوظة بحفظ الله فقط، بل رجعت ومعها مملوكة لها وهي هاجر عليها رضوان الله جل وعلا، فرجعت سارة

إلى إبراهيم عليه السلام، وهي محفوظة بحفظ الله جل وعلا الذي وعد بأن من اتقاه وحفظه، أنه سيحفظه لا محالة وسيخرجه من كل ضيق يقع فيه، فهو جل وعلا القائل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وقد قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك**».

فهلاّ حفظت الله يا أخت الإسلام، هلاّ نفذت أوامر الله وأطعت الله يا أمة الله، هلاّ ائتسيت بساره رضي الله عنها، هلاّ ائتسيت بأمهات المؤمنين والصحابيات الطاهرات العفيفات رضوان الله عليهن.

ألا فاقتدي بالصالحات، وتشبهي بهن واعملي بما عملوا به، وامشي على أثرهن لتحشري معهن في جنات رب العالمين سبحانه.

فيا أختي المسلمة أنت قمة، أنت طهر، أنت فضيلة، قمة بالقرآن فضيلة بالإيمان طهر بتمسكك بكتاب الله وبسنة المصطفى ﷺ، وإني لأذكرك بتلك المؤمنة الطاهرة التي يذكرها أهل السير، فإنها قد قتل لها ولد في إحدى الغزوات مع رسول الله ﷺ فجاءت تبحث عن ولدها بين القتلى، وهي منتقبة ومتحجبة بحجابها الكامل فقيل لها: يا أمة الله كيف تبحثين عن ولدك، وأنت منقبة فقد لا تعرفينه؟ فأجابت إجابة المؤمنة، أجابت إجابة من أطاعت الله جل و علا، فقالت: لأن افقد والله ولدي خير من أن أفقد حيائي وديني إن الله خاطب رسوله ﷺ قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٩﴾ ووالله ما أنا بخير من أمهات المؤمنين ولا من نساء المؤمنين ولا من بناته ﷺ.

وهذه آسية امرأة فرعون التي آمنت في وسط بيت من يقول: أنا ربكم الأعلى. لم يصدها جبروته، لم يصدها طغيانه، لم تصدها قوته لم تخف منه ولا من غضبه، لماذا؟ لأن الإيمان قد وقر في قلبها، لأنها علمت وأيقنت أن من كان مع الله كان الله معه ولمّا علم فرعون بإسلامها طلب منها أن ترجع عن هذا الدين، فرفضت وأبت، وأنّا لمسلم يعرف هذا الدين ويتذوق حلاوته، ثم يعود عنه وينكص على أعقابه، فرفضت آسية الرجوع عن الإسلام، وأبت ذلك وأصرت على

إسلامها، فما كان من فرعون إلا أن أوتد رجليها وأوتد يديها، بأربعة أوتاد، ثم ألقاها في الشمس، ومنع عنها الطعام والشراب، وضربها ضرباً شديداً مؤلماً وأذاها ووكل من يؤذيها.

فماذا قالت تلك المؤمنة، وإلى من لجأت تلك التقية؟

لجأت إلى فاطر السموات والأرض، لجأت إلى الجبار القهار سبحانه وتعالى، ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وروي أنها لما قالت ذلك. رفعت الحجب من فوقها حتى رأت بيتها من درة بيضاء، فضحكت وهي تعذب حتى قالوا: هذه مجنونة، تعذب وتضحك، يقول أحد السلف: ثم أمر فرعون الطاغية بعد ذلك بحجر يلقى عليها وهي في أوتادها فما وصل الحجر إليها حتى أخذ الله روحها قبل ذلك، فصارت مثلاً للذين آمنوا وقدوة للذين اتقوا، فهل رأيت أختي المسلمة كيف تكون المؤمنة متعلقة بالله جل وعلا فيحفظها سبحانه وبحمده.

وهذه قصة لامرأة مؤمنة تخاف من الله جل وعلا، وتخشى من بارئها وخالقها سبحانه وبحمده، وكانت تنصح النساء وتعظهن وتذكرهن بالله جل وعلا، وكان لسانها لا يفتر عن ذكر الله جل وعلا آناء الليل وأطراف النهار، وكانت حافظة للقرآن صوامة قوامة تحيي أكثر ليلها في زمن أصبح قيام الناس فيه على اللغو والباطل والنوم نسأل الله السلامة، وكان لهذه المرأة المؤمنة ابناً بارًا بها، وفي ليلة من الليالي كانت تقوم الليل كعادتها وإذ بها تنادي ابنها في ثلث الليل الأخير، وهي تقول يا بني ها أنذا على وضع سجودي لا استطيع الحراك، ولا استطيع أن أحرك عضواً واحداً، فما كان من ذلك الابن البار، ألا أن أخذها وحملها وذهب بها إلى المستشفى، وهو في قلق و اضطراب فهو يريد أن تعود أمه إلى صحتها، نعم فقد كانت نوراً في البيت تذكر الله ليلاً ونهاراً، فلما كشف الأطباء على حالتها لم يعرفوا سبب ذلك، فعلوا ما يستطيعون ولكن دون جدوى، وأنّا لبشر أن ينجي من قدر، فسألت تلك الأم المؤمنة ابنها، أن يعيدها إلى بيتها فأخذها وذهب بها إلى البيت، فطلبت منه أن يوضئها فوضأها ثم قالت له يا بني أعدني على وضع السجود كما كنت على سجادتي في آخر الليل، فلما وضعها وإذ بها بعد فترة

ليست بالطويلة تنادي ابنها وتقول: يا بني استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، لتلقى الله وهي ساجده، يغسلونها وهي ساجدة، ويكفنونَها وهي ساجده، ويذهبون ليصلوا عليها وهي ساجده، وتحمل إلى المقبرة وهي ساجدة، وتدخل القبر وهي ساجدة، ومن مات على شيء بعث عليه، وستبعث يوم القيامة بإذن الله ساجدة.

فيالله ما أعظم الخاتمة امرأة تقوم من الليل ما تقوم، وبعضنا لا يقوم من ليله ولو لساعة أو لنصف ساعة أو لدقائق أو حتى لركعتين يرجوا بهما رحمة الله، يرجوا بهما مغفرة الله، يرجوا بهما رضوان الله تعالى.

فارفعي يا أختاه رأسك، وانظري بعين بصيرتك إلى أخواتك وأمهاتك من سلف الأمة، وسلي الله اللحاق بهن، واعملي عملهن علك أن تلحقي بهن، فتحشري معهن والمرء مع من أحب.

فراقبي الله يا أمة الله وائتمري بأوامره، وانتهي عن نواهيه، فإنه الموت الذي لا بد منه ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ تذكري أختاه يوم يأتيك منكر ونكير، فيسألانك: من ربك؟ ما دينك؟ من هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ هل تظنين أختاه أن الجميع سيستطيع الإجابة على تلك الأسئلة؟ لا والله فلن يستطيع الإجابة على تلك الأسئلة، إلا من اتقى الله جل وعلا في الدنيا، إلا من أطاع الله جل وعلا في الدنيا، إلا من نفذ تعاليم الله، ونفذ تعاليم المصطفى ﷺ، إلا من آثر رضى الله ورسوله على شهوات نفسه، إلا من صبر على التزامه بدين الله، إلا من انقاد وأطاع الله ورسوله، فهذا والله هو الذي يستطيع الإجابة، فهو الذي سيثبته الله جل وعلا لأنه أطاع الله سبحانه وانقاد لأوامره جل وعلا، يقول سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)﴾.

فهل تذكرت ذلك يا أمة الله؟ أم هل تذكرت إذا صاح إسرافيل ونفخ في الصور، فجمعت مع الخلائق حافية عارية، قد دنت الشمس منك قدر ميل ورأيت من أهوال القيامة، ما يشيب لهوله الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، وترى

الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، فهل تذكرت ذلك أخيه؟ هل تذكرت إذا صاح المفرط واخيبتاه، وصاح الكبير واشيبتاه، وأزفت الآزفة، وبلغت القلوب الحناجر، وتوالت المحن على العباد، وتوالت الأهوال على العباد. ثم بعد ذلك بدأ الحساب ونودي على العباد بأسمائهم ثم نودي باسمك يا أمة الله من بين الخلائق، لتقفي بين يدي ربك ليحاسبك على أعمالك في هذه الدنيا.

فلا إله إلا الله ماذا سيكون حالك يا أمة الله ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾.

فيا أمة الله أعدي لذلك اليوم، واعملي للوقوف بين يدي الله، وأعدي الإجابة للسؤال، وانظري الآن وتأملي في ذلك، فإن أمامك فرصة، فوالله لن تنفعك هذه الدنيا، بكل ما فيها من مغريات، والله لن ينفعك إلا عملك الصالح، لن تنفعك إلا طاعتك لله جل وعلا، ألا فتوبي قبل أن لا تستطيعي أن تتوبي، واستغفري لذنوبك الرحمن غفار الذنوب، ألا فازدادي من الحسنات، واعملي الصالحات، وأكثري من الأعمال التي ترضي الله جل وعلا، أكثري من ذكر الله، أكثري من النوافل، أكثري من الصيام أكثري من قراءة القرآن، وحلق الذكر، أكثري من قيام الليل، وأكثري من الدعاء والبكاء، لعل الله أن يرحمك إذا وقفت بين يديه، واعلمي يا أختاه أن الحسنات يذهبن السيئات، ووالله ما بعد هذه الدار من دار إلا الجنة أو النار، فاختاري من أي الدارين تريدين أن تكوني.

ألا فاتقي الله يا ابنة الإسلام إلا فاتقي الله يا من تعصين الله تعالى ألا فاتقي الله يا من تغضبين رب الأرض والسماوات، ألا فاتقي الله يا من تتفنين في المعاصي والذنوب، ولا تبالين بغضب مالك الملوك، فاتقي الله يا أمة الله وأرجعي إلى الهدى وتوبي إلى الله سبحانه واسلكي سبيل الله وطريق الله المستقيم، قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، واعلمي أخية.. أن عذاب الله شديد وأن الدنيا ليست مقر وأن الفضيحة أمام الأولين والآخرين عظيمة.

فاتقي الله ثم اتقي الله ثم اتقي الله يا أمة الله ويا أخت الإسلام.

* * *

تمسكي بحيائك يا أمة اللّه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن الحياء خلق الإسلام والمسلمين، وهو من أجمع شعب الإيمان، فإذا اتصف الإنسان بالحياء من الله الذي يراه ويسمعه، ويعلم ما يكنه ضميره، فعل جميع الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات، وإذا استحيا من الناس لم يواجههم بما يكرهون، مما يخل بالدين والأدب والشرف والمروءة، وإذا استحيا من نفسه حاسبها فيما يصدر منها من الأقوال والأفعال، وهل هي موافقة لشرع الله جل وعلا أو مخالفة له.

فالحياء انقباض النفس عن القبائح وهو من خصائص الإنسان، وقد جعله الله في الإنسان ليرتدع به عما تنزع إليه الشهوة من القبائح، فلا يكون كالبهيمة ولذلك لا يكون المستحي فاسقاً، ولا الفاسق مستحياً، فالحياء إذاً هو سمة أهل المروءة والشرف والإيمان، وما أحسن ما قيل في الحياء، أنه إحساس رقيق وشعور دقيق يبدو في العين مظهره وعلى الوجه أثره، ومن حرمه فقد حرِم الخير كله ومن تحلى به ظفر بالعزة والكرامة ونال الخير أجمع.

كيف لا، وهو الذي قال عنه خير خلق الله نبينا محمد ﷺ **«الحياء خير كلّه»**، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»**، أي أن الحياء خصلة من الإيمان، وسرّ كون الحياء من الإيمان، أن كلاً منهما يدعو إلى الخير، ويصرف عن الشر ويبعد عنه، فالإيمان يبعث المؤمن على فعل الطاعات وترك المعاصي، والحياء يمنع صاحبه من التقصير في الشكر للمنعم ومن التفريط في حق ذي الحق، كما يمنع الحيي من فعل القبيح أو قوله، ومن هنا كان الحياء خيراً ولا يأتي إلا بالخير كما صح ذلك عن رسولنا ﷺ في قوله: **«الحياء لا يأتي إلا بخير»**.

وأسوة المسلم في هذا الخلقِ الفاضلِ الكريم رسول الله سيد الأولين والآخرين ﷺ إذ كانَ ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، أي أشد حياءً من البكر حال اختلائها بالزوج الذي لم تعرفه، واستحيائها منه، والمسلم الذي يدعو إلى المحافظة على خلق الحياء في الناس وتنميته فيهم، إنما يدعو إلى خير، ويرشد إلى بر، وخلق الحياء في المسلمِ لا يمنعه أن يقول حقّاً، أو يطلب علماً أو يأمر بمعروف، أو ينهي عن منكر، فلم يمنع الحياء أم سليم الأنصارية أن تقول يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة غسل إذا هي احتلمت؟ فقال لها الرسول ﷺ ولم يمنعه الحياء أيضاً من الإجابة: **«نعم إذا رأت الماء»**.

والمسلم كما يستحي من الخلق فلا يكشف لهم عوره، ولا يقصر في حق وجب لهم عليه، ولا ينكر معروفاً قدموه إليه لا يخاطبهم بسوءٍ، ولا يجابههم بمكروه، وأيضاً يستحي من الخالق، فلا يقصر في طاعته، ولا في شكر نعمته وذلك لما يرى من قدرته عليه، وعلمه به، متمثلا في قول أحد السلف عليهم رحمة الله: استحيوا من الله حق الحياء فاحفظوا الرأس وما وعىٰ والبطن وما حوى واذكروا الموت والبلى.

وعن ابن مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»** فقوله ﷺ إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى يعني أن هذا مأثور عن الأنبياء المتقدمين وأن الناس توارثوه عنهم قرناً بعد قرن، واشتهر بين الناس حتى وصل إلى أول هذه الأمة، أما قوله ﷺ: **«إذا لم تستح فاصنع ما شئت»** فهذا تهديد ووعيد وهو كقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

ولكن إذا نظرنا إلى الواقع المرير الذي تعيشه المرأة المسلمة وانجرافها وراء تيارات الغرب، وتقليدها المستمر لهم، حتى إذا دخلوا جحر ضب لدخلته معهم، لهو شاهد كبير، على تضاؤل الدين والحياء لهذه المرأة المسلمة فهذا الحياء بدأ يتضاءل وينكمش، بل وأخذت الأفكار الهدامة والمخططات المدمرة الموجهة لنا من قبل أعداء الله وأعداء المرأة المسلمة تنخر في جسمه حتى أضعفت قواه، وأصبح لا يوجد أثر لداعي الحياء في نفوس كثير من المسلمات إذا ما دعوتهن به فإلى الله نشكو هذه القسوة.

وحياء المرأة أختاه، هو أنوثتها وهو دليل على صدق أصالتها وحسن تربيتها، فإذا سقط الحياء من المرأة انهارت أخلاق المجتمع، فالمرأة التي خلعت الحياء مع الحجاب، لم تكتف بذلك بل استمرت في تقصير الملابس والاحتكاك بالرجال في العمل والشارع والبحر والفنادق والمسابح، لأنه حين يسقط حياء المرأة لا يردعها رادع وهكذا تصبح فتنة تفسد الأخلاق وتمزق كرامة المجتمع، وامرأة بدون حياء كيف تزرع هذا الخلق الفاضل في أطفال اليوم، ورجال ونساء الغد، لا يمكن هذا.

فاعلمي أختاه أن الإسلام قد صان المرأة وحفظ لها حياءها الفطري الذي هو جزء من جمالها وأنوثتها وكرامتها، وأي محاولة لخدش هذا الحياء، هي اعتداء صارخ على أخلاق المجتمع واعتداء على أنوثتها قبل ذلك.

قال أحد السلف: الواجب على العاقل لزوم الحياء لأنه أصل العقل وبذر الخير وتركه أصل الجهل وبذر الشر، والحياء يدل على العقل، كما أن عدمه دال على الجهل.

فلما رأى أعداء الإسلام المكيدون له، مكانة المرأة المسلمة، وقوة تأثيرها في المجتمع الإسلامي، فهي مربية الأجيال وبسببها يكون النشأ صالحاً أو فاسداً، فاتجهت انظارهم إلى هذه المرأة المسلمة، فأرادوا تدميرها وذلك بنزع دنيها وحيائها من قلبها، حتى تفسد بذلك أخلاق أبناء المجتمع، ورجال المستقبل وعماد الأمة، التي تعتمد الأمة في النهوض والوقوف والعزة عليهم، بعد الله تعالى، فإذا تدمر هذا العماد وضعف هذا الكيان القوي للأمة، فكيف يكون حالها بعد ذلك؟ فهذا ما يريده أعداء الله أخواتي، يريدون أمراً عظيما وغالي، أمراً ليس بالهين، يريدون من المرأة المسلمة دينها وخلقها وحيائها وعفافها الذي تتشرف به وتعتز به، يريدونها حقيرة مذمومة منبوذة من المجتمع كما هو حال نسائهم، ينادون بخلع الحجاب والتعري والسفور إنهم يقولون:

مزقي يا ابنة الإسلام الحجابا ... واسفري فالحياة تبغي انقلابا
مزقيه وأحرقيه بلا ريث ... فقد كان حارساً كذابا

فهم يحيكون المؤامرة تلو المؤامرة، ويكيدون المكائد ويتربصون بنا الدوائر، فأتو بحركات خبيثة مسمومة كحركات التحرر والمساواة والإغراء، كل ذلك لتحطيم

أخلاق نساء المسلمين، فيتخذون من المرأة المسلمة أداة وسلاحاً يستخدمونها للفتك بهذا الدين الحنيف، هذا إن استجابت المرأة المسلمة لنداءاتهم الماكره، ودعوتهم الخبيثة، فصدى أختاه هذه الهجمات وقفي كالطود الشامخ أمام هذا التيار المدمر، وحافظي على دينك وعلى خلقك وعلى حياءك وقولي لهؤلاء الأعداء دمرهم الله:

بيد العفاف أصون عز حجابي ... وبعصمتي أعلو على أترابي

أختاه إن مما يحرق القلب حرقاً أن نرى المرأة المسلمة، المؤمنة بالله ربًا، وبالإسلام دينا وبمحمدٍ ﷺ نبيًا ورسولاً، نرى تلك المسلمة وهي تقضي أوقاتها في الشوارع والأسواق متبرجة سافرة، أو متحجبة حجاباً لا يرضي الله جل وعلا ولا يرضي رسوله فيكون لباسها وهيئتها سهماً تقذفه في قلوب الشباب الضائعين الذين يقضون أوقاتهم في المرح واللهو والضياع والمغازلة، فاحذري أختاه أن تكوني من هؤلاء النسوة، فالله جل وعلا قد أمرك بالحجاب وحرم عليك التبرج ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ فإذا كنت بحق تحبين الله ورسوله وتعملين للدار الآخرة، فتمسكي بحجابك وعضي عليه بالنواجذ، تمسكي بحياءك وعضي عليه بالنواجذ، ورحم الله من قال:

فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

فأين تلك الفتاة أخواتي التي كان كل همها أن ترضي ربها فتحجبت حجابها الشرعي، والتزمت بتعاليم الإسلام فكان شكلها الخارجي دليلاً على إيمانها، فهي تتحرز أن يظهر منها أصبع واحد وتخشى أن يظهر من جسمها أو لون جلدها أو مفاتنها شيء، فإذا نظر إليها أحد، رآها كالغراب الأسود بحشمتها وحرصها على الحجاب والحياء.

إن هذه المؤمنة الطاهرة تخاف من الله جل وعلا وتخشى من عقاب خالقها لذلك نراها وقد تمسكت بكل شيء أمر به خالقها وعملت به، وانتهت أيضاً عن كل شيء، نهى عنه خالقها، بينما إذا نظرنا إلى تلك الفتاة المتبرجة التي أخرجت الحياء من قلبها فنراها وهي تخرج من بيتها، وهي في قمة زينتها وقمة تبرجها، تلبس من الملابس الشيء الباهظ الغالي الثمن، وليس فوقها إلا عباءة قصيرة أو

طويلة، لكنها لا تبالي أن طيرها الهواء، بل أحياناً تراها وقد رفعت العباءة حتى تفتن غيرها وتراها تتفنن في ابداء مفاتنها ومحاسنها فتكشف عن ذراعيها وتخرج ما تلبسه من الذهب وتتباهى بذلك أمام الناس ونسيت المسكينة بأن الله جل وعلا يراقبها من فوق سبع سماوات.

فشتان ما بين الفتاتين، وشتان ما بين النهايتين.

ذهبتُ مشرقاً وذهبت مغرباً فشتان ما بين مشرق ومغرب

فشتان بين من التزمت بشرع ربها وصانت نفسها وحجابها وحياءها، وبين من فرطت في أمور دينها واتبعت هواها وشهوتها.

شتان من ترى أن الحجاب دين وشريعة وأنه سبب لصيانتها من الأقذار والدنايا، وبين من ترى أن الحجاب ما هو إلا عادة، وأنه الآن أصبح من علامات التخلف والرجعية وأنه بالنسبة لها قيود ولا بد أن تتحرر منها، وتنطلق بعد ذلك إلى الدمار والخزي والعار.

كم يذوب القلب ويتمزق الفؤاد ونحن ننظر إلى فتياتنا اليوم، أمهات المستقبل، وكل همهن آخر صرخة أو صعقة فينادي بها أصوات الشيطان، ترى للأسف أن بعض نساء المسلمين تنقاد الواحدة منهم بشكل عجيب مع كل موضة يأتي بها أعوان ابليس بينما إذا أتاها أمر من الله جل وعلا، كأنها لم تسمع شيئاً.

نجد المرأة المسلمة للأسف تعكف على حفظ نصوص الشعر والغزل والروايات السخيفة، والتي لا يكتبها إلا علمانيين، أما كتاب ربها فربما لا تحفظ منه إلا بضع آيات، ولو سألناها عن معنى آية أو معنى حديث ما استطاعت أن تجيب.

هذا والله ما أراده أعداء الإسلام أخواتي، أرادوا أن يبعدوا شبابنا وفتياتنا عن منهج الله، يبعدوهم عن شرع الله، يبعدوهم عن النور والعزة، يريدون أن يشغلوا فتياتنا عن كتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ لأنهم يعلمون أن نصر المسلمين يأتي في التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وذل المسلمين وضعف المسلمين يأتي إذا تخلى المسلمون عن كتاب ربهم، وتخلوا عن التمسك بسنة نبيهم عليه أفضل الصلاة والتسليم، فيريدون أن يجعلونا نحن الذين أعزنا الله بهذا الدين أن نكون

تبعاً لهم، وأذناباً خلفهم، وهم الذين أذلهم الله سبحانه وحقرهم.

فاحذري أختاه من أن تكوني مقلدة لكل ناعق، ولكل جديد يأتي به الغرب الملاحدة فأنت مسلمة ولقد كرمك الإسلام، وحفظ لك حقوقك ومكانتك وكرامتك وشخصيتك المستقلة بها عن غيرك فإن كنت لا بد مقتديه، فعليك بسيرة الصحابيات الفاضلات الطاهرات، عليك بالاقتداء بهؤلاء النسوة، عليك بالنظر والتأمل في هؤلاء الصالحات التقيات الداعيات إلى الله، فإن هؤلاء هن اللواتي يجدر بنا أن نتأسى بهن ونحذو حذوهن، فإنهن مشعل نور لطريق الهداية، وفي اتباعهن خير الدنيا والآخرة.

فاقتدي بالصحابيات يا أختاه، ولا تقتدي بالساقطات الداعرات، الخالعات لثوب العفة والحياء، الداعيات للفساد والرذيلة.

ووالله إنه مما يبكي القلب ويقطع النفس حسرة أن نرى الأخت المسلمة عندما ترى المرأة المتبرجة، وهي تلبس الملابس الضيقة والشفافة أو القصيرة. تظنها قدوة لها فتلبس مثلها، وإذا رأتها تلبس الفساتين الواصفة لمفاتن المرأة وربما لعورتها، قلدتها أيضاً كالببغاء تماماً، ولا تهتم ولا تراعي ولا تفكر حتى في حكم الشرع في هذه الملابس، بل الأدهى من ذلك أنه لا يهمها إذا كانت ملابسها ترضي الله تعالى أم لا، بل كل الذي يهمها هو مسايرة التقدم والرقي، فتظن المسكينة أن ذلك هو التقدم، وذلك هو الرقي، وتلك هي الحضارة، ولا تريد هي طبعاً أن تتخلف عن موكب الحضارة والرقي، وتظن إن تخلفت عن هذا الموكب تعد متخلفة رجعية معقدة، فإني أعجب والله، فإذا كان من تمسك بشرع الله جل وعلا الذي هو طريق الفوز والفلاح والسعادة، يعد متخلفاً ورجعياً ومعقداً فماذا تقولي يا فتاة الإسلام، يا من رضيت بهذا الدين، ماذا تقولين عن نبيك سيدنا محمد ﷺ وهو الذي أرسله الله لتبليغ هذا الدين، هل تقولي عنه أنه معقد؟ هل تقولي عنه أنه متخلف؟ حاشا لسيدنا محمد ﷺ أن يكون بهذه الصفات، بل والله إن عينَ التخلف والرجعية، في أفكار الغرب وتصوراتهم ومعيشتهم، لأنهم تركوا شرع ربهم فأذلهم الله، وجعل معيشتهم معيشة ضنكة، فحياتهم نكد وحسرة وألم، يتخبطون في الآلام والمرارة ويتمنون الموت في هذه الساعة قبل الغد، من ضنك العيش

الذي يمرون به، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ فكل من أعرض عن ذكر الله وهو كتابه سبحانه وحكّم هواه وشهوته، ولم يلتفت إلى أمر الله فهو داخل في هذه الآية، أي أن له معيشة ضنكاً مشقة، فله من النكد والحسرة والقلق والخوف ما يجعله في عذاب قبل العذاب الأكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كذلك فإني أعجب من المرأة المسلمة وهي تلبس الملابس الضيقة والشفافة وقد سمعت قول المصطفى ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما قط** ـ وذكر منهم ـ **ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها**» فتسمع ذلك الحديث، من أصدق الخلق من المصطفى رسول الهدى ﷺ ولكنها لا تهتم له وترمي به عرض الحائط، وكأنها تتحدى ربها جل وعلا أن يأتيها بعقاب إن كان كلام رسول الله حقاً، فأي عناد وأي استكبار أعظم من هذا، أما سمعت أخية قول الله جل وعلا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣ ـ ١٤]. فتأملي من ذلك جيداً يا أمة الله.

وأعجب أيضاً من تلك المرأة المسلمة التي تعلم أن صوت المرأة عورة إلا لحاجة، ومع ذلك تتكلم بصوت مرتفع وترقق صوتها وربما تضحك ضحكات مغرية دون اكتراث ولا مبالاة، لوجود رجال أجانب حولها، ونسيت المسكينة قول الله جل وعلا: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾.

وأعجب من تلك الفتاة المسلمة التي تعرف حكم الطيب أثناء خروجها من منزلها أو مدرستها، وبخاصة إذا وضعته ومرت به على رجال أجانب، ووجدوا ريحها، بماذا تدعى في السماء والعياذ بالله فقد قال ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت ومرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية**» وفي رواية صحيحه: «**دعيت في السماء بالزانية**»، ومع ذلك تجد من تلك المرأة المسلمة عناداً واستكباراً، فتراها وقد وضعت أقوى روائح العطور المفتن لمن يجد ريحه وتخرج وتمر على رجال أجانب، إما في الأسواق أو أي مكان آخر، وتجعل قول رسولها رسول الهدى ﷺ وراءها ظهرياً.

فوالله إنا لنعجب من هؤلاء أخواتي، لما يسمعن من نداء الحق، ومع ذلك يبتعدن عن اتباع الحق، لما يسمعن من كلام الله جل وعلا، ويتبعن أهوائهن وشهواتهن غير مبالين بكلامه سبحانه.

أختاه هل تضمنين عمرك ولو للحظة؟ هل معك ميثاق من الله جل وعلا أن لا يتوفاك قبل أن تتوبي؟ ما يدريك لعلك ـ لا سمح الله ـ تقبضين وأنت على هذه المعصية التي تعملينها، فتخيلي كيف تلقين ربك، تذكري أختاه واعلمي أن متاع الدنيا زائل وأنه لا يبقى للإنسان إلا عمله، فإن كان صالحاً فسيلقى الخير والسعادة، وإن كان دون ذلك فيا ويله مما قد يلاقي.

فحافظي أختاه على حياءك وتمسكي به، فإن المرأة إذ لزمت الحياءَ كانت أسباب الخير منها قريبة، فالحياء هو الحائل بين المرأة وبين المحظورات كلها، فبقوة الحياء، بضعف ارتكابها للمعاصي، ويضعف الحياء تقوى مباشرتها للمعاصي ورحم الله من قال:

وربّ قبيحة ما حال بيني ... وبين ركوبها إلا الحياء

وكان هو الدواء ولكن ... إذا ذهب الحياء فلا دواء

قال الإمام أبو حاتم رحمه الله: إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه، ودفن مساويه، ونشر محاسنه ومن ذهب حياؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره هان على الناس ومقت، ومن مقت أذي، ومن أذي حزن، ومن حزن فقد عقله، ومن أصيب في عقله كان أكبر قوله عليه لا له، ولا دواء لمن لا حياء له، ولا حياء لمن لا وفاء له، ولا وفاء لمن لا إخاء له، ومن قلّ حياؤه صنع ما شاء وقال ما أحب.

إذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقاً ... وتستحي مخلوقاً فما شئت فاصنع

فحافظي أختاه على حياءك، وحافظي على حجابك الإسلامي الكامل، وألقي حجاب التبرج جانباً، لتقبلي على طاعة ربك، ومزقي واحرقي كل صفحة أو رواية أو جملة هابطة تدعو لتحرير المرأة، من القيم والدين والحياء، وتدعوها إلى الرذيلة والفساد والخزي والعار، ولا تنسي أن تصمي أذنيك عن صرعات الغرب وصيحاتهم وافتحي أذنيك وقلبك لكتاب ربك وسنة نبيك فهما سعادتك في الدنيا والآخرة، وردي كيد أعداءك في نحورهم، بتمسكك بكتاب ربك وسنة نبيك، وهذا هو فعل

الفتاة المسلمة المعتزة بدينها، التي تبغي السعادة في الدنيا والراحة والطمأنينة، وتبغي السعادة في الآخرة في جنة عرضها السموات والأرض، وأبشرك أختاه بقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢] فعلى هذا الطريق سيري يا أختاه، وتمسكي به تفلحي وتفوزي.

* * *

أخلاق المؤمنات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

كم هي نعمة من الله عظيمة، ومنة منه جل وعلا جليلة، تلك النعمة التي أقبلت فيها أمة الله إلى الله، تلك النعمة التي أنابت فيها أمة الله إلى طاعة الله، أي ساعة تلك الساعة التي أنابت فيها القلوب إلى الله، أي ساعة تلك الساعة التي لبت فيها القلوب داعي الله، واستجابت فيها إلى أوامر الله تعالى.

وإن الله سبحانه إذا أراد أن يتم نعمته وأن يكمل منته تممها بالأخلاق الفاضلة وزينها بالأخلاق الحميدة التي طبع الله عليها أهل الإيمان فأهل الإيمان هم أهل الأخلاق الكريمة أهل الإيمان هم أهل الخصال الحميدة والخلال الكريمة المجيدة.

إنها الأخلاق أخواتي التي طالما وقف النبي ﷺ بين يدي ربه يناجيه ويناديه يسأله أن يهديه لأحسنها ففي الصحيح عن النبي ﷺ أنه لما قام من الليل يناجي ربه قال في دعائه: **«اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت وأنا عبدك ظلمت نفسي ظلماً كثيراً فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني إلى أحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عن سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت»**.

فسأل النبي ﷺ ربه أن يهدي قلبه إلى أحسن الأخلاق وأن يدله عليها وأن يكون هاديه إليها، سأله أن يرزقه كريم الخصال وجميل الخلال حتى يكون قريباً من الكريم المتعال.

إنها الأخلاق التي ما نزل الكتاب ولا نزلت السنة على نبي هذه الأمة إلا لكي يتمم مكارمها وكان النبي ﷺ يقول: **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»** فلما أنزل الله عز وجل على النبي ﷺ الكتاب ودله على هذا المنهج الكريم من مناهج الصواب، تمم الله عز وجل بجميع ذلك الأخلاق، وجمّلها وزيّنها فتمت نعمة الله عز وجل على البشرية بالدلالة والهداية إليها، لذلك كان من أجلّ نعم الله عز وجل

على المؤمن والمؤمنة أن يزينه ويجمله بالأخلاق الفاضلة، والمؤمنة الصادقة إذا أضافت إلى إيمانها جمال قولها وحسن فعالها إزدانت عند بارئها وارتفعت عند الله درجتها، حتى أن النبي ﷺ أخبر أن من أكرمه الله جل وعلا الأخلاق الفاضلة سيبلغه سبحانه بها الدرجات العاليات ففي الحديث الصحيح قال ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»، وكم من مؤمنة بالله جل وعلا زينها الله سبحانه وجملها بالأخلاق، أدركت بكريم أخلاقها وجميل خصالها وجليل خلالها رحمة ربها ففازت بعظيم الدرجات وفازت بجميل الحسنات.

لذلك أختي المسلمة خير ما يضاف إلى الإيمان وخير ما يزين به الإحسان أن تكون المؤمنة ملتزمة بدين ربها، ملتزمة بأخلاق الإسلام وآدابه عليها أن تتأدب بتلك الآداب التي دعا الله جل وعلا إليها وحبب القلوب فيها، فكم أنزل الله عز وجل في كتابه من آيات تدل المؤمنة على رحمة الله عز وجل وعظيم فضله سبحانه وتعالى حتى أدب الله جل وعلا المؤمنة بكتابه وهي ترفع القدم وتضع الأخرى في سيرها ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ وأدبها سبحانه وهي تخاطب الرجال ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ كم وقفت آيات الكتاب أمام هذه الجوهرة المكنونة والدرة المصونة حتى تحفظ بهاءها وتصون بالأخلاق جمالها وجلالها، فيالله من شريعة كمّل الله بها أخلاق المؤمنات حينما تلقي المؤمنة على نفسها لباس الحياء، وتكسى بكساء التقوى، وتسيرَ في طريق يرضي الله جل وعلا، ويوجب الحب والرضى من العزيز الحكيم سبحانه وتعالى، وتستمسك بكتاب الله وسنة المصطفى ﷺ.

وأول هذه الخصال وأحبها إلى الكريم المتعالي خصلة تعلقت بسويداء قلب المؤمنة خصلة دخلت إلى أعماق قلبها لا يعلمها إلا الله سبحانه تلك الخصلة التي تحقق بها إيمانها وصدق بها التزامها بشريعة ربها، إنها الاستجابة الصادقة لأوامر الله سبحانه إنها الاستجابة الصادقة لأوامر المصطفى ﷺ، إنها الاستجابة الصادقة لأوامر الكتاب والسنة فأعظم أخلاق المؤمنين والمؤمنات وأحبّها إلى الله جل وعلا الاستجابة الكاملة للكتاب والسنة، فمفتاح الخير كله في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ولقد شهد الله جل وعلا في كتابه أن من أطاعه وأطاع رسوله ﷺ أنه

قد فاز فوزاً عظيماً فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٦٧ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾.

فإن أحببت من الله جل وعلا الحب والرضى فخذي أوامر الكتاب والسنة وسيري على منهجه جل وعلا لكي تهتدي إلى الصواب، خذي بأوامر الدين وعضي عليها بالنواجذ، خذي بأوامر الكتاب كما أخذته الفاضلات من الصحابيات الجليلات.

أختاه إن مقامك عند الله على قدر العمل بالكتاب والسنة فإن الله جل وعلا لا ينظر إلى الأنساب ولا إلى الاحساب ولا إلى الجمال ولا إلى الكمال ولكن ينظر إلى ذلك القلب الذي بين جنبيك، عليك أن تسكنيه الاستجابة الصادقة لله ولرسوله ﷺ، عليك أن ترسخي فيه الانقياد التام لله جلا وعلا ولرسوله ﷺ، والله ما أجملها وما أكملها وما أحبها لله من مؤمنة إذا قيل لها قال الله قال رسول الله ﷺ، قالت بلسان الحال والمقال: سمعت وأطعت غفرانك ربنا وإليك المصير.

فحققي يا أختاه هذا الإيمان وحققي هذا الالتزام وحققي التمسك بدين الرحمن حينما تكوني أصدق المؤمنات استجابة للكتاب والسنة، واعلمي أخيه أن الله سبحانه وتعالى سيسألك عن هذا الدين وسيسألك عن هذا الكتاب وسيسألك عن سنة المصطفى ﷺ، فأيُّما آية بلغتك فإنما هي حجة لك أو عليك.

واعلمي أيضاً أن الله تبارك وتعالى سيجعل هذا الكتاب بينك وبينه فإن أجبتيه والتزمتيه واتبعتيه كتب الله لك السعادة وتأذن لك بالفضل والزيادة، وإن أعرضتي عنه ولم تقبليه ولم تعملي بما فيه فستكوني من الذين خسروا الخسارة العظمى نسأل الله تعالى السلامة.

واعلمي أيضاً أختي المسلمة أن الله تبارك وتعالى لا يغرس الاستجابة في قلب إلا أحب قالبه فأحبي أوامر الدين وخذيها وتمسكي بها وعضي عليها بالنواجذ ونفيذيها بحذافيرها دون تكذيب ولا ملل حتى تكوني من الذين فازوا بسعادة الدارين الدنيا والآخرة، أسأل الله جل وعلا أن يجعلنا وإياكن من هؤلاء.

ومن الاستجابة لأوامر الكتاب والسنة فعل فرائض الله وترك محارم الله وعفة

الأقوال والأفعال فبعد هذه الاستجابة الكريمة تظهر على المؤمنة في أقوالها وفي أفعالها وفي خصالها وفي آدابها آثار الاستجابة لربها، تظهر تلك الآثار والله حينما تكون المؤمنة أكمل المؤمنات أخلاقاً في الأقوال والأفعال، تظهر هذه الاستجابة الصادقة في قلب عفيف نقي تقي خال من الحسد والبغضاء والسوء والشحناء والظن بالمؤمنين والمؤمنات بما يوجب غضب الله عز وجل وعدم مرضاته، فإذا أرادت المؤمنة أن تحقق التزامها بالآداب الفاضلة فإن أول ما يظهر الأثر على لسانها الصادق وقالبها المحقق لطاعة الله جل وعلا.

أختي المسلمة:

إن في المؤمنة آداباً يحبها الله جل وعلا وأخلاقاً توجب الرضا من الله سبحانه هذه الآداب وهذه الأخلاق الكريمة التي كان النبي ﷺ يحبب أصحابه فيها من أعظمها بعد الاستجابة ومن أهم ما يدعوا إليها أن تكون المؤمنة عفيفة في ظاهرها وباطنها الذي يكون به الخير للمؤمنة في دينها ودنياها وآخرتها، فما كانت امرأة عفيفة إلا أقر الله عينها بالعفاف فكوني عفيفة بالقول، كوني عفيفة في العمل، كوني عفيفة في القلب والقالب، ومن عفة القول عفة اللسان وصونه عن أذية المسلمين والتقرب به بذكر إله الأولين والآخرين ولذلك قال العلماء رحمهم الله: إن للسان خصلتين حبيبتين إلى الله جل وعلا: الخصلة الأولى عفته عن أذية العباد والخصلة الثانية حرصه على ذكر رب العباد.

أما الخصلة الأولى أن يسلم الناس من هذا اللسان فهو عضو صغير لكنه عظيم خطير، فكم بهذا اللسان عبد غير الله؟ كم بهذا اللسان تقطعت أرحام وتحطمت أوصال؟ كم بهذا اللسان من قلوب قد تفرقت؟ كم بهذا اللسان من أبرياء قد قتلوا؟ كما بهذا اللسان من نساء بريئات قد قذفن؟ كم به نهبت أموال؟ كم به طلقت نساء بريئات؟ كم به عذب مظلومون؟ لهذا فاللسان حبل مرخي في يد الشيطان يصرف صاحبه كيف شاء، فكل الجوارح مرتبطه باللسان في الاستقامة والإعوجاج فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح وإذا أعوج اللسان وخاض في الباطل فإن الجوارح ستضل وماذا أبعد الحق إلا الضلال.

وفي حديث معاذ الشهير عندما سأل النبي ﷺ أن يخبره بعمل يدخله الجنة

ويباعده من النار قال النبي ﷺ: **«لقد سألت عن عظيم وأنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت»** إلى أن قال ﷺ: **«ألا أخبرك بملاك ذلك كله»** فقال معاذ: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: **«كف عليك هذا»** فقال معاذ: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، فقال النبي ﷺ: **«ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»**.

فيا أختي المسلمة كم أمست المؤمنة وقد اشترت رحمة الله بلسانها؟ كم أمست المؤمنة وقد اشترت مرضاة الله بلسانها؟ ذلك اللسان العفيف عن أعراض المسلمين، ذلك اللسان البرىء عن أذية المؤمنين، ذلك اللسان المسخر في ذكر إله الأولين والآخرين، فاستخدمي هذا اللسان في محبة الله ومرضاته واستكثري به من ذكر الله حتى تفوزين برحمة الله جل وعلا.

وإن من الآفات التي قد يتخلق بها بعض المؤمنات والمسلمات كثرة الحديث وفضول الكلام فيما لا يرضي الله عز وجل ولو كان من المباح فإن العلماء رحمهم الله قالوا: إن استرسال اللسان في الأمور المباحة قد يفضي به إلى الوقوع في الحرام، فصوني لسانك أختي المسلمة واحفظيه عن أذية بني الإنسان فإن النبي ﷺ وصف المسلم الصادق في إسلامه بقوله: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»** فليسلم المسلمون من لسانك فإياك والغيبة وإياك والنميمة، وإياك وكلمة تؤذي بها مؤمنة بالله جل وعلا، صوني اللسان واحفظيه فإنه خير لك في الدين والدنيا والآخرة، واعلمي أخيه أن من جمال المؤمنة طول صمتها عمّا لا خير فيه من كلامها فمن دليل كمال عقل المرأة وحسن استقامتها وإيمانها أن تكثر الصمت مع حسن السمت، والرسول ﷺ يقول: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»** ولا يفهم من هذا كثرة السكوت وإنما المراد أن تصان الألسن مما يغضب الله عز وجل فإذا حفظت اللسان كان ذلك اللسان نعمة لك لا عليك.

أيضاً فمن الخصال التي ينبغي للمؤمنة أن تتحلى بها وأن تتجمل بها أن تحفظ السمع والبصر فقد أخبر الله سبحانه أن السمع والبصر محل السؤال فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ فصوني السمع وما

أصغي، وصوني البصر وما رأى، فقد أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر المؤمنات بآيات فقال جل وعلا: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ فقل يا محمد، قل يا نبي الأمة، قل يا من أرسلك الله رحمة للعالمين، قل للمؤمنات، قل لتلك الفئة المباركة التي صدقت والتزمت وآمنت وحققت، قل يا محمد ليس لسائر النساء ولكن للمؤمنات فقط فلا تحفظ البصر إلا مؤمنة ولا تحفظ البصر كمال الحفظ إلا مؤمنة تخاف من الله جل وعلا من نظرة ترديها، تخاف من الله جل وعلا من نظره تشقيها، تخاف من الله جل وعلا من نظرة تهلكها، فكم نظرة أورثت شهوة، وكم شهوة أورثت حزنا طويلاً، وصدق من قال:

كل الشرور مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

لا خير في نظرة أتبعت شهوة، ولا خير في شهوة أتبعت فكرة، ولا خير في فكرة أتبعت عذاباً طويلاً، فالله الله في هذا البصر فإن الله تبارك وتعالى قد نوره، ومن نوره سيسأل عن نوره فيما بذل، أفي محبته أم فيما لا يرضيه، فاتقي الله يا أمة الله في هذا البصر، فإياك والنظرة المسمومة وإياك والنظرة الآثمة، فإن للنظر عذاباً، ولقد أخبر النبي ﷺ عن رحمة الله للمؤمن والمؤمنة التي صانت بصرها وحفظت نظرها فقال ﷺ: **«كل العيون دامعة أو باكية يوم القيامة إلا عينٌ بكت من خشية الله وعين سهرت في سبيل الله»** فإن أحببت أن لا تكون العين باكية في يوم القيامة دامعة شاكية فصونيها عما لا يحل النظر إليه.

وكذلك فعليك أختي المسلمة أن تصوني سمعك عن سماع الحرام وعن سماع ما يغضب الله جل وعلا فالسمع نعمة من الله جل وعلا وسيسألك الله جل وعلا من هذه النعمة في يوم تشيب لهوله الولدان، أفي حلال استعملتيها أم في حرام، هل سمعت فيها الكلام الطيب؟ هل سمعت فيها القرآن الكريم؟ هل سمعت فيها ما أحله الله جل وعلا؟ أم إنك اطلقت العنان لها وأخذت تسمعين ما يغضب الله جل وعلا من موسيقى وأغان وكذب وافتراء وغيبة ونميمة وبهتان وقول زور، فإياك إياك أختاه أن تكوني ممن أغضب الله جل وعلا فوالله إن السعادة كل السعادة في إرضاءه سبحانه وإن الشقاء كل الشقاء في غضبه جل وعلا.

ومن الأخلاق والآداب التي يحصل بها الخير للناس الجود والسخاء والبذل

والعطاء ولقد كان ﷺ يحث على ذلك حتى قال للنساء: «**يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار**» فلما أراد النبي ﷺ أن يرسم طريق النجاة من تلك النار دعا نساء المؤمنين إلى الانفاق والبذل والعطاء كل ذلك كرماً منه واشفاقاً عليهن فقال لهن: تصدقن، وقال ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**» فمن كريم خلال المؤمنة ومن جميل خصالها كثرة الصدقات وعلى المؤمنة أن لا تحقر من المعروف شيئاً ولو كان المبذول قليلاً فإنه عند الله عظيماً كبيراً.

فأنفقي يا أمة الله من المال واعلمي إنك موعودة بالخلف من الكريم المتعال، فلا شلت يميناً منك بذلت، أعطي لوجه الله تصدقي لله وليكن ذلك الانفاق ابتغاء مرضاة الله وما عند الله خير وأبقى، ولقد ندب النبي ﷺ إلى النفقات وأخبر أنها من أسباب رحمة الله بالعباد، فالصدقة تطفىء غضب الرب كما تطفىء الماء النار.

ومن الأخلاق التي يجب على المرأة المؤمنة أن تتحلى بها خلق الحياء والخجل فالحياء والله لا يأتي إلا بالخير كما أخبر بذلك النبي ﷺ. والحياء نعمة من الله جل وعلا وهو جمال من الله جل وعلا للمؤمنة فما أجمل المؤمنة إذا اكتسبت بحيائها وتمت لها مروءتها وأصبحت في عفة من حالها فكوني على الحياء وكوني على هذه الخصلة الكريمة فإن في بقاء الحياء بقاء الخير الكثير وفي ذهابه ذهاب الخير الكثير.

ومن الحياء البعد عن مواطن الريبة والبعد عن مخاطبة الرجال.

ومن الحياء أيضاً أن تكون المؤمنة حبيبة كريمة مع أحب الناس إليها وأقرب الناس إليها وهما الوالدان فلقد كانت نساء المؤمنين إلى عهد قريب لا تستطيع المرأة أن ترفع البصر في عين أبيها وأمها وكانت البنت أشد ما تكون حياء من والديها فمن نعم الله على المؤمنة أن يستتم حياؤها مع الوالدين فذلك مما يحبه الله ويرضاه.

ومن الحياء يا أمة الله الحياء مع الزوج والعشير والأخ والقريب والحياء في وسط النساء وذلك يظهر بلبس ما يليق بالمرأة مما يدل على كمال مروءتها وكمال حيائها فتحجبي حجابك الشرعي الكامل وكوني على أكمل حياء في ثيابك واعلمي أن الجمال كل الجمال في هذا الحياء الذي يظهر الله به الهيبة والجلال.

أختي المسلمة:

إن الآداب والأخلاق أمانة عظيمة ومسؤولية جليلة أول ما يسأل عنها هما الوالدان فإذا حُمّلت تربية الأبناء والبنات فربيهم على طاعة الله ونشئيهم على الأخلاق الموجبة للحب من الله جل وعلا، نشئيهم على طاعة الرحمن وعلى كريم الأفعال فإنها والله مسؤولية عظيمة وأمانة كبيرة وكل إنسان سيسأل عن تلك الأمانة في يوم العرض على الله تبارك وتعالى.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

امرأة تهفو إلى مثلها القلوب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد دل المصطفى ﷺ على السبل التي تحصل بها سعادة المرء في هذه الحياة، ومن هذه السبل المرأة المؤمنة التي تحوز صفات معينة تبؤها مكانة المحبة عند زوجها فقد قال ﷺ: **«أربع من السعادة»** وذكر منهم المرأة الصالحة

فالمرأة الصالحة هي السعادة في هذه الدنيا وهي التي تجعل الحياة الزوجية في سعادة وطمأنينة وهي التي تعين زوجها على طاعة الله وتمنحه السكن النفسي والراحة التامة في جميع الأمور وصدق المصطفى ﷺ حيث قال: **«الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»**.

وسنقف اليوم بمشيئة الله جل وعلا وقفات مع حادثة لامرأة صالحة فيها من العبر والفوائد الشيء الكثير الكثير، حيث تمثل هذه الحادثة صفحة مشرقة من صفحات حياة تلك المرأة الفاضلة مما يدل على إشراق حياة تلك المرأة بما يجعلها قدوة للمسلمات من بعدها.

إنها حادثة لأحدى الصحابيات الكريمات، العفيفات الطاهرات، إنها الصحابيةُ الفاضلة أم سليم الأنصارية التي كانت قدوة صالحة يقتدى بها، واسمها رضي الله عنها الرميصاء بنت ملحان بن خالد بن زيد الأنصارية، وهي والدة أنس بن مالك رضي الله عنه وأرضاه، ومناقبها كثيرة ومشهورة فهي من السابقات إلى الإسلام وكانت مجاهدة في سبيل الله شهدت أحداً وحنيناً، وكانت صبورة وقورة مكرمة لزوجها حريصة على اتباع نبيها ﷺ، كما أنها كانت متمسكة بكتاب الله جل وعلا تالية له فقيهة عالمة روت عن النبي ﷺ أربعة عشر حديثاً، كانت رضي الله عنها جاهدة في تربية ولدها على البر والتقوى، وكان لها من الولد اثنين أنس وأبوه مالك بن النضر وأبو عمير وعبد الله وأبوهما أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عن الصحابة أجمعين، وقد بشرها النبي ﷺ بالجنة حيث قال ﷺ:

«وإنني دخلتُ الجنة، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة»، وتوفيت هذه الصحابية الجليلة رضي الله عنها في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه.

والقصة التي سنتناولها اليوم هي قصة أم سليم وزوجها أبي طلحة رضي الله عنهما.

قال أنس رضي الله عنه: قال مالك أبو أنس لامرأته أم سليم رضي الله عنها وهي أم أنس إن هذا الرجل يعني النبي ﷺ يحرم الخمر، فانطلق حتى أتى الشام فهلك هناك فجاء أبو طلحة فخطب أم سليم فكلمها في ذلك فقالت: يا أبا طلحة ما مثلك يرد ولكنك امرؤٌ كافر، وأنا امرأة مسلمة، لا يصلح لي أن أتزوجك فقال: ما ذاك دهرك، قالت: وما دهري؟ قال: الصفراءِ والبيضاء، أي أن مراده أن يغريها بالذهب والفضة والمال الوفير، قالت: فإني لا أريد صفراء ولا بيضاء، أريد منك الإسلام فإن تسلم فذاك مهري ولا اسألك غيره، قال فمن لي بذلك، قالت لك بذلك رسول الله ﷺ فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه فلما رآه قال جاءكم أبو طلحة غرة الإسلام بين عينيه، فأخبر رسول الله ﷺ بما قالت أم سليم، فتزوجها على ذلك.

قال ثابت وهو أحد رواة القصة عن أنس رضي الله عنه فما بلغنا أن مهراً كان أعظم منه، أنها رضيت الإسلام مهراً، فتزوجها وكانت امرأة مليحة العينين فيها صغر فكانت معه حتى ولد له بني وذكر بعض أهل العلم أنه أبو عمير الوارد ذكره في الصحيح في حديث يا أبا عمير ما فعل النغير، وكان أبو طلحة يحب ذلك الصغير حبّاً شديداً، وفي يوم من الأيام مرض الصبي مرضاً شديداً، وتواضع أبو طلحة لمرضه وتضعضع له فكان أبو طلحة يقوم صلاة الغداة يتوضأ ويأتي النبي ﷺ فيصلي معه ويكون معه إلى قريب من نصف النهار ويجيء يقبل ويأكل فإذا صلى الظهر تهيأ وذهب فلم يجيء إلى صلاة العتمة.

فانطلق أبو طلحة عشية إلى النبي ﷺ - وفي رواية - إلى المسجد، ومات الصبي، فقالت أم سليم رضي الله عنها لا ينعين إلى أبي طلحة أحد ابنه حتى أكونْ أنا الذي أنعاه له، فهيأت الصبيَّ فسجت عليه ووضعته في جانب البيت وجاء أبو طلحة من عند رسول الله ﷺ حتى دخل عليها ومعه ناس من أهل المسجد من

أصحابه فقال: كيف ابني؟ فقالت يا أبا طلحة ما كان منذ اشتكى اسكن منه الساعة، وأرجوا أن يكون قد استراح فأتته بعشائه فقربته إليهم فتعشوا وخرج القوم، قال: فقام إلى فراشه فوضع رأسه ثم قامت فتطيبت وتصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك ثم جاءت حتى دخلت معه الفراش فما هو إلا أن وجد ريح الطيب، كان منه ما يكون من الرجل إلى أهله، فلما كان آخرُ الليل قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا قوماً عارية لهم (أي: وضعوا عند قوم أمانة) فسألوهم إياها أكان لهم أن يمنعوهم، فقال: لا، قالت فإن الله عز وجل كان أعارك ابنك عارية ثم قبضه إليه فاحتسب واصبر، فغضب ثم قال: تركتيني حتى إذا وقعت بما وقعت به، نعيت إليَّ ابني فاسترجع وحمد الله، فلما أصبح اغتسل ثم غدا إلى رسول الله ﷺ، وصلى معه فأخبره فقال رسول الله ﷺ: **«بارك الله لكما في غابر ليلتكما»**، ثم قالت أم سليم: فثقلت من ذلك الحمل، وقال رسول الله ﷺ: **«إذا ولدت فأتوني بالصبي»** قال فكان رسول الله ﷺ في سفر فضربها المخاض واحتبس عليها أبو طلحة، فقال أبو طلحة يا رب إنك لتعلم أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى، فولدت أم سليم غلاماً وقالت لابنها أنس، لا يطعم شيئاً حتى تغدوا به إلى رسول الله ﷺ وبعثت معه بتمرات، قال أنس: فبات يبكي وبت معه أسليه حتى أصبحت، فغدوت إلى رسول الله ﷺ وعليه بردة فلما نظر إليه قال لأنس: **«أولدت بنت ملحان»** قال: نعم، فقال: **«رويدك»** قال: فألقى ما في يده فتناول الصبي وقال: **«أمعه شيء»** قالوا: نعم تمرات، فأخذ النبي ﷺ بعض التمر فمضغهن فجعل يحنك الصبي وجعل الصبي يتلمظ أي يمص بعض حلاوة التمر وريق رسول الله ﷺ فكان أول ما فتح أمعاءَ ذلك الصبي ريق رسول الله ﷺ فقال: **«انظروا إلى حب الأنصار التمر»**، قال: قلت يا رسول الله سمه، قال: فمسح وجهه وسماه عبد الله، فما كان من الأنصار شاب أفضل منه، قال: فخرج منه رجل كثير و استشهد عبد الله بفارس.

وفي رواية البخاري رحمه الله: فقال رجل من الأنصار، فرأيت لهما أي من ولد ولدهما عبد الله تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن.

وقد روى هذا الحديث جمع من أهل العلم منهم الإمام البخاري والإمام مسلم والإمام أحمد والطيالسي عليهم رحمة الله.

وهذه القصة أخواتي فيها من الفوائد والعظات والعبر، الشيء الكثير الكثير، فقد كانت أم سليم رضي الله عنها صاحبة أغلى وأعظم مهر وفي اشتراطها إسلام أبي طلحة لقبول الزواج منه دليل على رجحان عقلها وقوة إيمانها بربها، فإنها رضي الله عنها لم تشترط مالاً ولا جاهاً ولا غير ذلك، بل كان اعتبارها الأول والمقدم، هو صلاح زوجها مع أنه كان قد أغراها بالمال والذهب والفضة لتقبله زوجاً لها ولكنها أبت إلا الإسلام رضي الله عنها.

والناظر في واقع كثير من نساء اليوم يرى مدى الفرق الواضح والبون الشاسع، بينهن وبين جيل أم سليم فأفكارُ وطموحات نساء اليوم في الزواج، مادية بحته، حيث تنتظر الواحدة إلى ما عند الخاطب من مال، وتطلب منه توفير الخادم والسائق وغير ذلك، مغفلة بحثها عن دين ذلك الخاطب وتقواه لله سبحانه، وهذا إن دل فهو دليل على نقص فقه ذلك الصنف من النساء، وإلا فما يعني المال والجاه عن الزوجه إذا كان زوجها لا يخشى الله ولا يتقيه بل مضيع لأوامر الله جل وعلا قائم على معصية الله سبحانه، مداومٌ على انتهاك حدوده جل وعلا فمثل ذلك الزوج لا يؤتمن على امرأة تكونُ في عصمته وتحت ولايته وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**» وحق لأم سليم رضي الله عنها أن تكون صاحبه أغلى وأعظم مهر على الإطلاق.

وأيضاً فالمتأمل بالقصة ليرى مدى الصبر ومدى قوة اليقين في قلب الرميصاء رضي الله عنها حيث فقدت ولدها فلذة كبدها فلم تفعل ما تفعله نساء المسلمين اليوم للأسف، من البكاء والنياح وشق الجيوب، لا بل كانت مؤمنة صابرة راضية بقضاء الله جل وعلا، عالمة أن الله إذا قضى أمراً لم يقضه إلا لحكمة منه سبحانه وتعالى، فصبرت رضي الله عنها على هول تلك المصيبة فكانت صابرة متحملة ذلك الأمر مع العلم أنه مرخص لها ولغيرها بالحزن الذي لا يصاحبه محذور من نياحة وندب وغير ذلك، فإن الله لا يؤاخذ بدمع العين ولا بحزن القلب وقد ثبت في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ (**دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله، فقال: «يا ابن عوف إنها رحمة»** ثم اتبعها بأخرى

فقال: **«إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»**.

فتحملت الرميصاء موت ابنها فصبرت وتحملت ولم تكتفي رضى الله عنها بالصبر بل أنها تزينت لزوجها وتعرضت له للجماع، لأنها تعلم مدى تعلق زوجها بهذا الصبي وتعلم مدى ما أصابه من جراء مرض هذا الطفل. فكيف إذا عرف موته، فتهيأت له ومهدت له لتخبره بالواقع المؤلم حتى أخبرته بعدما واقعها بأسلوب سهل لين، يدل على مدى حكمتها وعلمها رضي الله عنها وأرضاها.

وفي هذه القصة أيضاً أن على المرأة أن تتزين لزوجها وتهيء نفسها له لكي يحصل مراده منها وليس في هذا ابتذال للمرأة ولا حطّ من شأنها، كما يظن بعض المتزوجات، بل هذا من كمال وحسن معاشرة المرأة لزوجها وهذا السلوك من أسباب حب الزوج لزوجته ومودته لها، ومن النساء من تكون مقلقة لزوجها، إذا أراد منها حاجته وتتبرم بالأعذار الواهية، وتحاول أن تتخلص من طلبه بشتى الوسائل. وقد جاء الوعيد الشديد في ممانعة المرأة لزوجها إذا طلبها لفراشه حيث قال ﷺ: **«إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»**.

ومن النساء أيضاً من لا تتجمل لزوجها ولا تتزين له إلا في مناسبة لها كأن تكون ذاهبة إلى مكان ما، أما زوجها فنصيبه روائح الطبخ والملابس البالية، والأسواء من هذا الصنف أولئك اللاتي يكون لغير زوجها من الرجال الأجانب نصيب وافر من تجملها حيث تتبرج وتظهر زينتها في الأسواق والطرقات وغيرها من المجامع العامة أو المختلطة غير مبالية بزوجها أو حيائها وعفافها ولهؤلاء النسوة نتوجه إليهم لوعيد الوارد في قوله ﷺ: **«أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية»**.

ومن فوائد هذه القصة الحكمة والتمهل في إخبار المصاب بمصيبة ما، بما يخفف عليه هول سماعها وشدة وقعها وهذا يظهر لنا من خلال إخبار أم سليم رضي الله عنها لزوجها بموت ابنهما فلم تفاجئه بخبر موته، وهذا شبيه بما ذكره بعض أهل العلم من أن رجلاً صاحب علم ومكانة في قومه، وكانوا يرجعون إليه في سائر

أمورهم فلما مات ابن له حزن لذلك حزناً عظيماً، واشتد عليه الأمر والجزع، حتى اعتزل الناس ومكث في بيته لا يلتقي بأحد فلما سمعت بذلك إحدى النساء، جاءت إليه تريد مخاطبته فلم يجبها لطلبها ثم طلبت محادثته مرة أخرى، وقالت: إن لديها مسألة لا يجيب عليها أحد من الناس سواه فلما ألحت في طلبها خرج إليها فكلمته وقالت يا فلان: إني استعرت من قوم عاريه فلما مضى زمن جاءوا يطلبونها وإني لم أعطهم إياها فإنها لي لأنهم أبقوها عندي، فقال: لقد أسأت لهم إذ كان جزاؤهم أن تبادري بردها حيث أعاروكي إياها، قالت: يا فلان ولكنها بقيت عندي زمناً طويلاً فلم يطلبونها الآن، قال ذلك أجدر أن تبادري بردها عليهم، ثم انصرفت المرأة من عنده، فلما تأمل ذلك الرجل مقالة المرأة وفهم مرادها وأنها لم ترد إلا وعظه وتذكيره من خلال ذلك المثال، ترك عزلته ورجع لسابق عهده.

وفي هذه القصة أيضاً بيان فضل الاسترجاع عند المصيبة وذلك أن أبا طلحة استرجع لما أعلمته زوجته بموت ابنه فعوضه الله خيراً، والاسترجاع هو قول الإنسان إنا لله وإنا إليه راجعون، وقد مدح الله عباده المؤمنين الصابرين حيث قال جل وعلا: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ والمراد إنهم يتسلون بقولهم هذا عما أصابهم فقد علموا أنهم ملك لله يتصرف فيهم بما يشاء سبحانه، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة فأدى ذلك إلى اعترافهم بأنهم عبيده وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة ولذا فقد مدحهم الله وأثنى عليهم في هذه الآيات.

وفي صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اجرني في مصيبتي وأخلف لي خير منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها**» قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ.

ولكن من ينظر في واقع كثير من الناس اليوم فإنه يلحظ عليهم الجزع الشديد عند نزول بعض المصائب وخاصة النساء منهم، فإنه يندر منهن من تكون على الحال التي كانت عليها أم سليم لما مات ابنها، ولذا فإن الله جل وعلا جعل ثواب

المرأة التي تفقد أحداً من أبنائها ثم تصبر وتحتسب جعل الله ثوابها ثواباً عظيماً وجزيلاً، فقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، قال: اجتمعن يوم كذا وكذا فاجتمعن فأتاهن النبي ﷺ فعلمهن مما علمه الله ثم قال: **«أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد إلا كانوا حجاباً لها من النار»** فقالت امرأة: واثنين فقال رسول الله ﷺ: **«واثنين»**.

وفي القصة أيضاً بيان خلق كريم ومنهج قويم، ينبغي لكل زوج أن يسلكه مع زوجته، وذلك بأن يكون الزوج معيناً لزوجته فيما قد تحتاجه من الخدمة والرعاية وذلك هو ما فعله أبو طلحة رضي الله عنه لما بقي مع زوجته أم سليم ليرعاها حين قرب وضعها مع أنه كان حريصاً على صحبة النبي ﷺ في سفره وإقامته: وهذا الخلق الجميل يستحق صاحبه الخيرية التي شجع الرسول ﷺ لنيلها وتحصيلها حيث قال ﷺ: **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»** وليس من قيام الزوج بخدمة أهله ورعايتهم ما يجلب له التنقص أو ترك القوامه الواجبة للرجل بل ذلك يدل على كريم أخلاق الرجل وعلى تمكن المودة والرحمة والتعاون بينه وبين زوجه.

وقد كان النبي ﷺ وهو إمامُ الأمة قائماً بحاجاته وحاجات أهله في بيته فقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته، فقالت: «كان يكون في مهنة أهله (تعني خدمة أهله) فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة».

وعلى هذا درج كرام الأمة وأفاضلها من بعده ﷺ فها هو ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه يتخلف عن واحدة من أعظم الغزوات إن لم تكن أعظمها لأجل أن يرعى زوجته المريضة، وهي رقية بنت رسول الله ﷺ، فكتب له أجر من شهد الغزو وسهمه.

وفي قصتنا هذه نرى أبو طلحة رضي الله عنه يتخلف للغرض نفسه، ولكن إذا نظرنا إلى واقعنا المأساوي اليوم، وللأسف الشديد ترى تخلي كثير من الأزواج وأولياء الأمور عن مسؤولياتهم، فقد ترك الزوج الأعمال التي يتوجب عليه القيام بها لسائق يجلبه لمنزله فيذهب ويجيء بعرضه بنسائه من زوجة وبنات، وأنزل الخادم والسائق منزله المحرم للمرأة فهو الذي يلبي طلبات عمته كما يقولون،

والزوج غائبٌ عن البيت، ولا تسل عما يصاحب ذلك من منكرات عظيمة من خلوة السائق بالمرأة أو بناتها، وتركهن للحجاب أمامه مما أدى بكل هذه التجاوزات أن كانت الثمار في تلك البيوت أليمه ومرة، فإلى الله المشتكى.

وفي هذه القصة بيان ما كانت عليه أم سليم رضي الله عنها من الحرص على معاشرة زوجها بالحسنى وتطييب خاطره والحرص على رضاه وهذا ما يجب أن تكون عليه الزوجة في معاملتها لزوجها بحيث تسعى لكسب وده وتتحبب إليه بحسن المعاملة وطيب المعاشرة، فالمرأة المحبوبة هي من كانت محققة لتلك الخصال قائمة بأمر ربها قبل ذلك كله وتملأ المنزل بالسرور والهناء والسعادة، وقد جاء الوعد بالجزاء الكريم والأجر الجزيل لذلك الصنف من النساء حيث قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت الجنة من أي أبواب الجنة شاءت**».

فهذه بعض الفوائد والعبر في هذه القصة التي وقعت لأحدى النساء الفاضلات رضي الله عنها، فينبغي للمرأة المسلمة أن تكون متحفزة للسير في خطا هذه الصحابية الجليلة وغيرها من الصحابيات فهؤلاء الصحابيات خير قدوة لنسائنا، فتمسكي أختاه بأخلاق هؤلاء الكريمات واقتدي بهن في أخلاقهن وصبرهن وقوة إيمانهن، ولا تكوني من النساء اللواتي اتخذن ممثلات الغرب والشرق قدوة لهن، فرضين بالفاجرات قدوة وتركن الاقتداء بالعفيفات الطاهرات، أولئك النسوة اللواتي أسخطن خالقهن، ونبذن شريعة ربهن، وبارزنه بالعصيان، فترى الواحدة منهن قد هجرت عبادة ربها وتعلم دينها وصار همها أن تكسو جسدها بما هو سبب فتنة وفساد لغيرها، واتبعت ذلك بتقليدها للكفارات والمنحرفات من ممثلات وغيرهن ممن بعن الفضيلة ونبذن العفاف وتبرأن من الحياء، وأصبحن كسلعة تجارية تباع وتشترى في المحلات فعشن حياة الجحيم بلا عفة ولا طهارة، وأصبحن كحاويات القمامة، ما ألقي فيها شيء إلا احتوته، فرضوا بتلك الحياة التي انتشرت فيها الأمراض وضيعت فيها الأنساب فأصبحوا كقطيع البهائم وصدق المولى العظيم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

فتلك والله هي حياة أولئك الداعرات اللواتي انخدع المسلمات بهن وأصبحن يقلدنهن في كل شيء للأسف، لأنهن ظنن أن الغرب في سعادة وفي طمأنينة، فنقول لك يا أختاه إنهم والله في تعاسة، وفي هم، وفي غم، فحياتهم هم وغم وعيشهم نكد وحسرة، كيف لا يكونون كذلك وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾.

فهذا جزاءُ كل من أعرض عن ذكر الله، أن له معيشة ضنكاً، فحياته مشقة كلها نكد وهم وغم، فهل ترضين أختاه أن تكوني هكذا؟ هل ترضين أن تكون حياتك في الدنيا هم وغم وحسرة؟ بل هل ترضين أن تحشري يوم القيامة عمياء وتساقين إلى جهنم عمياء، ألا فاعتبري يا أمة الله وتمسكي بحجابك وحياءك وعفافك تمسكي بكتاب الله جل وعلا وسنة نبيه ﷺ، وكوني صالحة مصلحة، فأينما كنت فاحرصي على الدعوة إلى الله جل وعلا احرصي على نشر دين الله جل وعلا، احرصي على نشر سنة المصطفى ﷺ، احرصي على تربية أولادك التربية الإسلامية الصحيحة، حتى يكونوا دعاة إلى الحق، دعاة إلى لا إله إلا الله، دعاة إلى دين رب الأرض والسموات، فعندها سينشأ الجيل الذي يعيد للأمة الإسلامية رفعتها وكرامتها على يدك أختي المسلمة فاحرصي على هذا وتمسكي بدينك وعضي عليه بالنواجذ، تفلحي وتفوزي في الدنيا بالراحة والطمأنينة والسعادة، وتفلحي وتفوزي في الآخرة، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

* * *

صفات الزوجة الصالحة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد حرص الإسلام كل الحرص على اختيار الزوجة الصالحة، لما في تلك الزوجة من صفات التقوى والصلاح، والتي تجعل الحياة الزوجية في سعادة وهناء وراحة وسرور، فقال ﷺ: **«إن الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»**.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أربع من السعادة المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح والمركب الهنيء، وأربعٌ من الشقاء الجارُ السوء، والمرأة السوء، والمركبُ السوء، والمسكن الضيق»**.

وقال ﷺ لأصحابه: **«ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على آمر آخر»**.

والزوجة الصالحة هي التي أوصى رسول الله ﷺ بالظفر بها من أول الطريق فقال ﷺ: **«تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين ترتب يداك»**.

والمعنى أن المرأة تنكح لأربعة أمور لمالها أي أن يكون عندها مال ولحسبها أي لشرفها من الآباء والأقارب ولجمالها أي تكون ذات جمال ولدينها أي عندها دين وملتزمة بشرع الله سبحانه وتعالى، فاظفر بذات الدين تربت يداك، وهذا يعني أن اللائق بالرجل الذي عنده دينٌ ومروءة أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء لا سيما فيما تطول صحبته كالزوجة طبعاً.

وأيضاً فقد رغب الإسلام في طاعة الزوج وإرضاءه وبين المصطفى ﷺ أن في طاعة المرأة لربها ولزوجها أجر عظيم جدّاً وهو الأجر الذي يريده كل إنسان ألا وهو الجنة، فقال ﷺ: **«إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»**.

وقال ﷺ أيضاً: «**نساءكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود على زوجها، التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها وتقول: لا أذوق غمضاً حتى ترضى**» أي لا أذوق نوماً حتى ترضى.

فهذه هي الزوجة التي نفذت ما أمرها به خالقها من طاعة زوجها فكانت بذلك تستحق رضا المولى تبارك وتعالى ومن ثمّ تنال جناته سبحانه وتعالى، أما إن خالفت المرأة أمر زوجها وضيعت حقوقه عندها سيسخط الله تبارك وتعالى عليها وستلعنها الملائكة ولن تقبل صلاتها فقد قال ﷺ: «**ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم** ـ وذكر منهم ـ **وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط**» وطبعاً يكون هذا السخط لسبب شرعي كسوء خلق وارتفاع عن طاعته.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه** ـ أين أنها ترفض وتمتنع ـ **إلا كان الذي في السماء** ـ أي الله تبارك وتعالى ـ **ساخطاً عليها حتى يرضى عنها**».

وفي رواية للبخاري: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**» فاللعنة تستمر عليها حتى تزول المعصية برضى زوجها وتوبتها ورجوعها إلى الفراش.

وقد قال ﷺ لأحد النساء: «**أذات زوج أنتِ**»، قالت: نعم، قال: «**كيف أنت له؟**» قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه ـ يعنى لا أقصر في طاعته وخدمته ـ قال: «**فانظري أين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك**».

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل** ـ أي ضيف ـ **يوشك أن يفارقك إلينا**».

وكل امرأة ترجوا الله والدار الآخرة لتحرص كل الحرص على إرضاء ربها بطاعة زوجها وتحرص كذلك على تعلم صفات الزوجة الصالحة من كتاب الله جل وعلا وسنة نبيه ﷺ وأقوال سلفنا الصالح عليهم رحمة الله لكي تعمل بتلك الصفات وتتمسك بها حتى تنال رضى الله سبحانه وتعالى ومن ثم الفوز بجناته جل و علا.

والزوجة الصالحة أخواتي هي المداومة على طاعة الله تعالى بأداء حقوقه جل وعلا من صلاة وصيام وعفة وحجاب وغير ذلك، وهي المداومة أيضاً على طاعة زوجها في غير معصية الله تعالى وأداء حقوقه كاملة فإذا غاب عنها زوجها حفظت نفسها من يد تلمس أو عين تبصر أو أذن تسمع، وحافظت كذلك على أولاده وعلى بيته وماله فالله جل وعلا يقول: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾.

فالزوجة الصالحة مطيعة لله تعالى، مطيعة لزوجها، حافظة له في غيبته، والزوجة الصالحة هي التي تخدم زوجها في منزله فتهيء له الطعام والشراب والفراش وكل شيء، فهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تبين لنا أروع الأمثلة في خدمة المرأة زوجها فقالت رضي الله عنها وأرضاها، تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير جمل يسقي عليه الماء وفرسه، فكنت أعلف فرسه وأستسقي الماء وأخيط دلوه وأعجن ولم أكن أحسن أخبز وكان يخبز لي جارات لي من الأنصار وكن نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أعطاه رسول الله ﷺ على رأسي وهي مني على ثلاثة أميال أي بعيدة عني مقدار ثلاثة أميال، فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار فدعاني ثم قال: إخ إخ وهي كلمة تقال للبعير ليبرك ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد عليّ من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم فكأنما أعتقني.

ألا فكوني يا أختاه مثل تلك الصحابية، واقتدي بها وسيري على نهجها.

والزوجة الصالحة أختاه هي التي تحفظ سرّ زوجها وخاصة ما يجري بينه وبينها في الخلوة، فإفشاء سر الزوج مما يؤلمه ويسخطه وهو ينافي طاعته وإرضاءه وأيضاً فإن حفظ السر من شأن الصالحات القانتات الموصوفات بقوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ لأن من حفظهن لغيبة أزواجهن أن لا يفشن سرّهم.

عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال

والنساء قعود فقال: **«لعل رجل يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها»** فسكت القوم فقلت: أي والله يا رسول الله إنهن ليفعلن وإنهم ليفعلون، قال: **«فلا تفعلوا فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق، فغشيها والناس ينظرون»** نعوذ بالله من ذلك.

والزوجة الصالحة أخواتي هي التي تظهر لزوجها بأحسن حال بحيث لو نظر إليها سرته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ أي النساء خير؟ قال: **«التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره»** فسرور الزوج إذا نظر لتلك الزوجة لحسنها ظاهراً ولحسن أخلاقها باطناً ولدوام اشتغالها بطاعة الله جل وعلا.

والزوجة الصالحة هي التي لا تخرج من مال زوجها ولا مالها إلا بإذن زوجها فقد قال ﷺ: **«لا يجوز لامرأة عطيه إلا بإذن زوجها»** وكذلك فهي لا تأذن لأحدٍ بدخول بيت زوجها إلا بإذنه فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه»** أي لا تأذن لأحد بدخول بيته أو الأكل فيه إلا بإذنه.

والزوجة الصالحة هي التي تشكر زوجها على ما يقدمه من خير وإحسان لها وذلك بالقول الحسن وبطاعتها له بالمعروف وعدم نسيان إحسانه واجتناب جحده فإن هذا من موجبات دخول النار، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن»** قيل أيكفرن بالله؟ قال: **«يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى أحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيرا قط»**.

وقال ﷺ: **«لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه»**.

والزوجة الصالحة هي التي لا تخلع ملابسها في غير بيت زوجها فقد قال ﷺ: **«أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها خرق الله عز وجل عنها ستره»** فكانت تلك عقوبتها لأنها لما لم تحافظ على ما أمرت به من التستر عن الأجانب، جوزيت بذلك والجزاء من جنس العمل.

والزوجة الصالحة أخواتي هي التي تسعى إلى إرضاء زوجها بكل وسيلة

ممكنة، كما قال ﷺ: «نساؤكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود على زوجها، التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها وتقول: لا أذوق غمضاً حتى ترضى».

قال الإمام الذهبي رحمه الله فالواجب على المرأة أن تطلب رضى زوجها وتجتنب سخطه ولا تتمنع منه إذا أرادها، وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في نفسها ولا في ماله إلا بإذنه، وتقدم حقه على حقها، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها وتكون مستعدة لتمتعه بها، بجميع أسباب النظافة، ولا تفتخر عليه بجمالها ولا تعيبه بقبح إن كان فيه، ويجب على المرأة أيضاً دوام الحياء من زوجها وغض طرفها قدامه، والطاعة لأمره، والسكوت عند كلامه، والابتعاد عن جميع ما يسخطه، وترك الخيانة له في غيبته في فراشه وماله وبيته، وطيب الرائحة، وتعاهد الفم بالسواك والمسك والطيب، ودوام الزينة بحضرته وتركها لغيبته، وإكرام أهله وأقاربه وأن ترى القليل منه كثيراً. انتهى كلامه رحمه الله.

فهذه هي صفات الزوجة الصالحة فإن كنت يا أختاه تريدين الفوز والنجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، فعليك بالاتصاف بتلك الصفات التي تجعل منك زوجة صالحة تقية، تطيع ربها وزوجها وتبتغي حياة سعيدة في الدنيا ونعيماً كبيراً في الآخرة.

أما الأسباب التي تعينك يا أختاه على تحصيل صفات الصالحات، فأولها هو معرفة عظمة الله جل وعلا وأنه الحق المهيمن، ودينه سبحانه هو المنهج القويم، وشرعه جل وعلا هو الصراط المستقيم، ومعرفة كمال حكمته في أمره ونهيه وقضائه واختياره فهو سبحانه أرحم الراحمين، فلا يأمر عباده إلا بما فيه صالح دينهم ودنياهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، ولا ينهاهم إلا عما فيه شقاؤهم في الدنيا والآخرة فشرعه سبحانه هو الرحمة والخير والبركة، ومن انتهجه وسلكه فاز بالسعادة في الدارين، وعاش حياة ناعمة طيبة ملؤها الفرح والسرور كما قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧] فهذا خبر أصدق الصادقين فلا بد لكل من عمل صالحاً أن يحييه الله حياة طيبة بحسب إيمانه وعمله

فإن الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة وقبولها، بل لا تسمى الأعمال صالحة إلا بالإيمان فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح فسيحييه الله حياة طيبة وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه ويرزقه الله رزقاً حلالاً من حيث لا يحتسب ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾، فسيجزيهم الله في الآخرة من أصناف اللذات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وفي المقابل فقد قال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴿١٢٤﴾ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ﴿١٢٥﴾ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦] فمن أعرض عن ذكر الله جل وعلا وهو القرآن الكريم وترك تدبره والعمل به فإن له معيشة ضنكاً أي فإن جزاءه أن نجعل معيشته ضيقة مشقة ولا يكون ذلك إلا عذاباً فإن له من ضيق الصدر ونكد العيش وكثرة الخوف ما يجعله في عذاب في هذه الدنيا فضلاً عن عذاب الآخرة حيث قال سبحانه: ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ أي سيكون هذا المعرض عن القرآن يوم القيامة أعمى البصر فعندها يقول: ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ﴿١٢٥﴾﴾، فيا رب ما الذي صيرني إلى هذه الحالة البشعة وأنا كنت بصيراً في الدنيا فيقول له الجبار جل جلاله: ﴿قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴿١٢٦﴾﴾ فقد أتتك الآيات والنذر فأعرضت عنها فنسيك المولى في العذاب ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا علمت الزوجة هذه الأمور سارعت إلى طاعة الله جل وعلا وما أمر به من طاعة زوجها وبادرت إلى أداء حقوقه بلا تردد ولا تكاسل فقد قال الله تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ومما يعين الزوجة على الاتصاف بأخلاق الصالحات، الرغبة فيما أعده الله عز وجل لهن في الجنة، من الخير الكثير والثواب الجزيل والنعيم الوفير الذي لم تره عين ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر.

وكذلك فمما يعين الزوجة على الاتصاف بأخلاق الصالحات الخوف من عقاب الله سبحانه وسخطه وما أعده للعصاة في الآخرة من العذاب الشديد الأليم أعاذنا الله وإياكن منه.

وعلى الزوجة المسلمة أن تستعين بالله جل وعلا لتحصيل صفات الصالحات فإن ذلك لا يمكن طبعاً إلا بتوفيق الله ومعونته وتسديده، فقد قال ﷺ: **«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»**.

وأعظم ما يعين الزوجة على صلاحها مصاحبة الصالحات التقيات واستماع حديثهن والتشبه بهن وعدم مجالسه رفيقات السوء والاستماع لهن فقد قال ﷺ: **«مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»**.

قال الإمام النووي رحمه الله: وفي الحديث فضيلةُ مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع وأهل الفجور والعصيان، فالجليس الصالح إما أن يحذيك يعني يعطيك شيئاً من الريح الطيب، ألا وهو المسك، وإما أن تشتري منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، أما نافخ الكير فإما أن تقترب منه فيحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة، فهذا الفرق بين أصدقاء الخير وأصدقاء الشر، فإن صحبة الأخيار ومجالستهم قد تجعل الشرير خيراً كما أن صحبة الأشرار قد تجعل الخير شريراً، فهذه بعض الأسباب وأهم الأسباب التي تعينك أختاه على التحلي بأخلاق الصالحات فاعملي بتلك الأسباب حتى تكوني من الصالحات فتنالي رضى الله جل وعلا.

وهذه وصية أم عاقلة لابنتها بعد زواجها حيث قالت لها: أي بنية إنك فارقت بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي فيه درجت، إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، (يعني خرجت من بيت أبيك الذي ترعرعت فيه إلى بيت زوجك)، فكوني له أمة يكن لك عبداً واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً، (أي تدخرينه لما يصلح حياتك)، أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة، وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم إلا أطيب ريح، (يعني أن تهتمي وتراعي مظهرك وجمالك).

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه فإن حرارة الجوع ملهبة، (يعني أن الزوج من شدة الجوع يغضب) وتنغيص النوم مغضبة. (يعني

وتكدير نومه فيه مغضبة له أيضاً)، وأما السابعة والثامنة: فالاحتفاظ بماله والإرعاءُ على جسمه وعياله، (يعني رعايةُ خدمته وعياله)، ثم قالت رحمها الله: وملاك الأمر (أي قوامه) في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشين له سرّاً ولا تعصين له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره، واتقيِ مع ذلك كله الفرح إذا كان حزيناً والاكتئاب إذا كان فرحاً فإن الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وأشد ما تكونين له إعظاماً أشد ما يكون لك إكراماً، وأشد ما تكونين له موافقة (تعني في الآراء والأمور)، أطول ما يكون لك مرافقة، واعلمي يا بنية أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثري رضاه على رضاكِ وتقدمي هواه على هواك فيما أحببت أو كرهت، والله يضع لك الخير وأستودعك الله.

فهذه هي صفات الزوجة الصالحة، النقية التقية، المؤمنة الصابرة، العفيفة الطاهرة، التي يتطلع لها ويرغب في الزواج منها، من أراد السعادة في دينه ودنياه وآخرته ورحم الله أحد السلف حيث وصف الزوجة الصالحة فقال: إن الزوجة التي تندب إليها هي الهينة اللينة العفيفة، التي تعين أهلها على العيش، ولا تعين العيش عليهم، لا تؤهل داراً (بمعنى لا تجعل دارها آهلة بدخول الناس عليها)، ولا تؤنس جاراً (أي لا تؤنس الجيران بدخولها عليهم).

وهذا مثال للزوجة المطيعة الصالحة، وهي زوجة شريح القاضي رحمه الله تعالى، فعن الهيثم بن عدي رضي الله عنه قال: حدثنا مجاهد عن الشعبي قال: قال لي شريح القاضي. يا شعبي عليك بنساء بني تميم، فإني رأيت لهن عقولاً، قال: وما رأيت من عقولهن؟ قال: أقبلت من جنازة ظهراً فمررت بدورهم فإذا أنا بعجوز على باب دار وإلى جنبها جارية كأحسن ما رأيت من الجواري فعدلت فاستسقيت وما بي عطش، فقالت: أي الشراب أحب إليك، فقلت: ما تيسر، قالت العجوز: ويحك يا جارية أتيه باللبن، فأني أظن الرجل غريباً، قلت: من هذه الجارية. قالت: هذه زينب ابنة جرير إحدى نساء حنظلة، قلت: فارغة أو مشغولة؟ (يعني متزوجة أم لا)، قالت: بل فارغة، فقلت: زوجينها. قالت: إن كنت لها كفئاً.

فمضيت إلى المنزل فذهبت لأقيل فلم أستطع النوم، فلما صليت الظهر أخذت بأيدي إخواني من القراء الأشراف علقمة والأسود، وسعيد بن المسيب ومضيت أريد عمها فاستقبل فقال: يا أبا أمية ما حاجتك؟ فقلت: زينب بنت أخيك فقال: ما بها رغبة عنك قال: فأنكحنيها، فلما صارت في حبالي ندمت وقلت أي شيء صنعت بنساء بني تميم، وذكرت غلظ قلوبهن، فقلت: أطلقها، ثم قلت: لا ولكن أضمها إلي فإن رأيت ما أحب وإلا كان كذلك، فلو رأيتني يا شعبي، وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أدخلت عليَّ فرأيت فيها حسناً فاتناً وجمالاً نادراً، فقلت في نفسي إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلي ركعتين فيسأل الله من خيرها ويعوذ من شرها فصليت وسلمت فإذا هي من خلفي تصلي بصلاتي، فلما قضيت صلاتي أتتني جواريها فأخذن ثيابي وألبسنني ملحفة قد صنعت من العصفر، فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدي إلى ناحيتها فقالت: على رسلك أبا أمية كما أنت ثم قالت:

الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله وبعد: فإني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك فبين لي ما تحب فآتيه وما تكره فأتركه، وقالت: إنه قد كان لك في قومك منكح أي تزوجت من قومك قبلي وفي قومي من الرجال من هو كفءٌ لي، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك.

قال: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع فقلت: الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على النبي وآله وأسلم وبعد: فإنك قد قلت كلاماً إن تثبتي عليه يكن حظك وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وكذا وأكره كذا وكذا وما رأيت من حسنة فاشتريها وما رأيت من سيئة فاستريها، ثم قالت: كيف محبتك لزيارة أهلي؟ قلت: ما أحب أن يملني أصهاري، قالت: فمن تحجب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن لهم، ومن تكرهه أكرهه؟ قلت بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء.

ثم قال شريح: فبت يا شعبي بأنعم ليلة وعشت معها حولاً أي سنة لا أرى إلا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، فإذا بعجوز تأمر

وتنهى في الدار فقلت من هذه: قالوا فلانة ختنك أي أم زوجتك فذهب عني ما كنت أجد، فلما جلست أقبلت العجوز فقالت: السلام عليك يا أبا أمية فقلت: وعليك السلام من أنت، قالت أنا فلانة ختنك فقلت: قربك الله، قالت: كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة، فقالت لي: يا أبا أمية إن المرأة لا تكون أسوأ منها في حالتين إذا ولدت غلاماً أو حظيت عند زوجها فإن رأيت شيئاً تكرهه فعليك بالسوط، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شرّاً من المرأة المدللة فأدب ما شئت أن تؤدب، وهذب ما شئت أن تهذب، فقلت: أما والله لقد أدبت فأحسنت الأدب، فكانت تأتيني في رأس كل سنة توصيني تلك الوصية، فمكثت مع زوجتي عشرين سنة لم أعتب عليها في شيء إلا مرة واحدة وكنت لها ظالماً فقد أخذ المؤذن في الإقامة وكنت إمام الحي فإذا بعقرب تمشي ببطء فأخذت الإناءَ وقلبته عليها ثم قلت: يا زينب لا تتحركي حتى آتي، فلو شهدتني يا شعبي وقد صليت ورجعت فإذا أنا بالعقرب قد ضربتها فأخذت أدلكها وأقرأ عليها بالحمد والمعوذتين. والمقصود أن تلك الزوجة الصالحة لم تتحرك لأن زوجها قال لها: لا تتحركي حتى آتي، فأرادت أن تطيع زوجها ولا تتحرك حتى خرجت العقرب وضربتها، فتأملوا في ذلك رحمها الله رحمة واسعة وأدخلها فسيح جنانه.

فلو كان النساء كمن ذكرنا ... لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... وما التذكير فخر للهلال

ألا فاتقي الله يا أمة الله واقتدى بهؤلاء وسيري على طريقهم فطريقهم والله هو طريق السعادة، طريق الفلاح، هو طريق الفوز، طريق يوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة، طريق تنالي به رضا زوجك ورضا الله جل وعلا، طريق تفوزين فيه بجنة عرضها السموات والأرض.

فتمسكي بهذا الطريق يا أمة الله وتمسكي بتلك الصفات حتى تكوني زوجة صالحة وامرأة صالحة وتكوني خير متاع الدنيا كما قال ﷺ: **«الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»** أي أن الدنيا متاع زائل وخير ما فيها من هذا المتاع المرأة الصالحة، لأنها تسعد صاحبها في الدنيا وتعينه على أمر الآخرة فهي خير وأبقى، ورحم الله من قال:

وخير النساء من سرت الزوج منظرا ... ومن حفظته في مغيب ومشهد
قصيرة ألفاظ قصيرة بيتها ... قصيرة طرف العين عن كل أبعد
عليك بذات الدين تظفر بالمنى ... الودود الولود الأصل ذات التعبد

وفي الختام تذكري قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ فإنها والله لحياة السعادة في الدنيا، بالتقاء الزوجين في رحاب المحبة والمودة، في رحاب الطهر والعفاف، في سبيل انشاء جيل يرضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً وقدوة، جيل يفخر بانتسابه للإسلام، جيل يرفع كلمة لا إله إلا الله في كل البلدان، تلك هي حياة السعادة في الدنيا، أما في الآخرة فالصحبة في جنات عدن كما قال سبحانه: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ (٢٤)﴾ وقال أيضاً: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ (٥٦)﴾. فلمثل ذلك فاعدي يا أمة الله.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يثبتنا وإياكن على طريقه المستقيم، وأن يعيننا جميعاً في أمور ديننا ودنيانا ويرزقنا العلم النافع والعمل الصالح ويجعلنا من أصحاب الجنان، إنه سميع قريب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

نماذج من سير الصالحات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلقد قص الله عز وجل في كتابه قصص الصالحات وبين على لسان رسوله الله ﷺ تلك المواقف المشرفات من تلك النماذج الطيبات الطاهرات، من قرون خلت، وأزمنة مضت، مضت بإيمان وصبر ويقين بالله سبحانه، مضت تلك القلوب الصالحة وقد سطرت في دواوين المجد عبراً لا تنسى، وذكريات توجب من الله عز وجل الرحمة والرضى، ومع هذه القرون الخالية ومع ذلك الرعيل الطاهر ونسمة من عبير ذلك الجيل، نقف مع بعض النساء الطاهرات من سلف هذه الأمة، حتى نقتدي بهن ونسير على نهجهن، ونمشي بطريقهن، كما قال الحق سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.

وأول وقفة لنا مع الإيمان والثبات على الإيمان مع امرأة آمنت بربها ورضيت عن الله ورضي الله عنها امرأة كالنساء كاملة مطهرة مختارة من الله جل وعلا لنبيه ﷺ، امرأة أحبها الله وأحبت الله ورضيت عن الله ورضي الله عنها، أنها المرأة المؤمنة العفيفة الطاهرة التقية النقية التي واست النبي ﷺ بنفسها وبمالها، إنها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها التي أحبها الله عز وجل وأحبها نبيه ﷺ: أحبها الله حتى نزل جبريل الأمين يحمل سلام الله عليها، ففي صحيح البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن جبريل جاء إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد جاءتك بإناء فيه شراب أو طعام فإن هي أتت فأقرأها من الله السلام ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب».

إنها خديجة أخواتي إنها مثال اليقين، مثال الإيمان، إنها خديجة التي ثبت الله بها أحب القلوب إليه إنها خديجة التي واست رسول الله ﷺ بمالها وواسته بفؤادها إذ شاركته أحزانه وشاطرته آماله وآلامه ما جاءها خائفاً إلا أمنته بعد الله، ولا جاءها رسول الله ﷺ وقد استولى عليه الخوف حتى قالت له: كلا والله

لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فيالله من امرأة مؤمنة دخل الإيمان إلى أعماق قلبها فهان كل شيء عليها وكل مصيبة تواجهها في سبيل الله سبحانه ومضت إلى عفوه وغفرانه جل وعلا، ولكنها سطرت لأجيال المؤمنات، سطرت للصالحات التقيات، سطرت لهم ديواناً من المجد ائتست به صالحات وأي صالحات، فقد مشى على دربها الفاضل وسار على طريقها المستقيم، نساء مؤمنات قد بعن الدنيا واشترين الآخرة، سار على درب خديجة نساء صالحات قد وقر الإيمان في أعماقهن وثبت اليقين في قلوبهن، نساء ضحين بالغالي والنفيس في سبيل الله جل وعلا.

وإن مضت خديجة الأمس فخديجة اليوم باقية، وكم من نساء صالحات طاهرات نسمع عنهن في هذا الزمان قصصاً تعيد لنا ذكرى خديجة كم من زوجة صالحة الآن اهتدى زوجها على يدها وعرفته طريق المساجد، إن ذهبت خديجة فقد أبقت لنا أمثالها، إن ذهبت خديجة فقد أبقت لنا أشباهها.

وإن واست خديجة الأمس رسول الله ﷺ بالدين والمال والنفس فخديجة اليوم تواسي الداعية إلى الله سبحانه، تواسي زوجها وهو داعية إلى الله، فتضحي بمالها في سبيل الدعوة إلى الله، وتضحي بأوقاتها لكي تعينه على مرضات الله سبحانه، إنها خديجة اليوم التي تحتسب عند الله جل وعلا ما يحل بها من محن ومصائب، فتصبر على تلك المصائب وتحتسب أجرها عند الملك الديان.

إنها خديجة اليوم التي نطمع أن نرى أمثالها وأن نسمع ذكراها فنضر الله وجهها وكثّر في المسلمين سوادها.

ومن خديجة رضي الله عنها إلى مقام الإيمان والتوحيد والصبر على الإيمان بالحميد المجيد، من خديجة رضي الله عنها إلى سمية رضي الله عنها وأرضاها تلك المرأة التي أهينت من أجل لا إله إلا الله تلك المرأة التي آمنت بربها وصدقت بوحدانية خالقها فأخذت إلى العذاب الذي يفضي بها إلى رحمة ربها، أخذت إلى العذاب الذي فيه مهانة الدنيا ولكن مآله كرامة الآخرة، إنها سمية أول شهيدة في الإسلام وسابع سبعة في الإسلام.

إنها سمية التي رضيت أن تنال العذاب وأن ترى ما ترى من صنوف البلاء والمهانة في الله ولله وكل ذلك من أجل أن يرضى عنها الله فما وهنت في طاعة الله وما ضعفت في سبيل الله، فيا له من قلب موحد لله يا له من قلب سكن التوحيد بشعابه، ونزل إلى أعماق جذوره فاهتدت بهدى ربها فلم تبتغ عن سبيله تحويلاً ولا عنه دليلاً، إنها سمية بنت خيّاط أم عمار بن ياسر التي كان قومها إذا اشتدت الظهيرة والتهبت الرمضاء خرجوا بها هي وابنها وزوجها إلى الصحراء في شدة الحر، وتحت نار الشمس المحرقة فألبسوهم دروع الحديد وأهالوا عليهم الرمال وأخذوا يرمونهم بالحجارة، وكان المصطفى ﷺ يمر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون في رمضاء مكة فيتأثر الحبيب ﷺ بأبي وأمي هو ثم يقول مسلياً لهم ومبشراً لهم: صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة. ثم أراد عمار وأبوه رضي الله عنهما أن يتفاديا ذلك العذاب المر فأظهرا الكفر على لسانهما وقلباهما مطمئنان بالإيمان وقد عذر الله أمثالهما بقوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

أما سمية فإنها أبت ذلك ورفضت واعتصمت بالصبر على العذاب وأبت أن تعطي القوم ما سألوا من الكفر بعد أن ذاقت حلاوة الإيمان فذهبوا بروحها الطاهرة وأفظعوا قتلتها فقد ضربها الكافر أبو جهل بحربة في موضع عفتها فماتت على الفور وكانت أول شهيدة في الإسلام رضي الله عنها وأرضاها.

إنها سمية الأمس التي صبرت على طاعة الله وعلى محبة الله وأوذيت في الله وعايشت ما عايشت من البلاء والضنك في سبيل طاعة الله ومرضات الله، وأشباه سمية في عصرنا الحاضر كثير ولا زال الخير من الأمة بفضل الله سبحانه، فكما أن الخير من الرجال فإن الخير موجود في النساء فلا زالت سمية في الأمة باقية.

إنها سمية اليوم أخواتي التي تعيش بهدايتها وحيدة بين أسرة كاملة لا تعرف الهداية، إنها سمية اليوم التي بإيمانها وطاعتها لربها وعفافها بين أخوات وزميلات بعيدات عن الله سبحانه، إنها سمية اليوم التي تؤذى في لباسها فتصبر وتحتسب وتؤذى في حياتها فتصبر وتحتسب وتؤذى في شيمها وعفتها فتصبر لوجه الله وتحتسب، إنها سمية اليوم الصادقة مع ربها الموقنة بلقاء خالقها، إنها سمية اليوم التي لم تلتفت إلى مفاتن الأزياء ولم يغرها ما غر غيرها من النساء، إنها سمية اليوم التي أوذيت باللسان وسمعت من الكلام ما كرهت ولكنها ألقت ذلك وراءها

ظهرياً، ورضيت بالله ورضيت بالبقاء على طاعة الله وعلى محبة الله، لأنها تعلم أن ما عند الله خير وأبقى.

فطوبى لتلك المرأة الصابرة، طوبى لتلك المرأة المؤمنة طوبى لها وحسن مآب.

ومن سمية الصابرة المؤمنة إلى الصديقة بنت الصديق، إلى المبرئة من فوق سبع سماوات، إلى المرأة التي سكن الإيمان قلبها ونزل اليقين بفؤادها، إنها عائشة رضي الله عنها حبيبة رسول الله ﷺ صديقة بنت صديق، إنها عائشة التي تربت في بيت الصديق وتربت في بيت النبوة مع خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

إنها عائشة التي رضيت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً وزوجاً محبوباً، أكرمته وأحبته وارتضته، عاشت هذه المرأة المؤمنة الطيبة الطاهرة مع رسول الله ﷺ وكانت مثالاً لكل زوجه وقدوة لكل امرأة، إنها عائشة رضي الله عنها التي فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، أحبها رسول الله ﷺ فكانت أحب الناس إليه، أحبها لديانتها، أحبها لطهارتها، أحبها لصلاحها وعفتها رضي الله عنها، عاشت مع رسول الله ﷺ في عيشة الفقر ولكنه والله فقر الظاهر وغنى الجواهر، عاشت فقره في الظاهر ولكنها غنية بالله عز وجل رضيت أن تعيش ثلاثة أشهر وما يوقد في بيتها نار، فرضيت بهذه العيشة لعلمها أن رضوان الله عز وجل فيها.

إنها الصديقة الطاهرة التي عاشرت رسول الله ﷺ بعين تراقب حركاته وسكناته، وبسمع يصغي لكل لفظ من حديثه، فكانت وعاء من أوعية السنة، وحافظة من حفاظ الصحابة، وعت أكثر من ألفين حديث عن رسول الله ﷺ فنضر الله ذلك الوجه ونضر الله تلك الصورة التي حفظت للأمة دينها، وما اختلف أصحاب رسول الله ﷺ في شيء من هديه داخل بيته إلا ورجعوا إلى الصديقة يختارونها حكماً بينهم، حتى قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وأرضاه: ما اختلف أصحاب رسول الله ﷺ في أمر ورجعوا إلى عائشة إلا وجدوا عندها خبراً وأثراً.

إنها عائشة أخواتي التي رسمت منهجاً للصالحات في المثابرة في محبة الله سبحانه بطلب العلم والتعلم، فهي مثال لكل زوجة عالم ومثال لكل زوجة داعية،

ومثال لكل مؤمنة تبتغي الله والدار الآخرة، رسمت عائشة رضي الله عنها المنهج الصالح لكل من أراد النجاة بالصبر على العيشة اليسيرة وعفتها عن الغنى الذي يرديها ويهلكها، رضيت بذلك فأرضاها الله سبحانه.

ونحن اليوم نعيش مع عائشة اليوم، نعيش مع تلك النماذج الحية من نساء مؤمنات صالحات طاهرات، جعلن عائشة قدوة لهن فسرن على نهجها واتبعن سبيلها.

إننا نعيش مع عائشة اليوم تلك النماذج الطيبة الطاهرة مع النساء الحافظات لكتاب الله، نعيش مع عائشة اليوم وهي ساهرة في طلب العلم بعين ترجوا رحمه الله ترجو الفوز بالكرامة من عند الله وتصغي بسمع يطلب رضوان الله.

إننا نعيش مع عائشة اليوم تلك الداعية المخلصة التي نذرت نفسها للدعوة إلى الله فأصبح حب الدعوة في عروقها، إنها عائشة الصالحة إنها عائشة الفاضلة، إنها عائشة التي صبرت على البلاء فأوذيت في أقدس شيء بعد الإيمان ألا وهو العفة والشرف فمست عفتها وكرامتها وقفت رضي الله عنها أيام محنة الإفك ذلك الموقف العصيب الرهيب حينما أصبحت ألسنة الناس تلوك في عرضها ومن شرفها وقيل عنها ما قيل من الافتراءات والكذب والبهتان، ولكن عائشة المؤمنة كانت أكبر من تلك المقالة حينما تعلقت بالله ولاذت بالله واستعاذت بالله، فكانت مع الله جل وعلا فبرأها الله سبحانه وتعالى ودافع عنها إذ أنزل في شأنها آيات تتلى إلى يوم القيامة، أنزل قرآناً يتلى إلى يوم الدين ولم تكن تحلم أن ينزل الله عز وجل في شأنها قرآناً، ولكن منزلتها عند الله كبيره وعظيمة، فدافع الله عنها وأنزل من براءتها الآيات وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ۝٣٨ ﴾ [الحج: ٣٨].

وكل امرأة تؤمن بربها وتؤذى في عرضها ترسم نهج هذه الصالحة فتصبر لوجه الله، وتحتسب الأذية عند الله وترجو في مصابها وبلائها المثوبة من عند الله.

إنها عائشة اليوم أخواتي التي تؤذى وتتهم في عرضها وعفتها ولكنها ثابتة لوجه الله صادقة الإيمان بالله تصبر على تلك المكائد وتصبر على كل ما يروجه كل معاند وحاسد، تصبر على الكلام الجارح، تصبر على الكلمات القاسية، وتتمثل بهدي تلك المرأة الصالحة وترسم خطى تلك الصديقة الفاضلة.

عائشة رضي الله عنها كانت مثالاً في الزكاة ومثالاً في الجود والسخاء، فتحت لها أموال الدنيا فما التفتت إلى تلك الأموال، بعث لها عبد الله بن الزبير رضي الله عنها وعنه مئة ألف دينار فوصل لها المال في يوم كانت صائمة لله سبحانه فما إن وقع المال في يدها حتى تذكرت جنان الخلد التي ترجوها عند ربها فبذلت تلك المئة في طاعة الله ومحبة الله، فرقت تلك المئة على الفقراء والمساكين والمحتاجين حتى أمسى المساء وما عندها منها شيء، فلما أذن المغرب طلبت فطورها، طلبت شيئاً ترد به جوعها وظمأها، فقالت لها أم ذر رضي الله عنها: لم لم تبقي شيئاً من المال حتى نشتري لك طعاماً فليس عندنا ما نأكله. فقالت لها الصديقة: لماذا لم تذكريني يرحمك الله فقد نسيت.

سبحان الله لم تبق من المئة ألف شيئاً تَطْعَمُ به طعامها ولكنها أبقت رضوان الله، وأبقت الرجاء فيما عند الله، صامت لوجه الله ذلك اليوم وصامت مع صيام الجسد عن شهوة الدنيا، صامت عن فتنة الدنيا وزهرتها، فبذلت ذلك المال كله لوجه الله حتى نسيت طعام فطورها فيالله من قلب يؤمن بالله، ويالله من فؤاد يرجو رحمة الله، ويالله من صديقة تلتمس رضوان الله قالت لها أم ذر رضي الله عنها: هلا تركت من المئة ألف شيئاً تفطرين به، فقالت الصديقة لا تلوميني هلا ذكرتيني؟ فيالله ذَهِلَتْ عن الدنيا حينما تذكرت رحمة الله ورجت بالفوز بما عند الله فرضي الله عنك يا عائشة وجمعنا بك في الجنة.

ذهبت عائشة ومضت وخلفت للنساء المؤمنات ذلك المثال الصادق ببذل المال لوجه الله واحتساب الأجر عند الله، ذهبت عائشة إلى رحمة الله ورضوان الله، ولكنها رسمت المنهج لعائشة اليوم حينما اقترنت بها وائتست بها، فكم نسمع قصصاً في عصرنا الحاضر نتذكر بها نساء السلف المؤمنات، كم نسمع قصصاً في عصرنا الحاضر يتجدد بها عهد عائشة رضي الله عنها، أمرأة من نساء المؤمنين في العصر الحاضر كانت ابن ثرى من الأثرياء وشاء الله جل وعلا أن قبضه إليه فخلف الأموال الكثيرة.

فجاء مساء ذلك اليوم وجاءها زوجها بملغ ضخم من المال يقدر بحوالي خمس ملايين ريال فلما أخبرها الخبر وقال لها هذا قسمك من ميراث أبيك، فقالت؛ كم هو؟ فقال كذا وكذا، فقالت والله لا أطعم منه شيئاً وأيتام المسلمين

يعانون الجوع وأراملهم يقاسون البرد والعناء، ثم قالت: والله لا يمسي هذا المال وعندي منه شيء.

فيا الله من مؤمنة صابرة ويا الله من مؤمنة صادقة، إنها قلوب الصادقات التي آمنت برب العالمين سبحانه فنسيت الدنيا وزهرتها وتذكرت الآخرة ونعيمها.

وإن نسينا فلا ننسى أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنه التي زوجها الله جل وعلا برسوله ﷺ من فوق سبع سماوات وكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات. تقول عائشة: لم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب فكانت أتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تَصَدَّق به وتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى.

وروى الإمام مسلم من حديث عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ: **«أسرعُكُنَّ لحاقاً بي أطولُكُنَّ يداً»** قالت: فكانت زينب أول من لحق بالنبي ﷺ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق.

فبمثل زينب وعائشة اقتدي يا أمة الله عسى أن تحشري معهن في الدار الآخرة.

أخواتي المسلمات، إن نماذج الصالحات نور في القلوب ودليل يدل على رحمه علام الغيوب، إنها النماذج الحية التي إذا قرأت المؤمنة سيرهن تذكرت كتاب الله تعالى، فكلامهن يذكر بالقرآن، وأفعالهن تذكر بالقرآن، وأخلاقهن تذكر بالقرآن، فالله الله أن تستبدل المؤمنة من تلك السير العطرة والمواقف النضرة بسير الماجنات الداعرات.

الله الله أن تنسى المرأة المؤمنة تلك النماذج الحية التي تسبقها إلى رياض الجنان.

فيا أيتها المؤمنة التي تعلق قلبها بالجنان... ويا أيتها المؤمنة التي ترجو الرحمة من الكريم الرحمن... شمري عن ساعد الجد في زمان الغربة وجددي مآثر الإسلام في هذا الزمان الذي عظمت فتنته... جددي مآثرهن بالأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة فليست العبرة والله أن نذكر سير أولئك الصالحات وليست

العبرة أن نقص أخبارهن، ولكن العبرة كل العبرة أن يترجم أمثالكن يا معشر المؤمنات الصالحات، يا معشر التائبات العابدات، يا معشر المنيبات القانتات، أن تجددن تلك المواقف وأن تترجمن هذه السير وهذه المواقف إلى حياة عملية، وإلى تطبيق على الأرض، عسى أن نحشر مع أولئك الصالحات ومع أولئك الصالحين في جنات رب العالمين سبحانه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

بمثل هؤلاء اقتدي يا أمة الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فالسلام عليكن ورحمة الله وبركاته، السلام على كل مؤمنة بالله والسلام على كل مهتدية بشرع الله، السلام على تلك المرأة المؤمنة التي آمنت بربها والتزمت بدينها وسارت على نهج خالقها، هنيئاً والله لكل مؤمنة، هنيئاً والله لكل صالحة ملتزمة بدين ربها، هنيئاً لك أختاه على الإيمان وأسأل الله أن يثبتك على هذه النعمة التي هي أعظم نعمة ينعمها الله سبحانه على عباده، ألا فاحمدي الله يا أختاه على نعمة الإسلام، ألا فاحمدي الله على نعمة الإيمان، ألا فاحمدي الله جل وعلا الذي هداك لهذا الدين، ألا فاحمدي الله سبحانه الذي كرمك وطهرك ورفع منزلتك، ووالله الذي لا إله غيره لم ترفع منزلة المرأة تحت أي مِظَلَّة مثلما رفعت تحت مظلة لا إله إلا الله محمد رسول الله، ليس هذا فحسب بل أنزل الله جل وعلا فيك وفي أخواتك سورة كاملة باسم سورة النساء وسورة أخرى باسم سورة مريم وسورة ثالثة باسم سورة المجادلة، ليس هذا فحسب بل خصك الله جل وعلا بأحكام عديدة في كتابه الكريم في حين كانت المرأة قبل هذا الدين سلعة رخيصة، سلعة ممتهنة كسقط متاع عاد على وليها ولذلك كانت تعامل كالبهائم بل قد تفضل البهائم عليها، اسمعي إلى قول الله عز وجل حينما يصف ماضياً فيقول: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: ٥٨ ـ ٥٩].

لا إله إلا الله إنه ليئدها ويقتلها ويدفنها حية أحياناً، فاسمعي يا أمة الله إلى تلك القصة، يذكر أن صحابياً اسمه عبد الله بن المُغَفَّل رضي الله عنه كان إذا جلس عند رسول الله ﷺ ظهر على وجهه حزن وكآبة، حزن عظيم وكآبة عظيمة، فسأله النبي ﷺ في سبب حزنه ذلك الذي لا ينقطع أبداً فقال الصحابي: يا رسول الله كنت في الجاهلية فخرجت من عند زوجتي وهي حامل وذهبت في

سفر طويل ولم أعد إلا بعد سنوات وجئت وإذا بزوجتي قد أنجبت لي طفلة تلعب بين الصبيان كأجمل ما تكون الأطفال طفلة جميلة برئية تلعب وتلهو وهي فرحة سعيدة، قال: فأخذتها وقلت لأمها: زينيها زينيها وهي تعلم أني سأئدها وسأقتلها، فقامت أمها تزينها وهي تبكي بكاء مرّاً وبها من الهم والغم والحزن ما بها فأخذت تزينها وهي تقول لزوجها يا رجل لا تضيع الأمانة، قال: فلما زينتها أخذتها كأجمل ما يكون الأطفال براءة وجمالاً وحسناً وبهاءً ثم خرجت بها إلى شعب من الشعاب، وبقيت في ذلك الشعب أبحث عن بئر أعرفها هناك فجئت إلى بئر ليس فيه قطرة ماء قال: فوقفت على شفير البئر ثم أخذت أنظر إلى ابنتي الصغيرة فيرق قلبي عليها لما بها من البراءة وليس لها من ذنب ثم أتذكر نكاحها وسفاحها، وأتذكر العار فيقسو قلبي عليها وأخذت أتقلب بين هذين الأمرين وأخذت أعيش بين هاتين العاطفتين قال: ثم استجمعت قواي وأخذتها ورميتها على رأسها في وسط تلك البئر قال: وبقيت أنتظر هل ماتت هل فقدت الحياة، ثم بعد لحظات سمعتها تقول: يا أبتاه ضيعت الأمانة ترددها وترددها حتى انقطع صوتها، فوالله يا رسول الله ما ذكرت تلك الحادثة إلا وعلاني الحزن والهم، وتمنيت أن لو كنت نسياً منسياً ثم نظر إلى النبي ﷺ فإذا دموعه تنهمر على لحيته ﷺ وإذ به يقول: «يا عبد الله والله لو كنت مقيماً حدّاً على رجل فعل فعلة في الجاهلية لأقمته عليك ولكن الإسلام يجب ما قبله» أو كما قال ﷺ.

ألا فاحمدي الله يا أخت الإسلام الذي هداك لهذا الدين وشرفك بهذا الدين وأكرمك بهذا الدين ورفع قدرك بهذا الدين يوم ضل غيرك من نساء العالمين، واعلمي يا أخية أن الله جل وعلا قد وعد بالحياة الطيبة لمن آمن وعمل الصالحات فقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

أخواتي المسلمات إن المسلمة تحتاج في كل زمان ومكان إلى قدوة صالحة إلى قدوة حسنة تسير على نهجها، وتسلك سبيلها، تحتاج إلى تلك النماذج الطيبة الطاهرة التي حملت المعادن الكريمة حملت قلوباً تعظم الله وحملت جواهر تؤمن بلقاء الله وتعظم الله وتجل الله.

تحتاج إليها المسلمة الطاهرة لكي تسير على نهجها لكي تتأدب بآدابها

وتتخلق بأخلاقها، ولقد قص الله عز وجل في كتابه قصص الصالحات وبين على لسان رسوله ﷺ تلك المواقف المشرفات من تلك النماذج الطيبات الطاهرات من قرون خلت وأزمنة مضت، مضت بإيمان وصبر ويقين بالرحمن، وسطرت في دواوين المجد عبراً لا تنسى وذكريات توجب من الله عز وجل الرحمة والرضى، فمع تلك النماذج الطاهرة ومع ذلك الرعيل الطيب وصدق العظيم إذ يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ وأول تلك النماذج الطاهرة نقف مع الإيمان والثبات، نقف مع الصبر واليقين، نقف مع سيدة نساء أهل الجنة إنها فاطمة بنت رسول الله ﷺ تلك المرأة العفيفة الطاهرة، التقية النقية، التي تربت في بيت النبوة، وتربت في بيت رسول الله ﷺ، وذاقت ما ذاقه ذلك البيت من أذى في سبيل الله عز وجل، ترى أباها ﷺ وهو يقوم بالدعوة يقف صفاً واحداً والبشرية كلها صف ضده، تراه وهو يصلي وهي جارية صغيرة فيقول أحد الكفرة المشركين أيكم يمهل هذا المرائي حتى يسجد فيأخذ سلىٰ جزور بني فلان فيضعه على ظهره ﷺ، رأت فاطمة ذلك المنظر وهي طفلة صغيرة تتربى على لا إله إلا الله محمد رسول الله، يسجد أبوها ﷺ ويضع ذلك الوغد الكافر السلى على ظهره الشريف بأبي وأمي هو، يضع السلى والفرث والدم على ظهره ولم يجد ﷺ نصيراً له في تلك اللحظة بعد الله تبارك وتعالى إلا ابنته فاطمة وهي جارية صغيرة لتمتد يدها وتأخذ السلى من على ظهره وتدعو عليهم وتشتمهم وتسبهم.

عاشت رضي الله عنه حياة رسول الله ﷺ في أيام كان في مكة ويوم هاجر إلى المدينة ويوم استقر هناك، انظري إليها أختي المسلمة في تمسكها بدينها وتمسكها بعفتها وحيائها وصبرها العظيم، تلك المرأة التي تزوجت بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه ووالله ما حملت معها الجواهر ولا الذهب ولا الفساتين ووالله ما دخلت القصور ولا الدور وإنما دخلت بيتاً من طين، أما جهازها يا أمة الله فهو وسادة محشوة بليف وسقاء وجرتين ورحى تطحن الحب عليه وهي سيدة نساء العالمين رضي الله عنها وأرضاها.

فاطمة بنت النبي ﷺ، بنت ملك الدولة، بنت رئيس الدولة الإسلامية العظمى، تنام على وسادة محشوة بليف، وتطحن الحب بيدها، نعم والله كانت تفعل ذلك ووالله ما ضرها ذلك ولا أنقص من قدرها، انظري إليها أختي المسلمة

يوم يتحدث عنها زوجها في آخر حياته يتحدث عنها علي رضي الله عنه فيقول: كانت بنت رسول الله ﷺ وكانت أكرم أهله عليه جرت بالرحى تطحن الحب حتى أثر الجر في يدها واستقت بالقربة حتى أثر الحبل في نحرها رضي الله عنها وأرضاها، وقمّت البيت حتى اغبرت ثيابها رضي الله عنها، وأوقدت النار حتى تغيرت هيئتها ودنست ثيابها وأصابها من ذلك ضر أيما ضر.

يا سبحان الله بنت رسول الله ﷺ تطحن الحب حتى أثر ذلك في يدها وتستقي بالقربة حتى أثر الحبل في نحرها، وتوقد النار حتى تتغير هيئتها.

ألا فلتسّمعي ذلك يا من تتكبرين عن العمل وعن خدمة زوجك... ألا فلتسمعي ذلك يا من تسمع زوجها العبارات القاسية والكلمات المؤذية وتتمنن عليه بخدمته.

إنها فاطمة أخواتي بضعة منه ﷺ أخذت من علمه وفقهه ﷺ انظري إليها أختاه يوم تقم البيت وتوقد النار وتجر بالرحى وتطحن الحب وهي صابرة محتسبة ذلك عند الله جل وعلا لم تتسخط ولم تشتكِ ولم تعارض قضاء الله عز وجل ثم فوق ذلك تربي أبناءها تربية عظيمة، تربيهم على كتاب الله وعلى سنة رسوله ﷺ وأن لا يراقبوا أحداً غير الله عز وجل، فمن كان من أبنائها، كان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة رضي الله عنهما.

فيا أختاه: هي بنت من؟ هي أم من؟ هي زوج من؟ بنت نبي الله ﷺ، هي أم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، هي زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه المبشر بالجنة، وهي من هي فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.

انظري إليها أختاه يوم طلب علي رضي الله عنه أن تذهب إلى رسول الله ﷺ لكي يخدمها مملوكة من المماليك فذهبت واستحت أن تكلمه فرجعت إلى علي رضي الله عنه الذي ذهب معها إلى رسول الله ﷺ وكلماه في الخادم فهل قال ﷺ سأنفذ أمركما على الفور، هل قال لأصحابه: اصرفوا لهما مملوكاً فهي ابنتي وزوجها ابن عمي، لا والله ما قال ذلك ولكن قال ﷺ: لا والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تتلوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيع المماليك وأنفق عليهم، فذهبا رضي الله عنهما إلى بيتهما ثم جاء النبي ﷺ في الليل إليهما فإذا

فاطمة ابنته وعلي زوجها في فراش واحد وعليهما غطاء أن غطيا رأسهما بدت أقدامهما وإن غطيا أقدامهما انكشف رأسهما.

ثم قال لهما ﷺ: **«أولا أدلكما على خير لكما من خادم»** من الذي قال ذلك؟ إنه من لا ينطق عن الهوي إن هو إلا وحي يوحى فقالوا: بلى يا رسول الله فقال: **«إذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين فذلكما خير لكما من خادم»** قال علي رضي الله عنه: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن فقيل له: ولا ليلة صفين؟ فقال: ولا ليلة صفين.

فتلك هي فاطمة أختي المسلمة فهلا اقتديت بها؟ هلا ائتسيت بها؟ تلك والله هي سيدة نساء أهل الجنة كما قال ذلك ﷺ: فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ أسرّ إلى فاطمة حديثاً فبكت ثم أسر إليها حديثاً آخر فضحكت فلما سألناها في ذلك قالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ فلما توفي ﷺ قالت عائشة لها: عزمت عليك بما لي عليك من حق لما أخبرتني فقالت: أمّا الآن فنعم، في المرة الأولى قال: إنه سيقبض في وجعه الذي توفي فيه وإنني أول أهل بيته لحاقاً له فبكيت فلما رأى جزعي قال: **«أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة»** فضحكت لذلك.

فهلا ائتسيت بفاطمة أختي المسلمة؟ هلا جعلتيها قدوة لك؟ هلا قلت ذلك الذكر قبل أن تنامي؟ هلا صبرت وتحملت كل شيء في سبيل الله جل وعلا؟ هلاّ سرت على طريقها لتحشري معها؟

وها هي ابنه سعيد بن المسيب عليه رحمه الله ـ وهذا مثل للأخوات المتعلمات ـ لما دخل عليها زوجها وكان من طلبة العلم أصبح من الصباح فأخذ رادءه يريد أن يذهب إلى مجلس سعيد بن المسيب ليتعلم العلم، فقالت له زوجته: أين تريد؟ قال: إلى مجلس أبيك سعيد أتعلم العلم، فقالت له: اجلس أعلمك علم سعيد، فوجد ما كان يتعلمه من سعيد عند ابنته.

هكذا والله تكون المرأة المسلمة وهكذا والله تكون المعلمة الفاضلة تصبح نوراً يشع في البيت، نوراً على زوجها، نوراً على أبنائها فلا يخرج من البيت إلا طيبين وصالحين بإذن رب العالمين سبحانه.

وإن نسينا فلا ننسى عائشة رضي الله عنها تلكم العالمة التي ملأت الأرض

علماً حتى قال فيها الزهري رحمه الله لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل وأكثر وأفيد.

وهذا أبو قادمة الشامي يقف خطيباً في يوم من الأيام على المنبر يعظ الناس ويذكرهم بفضيلة الجهاد في سبيل الله جل وعلا، ماذا كان من هذا الرجل خرج من المسجد وقد تنافس الناس للذهاب إلى القتال في سبيل الله، وخرج يمشي في شارع من شوارع المدينة، وإذ بامرأة تقول يا أبا قدامه السلام عليك، فلم يرد عليها السلام لأنه خشي أن تفتنه ونبيه ﷺ قال: **«فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»** فلم يرد عليها في المرة الأولى فأعادت عليه السلام فلم يرد عليها وفي الثالثة قالت: السلام عليك يا أبا قدامة ما هكذا يفعل الصالحون، قال: فتوقفت فتقدمت إلي وقالت سمعتك وأنت تشحذ الهمم للجهاد في سبيل الله جل وعلا وفتشت فلم أجد والله أغلى عندي من ضفيرتي شعري فقصصتهما فخذهما واجعلهما لجاماً لفرسك في سبيل الله علّ الله أن يكتبني من المجاهدات في سبيله.

فلا إله إلا الله تقص ضفائرها لتكون لجاماً لخيل الله ولجند الله وأخرى تقص ضفائرها لتكون أشبه بالبغايا والعاهرات فشتان ما بينهما ومن تشبه بقوم فهو منهم.

وها هي صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وشقيقة أسد الله حمزة وزوجة العوام .شقيق خديجة رضي الله عنها تلكم المرأة الحازمة التي ربت للامة أول فارس سل سيفا في سبيل الله وهو الزبير بن العوام توفي عنها زوجها وترك لها الزبير وهو طفل صغير فنشأته على الخشونة وربته على الفروسية لم تنشأه على التنعم، ولا على الميوعة حتى أصبح الرجال الآن أشباه رجال ولا رجال، وإنما نشأته على الفروسية وكانت تقدمه في كل مخوفة وكانت ترميه في كل خطر تريد أن تجعله لبنة صالحة في هذا المجتمع فإذا تردد عنها ضربته وأوجعته حتى أن أحد أعمامه يوماً من الأيام قال لها: إنك تضربينه ضرب مبغضة لا ضرب أم فقالت: إن من قال إني أبغضه فقد كذب فإني والله أضربه حتى يصبح فارساً شجاعاً مقداماً يرفع راية لا إله إلا الله.

هاجرت رضي الله عنها إلى المدينة النبوية وهي في الستين من عمرها تركت مكة وفرت بدينها إلى الله عز وجل في المدينة وفي يوم أحد ولما رأت ما حل

بالمسلمين وهي تسقيهم بالماء هبت كاللبؤة وانتزعت رمحاً من أحد المنهزمين ومضت تشق الصفوف به وهي تقول: ويحكم أتنهزمون عن رسول الله ﷺ، فلما رآها النبي ﷺ خشي أن ترى أخاها حمزة وقد مثّل به المشركون فما كان منه ﷺ إلا أن أشار إلى ابنها الزبير وقال له: دونك أمك أو كما قال ﷺ. فقال الزبير: إليك إليك فقالت: تنح عني لا أم لك وقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، فقالت: الأمر أمر الله وأمر رسوله. تسليم تام، انقياد تام، طاعة تامة، فتوقفت ثم قالت: والله لقد بلغني أنه مثّل بأخي حمزة، ولأصبرن وذلك في ذات الله وفي سبيل الله، ثم انتهت المعركة فما كان منها إلا أن وقفت على أخيها وقد بُقِرَتْ بطنه وأخرجت كبده وقطعت أذناه وشوه وجهه، فاستغفرت الله له، وأخذت تقول: في ذات الله لقد رضيت بقضاء الله، لم تلطم خدّاً ولم تشق جيباً ولم تنح وما كان لها أن تكون كذلك وهي تعلم وتوقن أن ذلك قضاء وقدر وعليها أن تسلم لأمر الله.

وها هي في يوم الخندق يوم وضع النبي ﷺ النساء في حصن حسان وهو حصن من أمنع الحصون ولم يترك معهن من الرجال أحداً وذهب الجيش إلى الخندق فما كان منها إلا أن رأت يهودياً يتسلل إلى هذا الحصن يريد أن ينظر هل في الحصن رجال أم يقتحم اليهود هذا الحصن ليسبوا النساء والذراري فلما رأته أخذت عموداً من الحصن ثم هجمت عليه وضربته حتى قتلته ولم تكتف بذلك، فقطعت رأسه وصعدت إلى أعلى الحصن ثم رمت برأسه على اليهود فتدحرج رأس اليهودي بينهم، فقال اليهود: قد علمنا أن محمداً لن يترك النساء بلا رجال، فكانت صفية رضي الله عنها أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين.

فرضي الله عن صفية ربت وحيدها أحسن تربية وأصيبت بشقيقها فاحتسبت ذلك وعملت لهذا الدين وضحت من أجل رفع كلمة لا إله إلا الله.

ولنقف مع نموذج أخير وهو أم الإمام أحمد الذي مات عنه أبوه وهو صغير فكفلته أمه الزاهدة العابدة الصائمة القائمة، فأخذت تقوم على تربيته، وهذا هو دور المرأة يوم تكون صالحة تنتج اللبنات الصالحة، فنشأت ابنها على حب الله ورسوله وعلى حب كتاب الله، يقول الإمام أحمد: حفظتني القرآن وعمري عشر سنوات وكانت توقظني قبل صلاة الفجر بوقت ليس بالقصير، وتدفيء لي الماء لأن الجو كان بارداً في بغداد وتلبس اللباس ثم نصلي أنا وإياها ما شئنا ثم تنطلق إلى

المسجد وهي مختمره لتصلي معه صلاة الفجر في المسجد وعمره عشر سنوات وتبقى معه حتى منتصف النهار لتعلمه العلم ولتربيه التربية السليمة ليكون لبنة صالحة ينفعها يوم تقدم على الله جل وعلا، يقول: فلما بلغت السادسة عشرة قالت: يا بني سافر في طلب الحديث، فإن طلب الحديث هجرة في سبيل الله، فأعدت له بعض متاع السفر من أرغفة الشعير ومن صرة ملح ومن بعض مستلزمات السفر، ثم قالت: إن الله إذا استودع شيئاً حفظه فاستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، فذهب من عندها إلى المدينة وإلى مكة وإلى صنعاء ليعود إليها وهو الإمام أحمد وقد قدم للأمة ما قدم ولأمه إن شاء الله من الحسنات مثل ما عمل الإمام أحمد، ومثل من يعمل بعمل الإمام أحمد إلى أن نلقى الله بمنه وكرمه، فرحم الله أم الإمام أحمد ورضي الله عن نساء السلف.

فلو كان النساء كمن ذكرنا ... لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... وما التذكير فخر للهلال

فهؤلاء هن القدوة يا أمة الله ألا فاقتدي بهن وسيري على طريقهن وتمسكي بنهجهن، عسى أن تنالي رضى الله تعالى، وتحشري معهن في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

* * *

يا من تريدين النجاة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

أختي المسلمة:

امرأة صالحةٌ تقيةٌ تحبُّ الخير لا تفتر عن ذكر الله، لا تسمح لكلمة نابية أن تخرج من فمها. إذا ذكرت النار خافت وفزعت، ورفعت أكف الضراعة إلى الله طالبة الوقاية منها، وإذا ذكرت الجنّة شهقت رغبة فيها، ومدّت يديها بالدعاء والابتهال إلى الله أن يجعلها من أهلها. تحب الناس ويحبونها، وتألفهم ويألفونها، وفجأة تشعر بألم شديد في الفخذ وتسارع إلى الدهون والكمادات ولكن الألم يزداد شدة.

وبعد رحلة في مستشفيات كثيرة، ولدىٰ عدد من الأطباء سافر بها زوجها إلى لندن، وهناك وفي مستشفى فخم وبعد تحليلات دقيقة يكتشف الأطباء أن هناك تعفناً في الدم، ويبحثون عن مصدره فإذا هو موضع الألم في الفخذ، ويقرر الأطباء أن المرأة تعاني من سرطان في الفخذ هو مبعث الألم ومصدره العفن. وينتهي تقريرهم إلى ضرورة الإسراع ببتر رجل المرأة من أعلى الفخذ حتى لا تتسع رقعة المرض.

وفي غرفة العمليات كانت المرأة ممددة مستسلمة لقضاء الله وقدره، ولكن لسانها لم ينقطع عن ذكر الله، وصدق اللجوء والتضرع إليه.

ويحضر جمع من الأطباء ـ فعملية البتر عملية كبيرة ـ ويوضع الموس في المقص، وتدنى المرأة، ويُحدد بدقّة موضع البتر. وبدقّة متناهية ووسط وجل شديد ورهبة عميقة يوصل التيار الكهربائي، وما يكاد المقص يتحرك حتى ينكسر الموس وسط دهشة الجميع، وتعاد العملية بوضع موس جديد، وتتكرر الصورة للمرة الثالثة ـ لأول مرة في تاريخ عمليات البتر التي أجريت من خلاله ـ حتى ارتسمت علامات حيرة شديدة على وجوه الأطباء، الذين راحوا يتبادلون النظرات. اعتزل كبير الأطباء بهم جانباً، وبعد مشاورات سريعة قرر الأطباء إجراء جراحة للفخذ

التي يزمعون بترها، ويالشدة الدهشة!! ما كاد المشرط يصل إلى وسط أحشاء الفخذ حتى رأى الأطباء بأم أعينهم قطناً متعفناً بصورة كريهة، وبعد عملية يسيرة نظف فيها الأطباء المكان وعقموه، صحت المرأة وقد زالت الآلام بشكل نهائي حتى لم يبق لها أثر.

نظرت المرأة فوجدت رجلها لم تمس بأذىٰ، ووجدت زوجها يحادث الأطباء الذين لم تغادر الدهشة وجوههم، فراحوا يسألون زوجها هل حدث وأن أجرت المرأة عملية جراحية في فخذها، لقد عرف الأطباء من المرأة وزوجها أن حادثاً مرورياً تعرضا له قبل فترة طويلة، كانت المرأة قد جُرِحَتْ جرحاً بالغاً في ذلك الموضع، وقال الأطباء بلسان واحد إِنها العناية الإلهية.

وكم كانت فرحة المرأة وكابوس الخطر ينجلي، وهي تستشعر أنها لن تمشي برجل واحدة كما كان يؤرقها. فراحت تلهج بالحمد والثناء على الله الذي كانت تستشعر قربه منها، ولطفه بها، ورحمته لها.

أختي المسلمة:

قصة هذه المرأة نموذج من نماذج لا حصر لها من أولياء الله الذين التزموا أمره، وآثروا رضاه على رضا غيره، وملأت محبته قلوبهم، فراحوا يلهجون بذكره لا يفترون عنه، حتى أصبح ذكر الله نشيداً عذباً، لا تمل ألسنتهم من ترديده، بل تجد فيه الحلاوة واللّذة، وهؤلاء يقبلون على أوامر الله بشوق، ويمتثلون أحكامه بحب، والله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن هؤلاء، بل يمدهم بقوته ويساعدهم بحوله، ويمنعهم بعزته، وبعد ذلك يمنحهم رضاه ويحلهم جنته.

أختي المسلمة:

الإنسان في هذه الحياة يغتر بقوّته العارضة وماله الزائل، فينتفش ويشعر أنه أقوى الناس سلطاناً وأجرؤهم لساناً، وأمضاهم يداً، وأوضحهم حجة، وأكثرهم ناصراً، وأقلهم احتياجاً، وما إن تهب رياح الزمان فتصيبه مصيبة ـ ربما كانت لسهولتها في آخر قاموس المصائب ـ حتى يزول السلطان ويذهب الجاه، ويبدو كطفل صغير يبحث عن أبيه، يلتمس مساعدة الناس، ويبالغ في عرض مأساته طلباً لرحمتهم.

إن الإنسان بدون الركون إلى الله والتعلق به والالتجاء إليه يصبح حيواناً! يتبع غرائزه، ويعشق ذاته، ويدور حول منفعته؛ عكس المسلم الصادق الذي ينطلق من تعاليم دينه، فيحب للناس الخير ويكره لهم الشر، ويشمر عن ساعديه في مساعدة بائسهم، ويكشف عن ساقيه للإسراع في قضاء حاجات ملهوفهم.

أختي المسلمة:

من أهم ما يتميز به المسلم والمسلمة اللذان تعلق قلباهما بالله، وطبقا في حياتهما شرعه، وامتثلا أمره، تلك الراحة النفسية والاطمئنان القلبي، فلا تراهما إلا مبتسمين حتى في أحلك الظروف وأقسى الحالات، فهما يدركان أن ما أصابهما لم يكن ليخطئهما، وأن ما أخطأهما لم يكن ليصيبهما، فلا يتحسران لفوات محبوب، ولا يتجهمان لحلول مكروه، فربما كان وراء المحبوب مكروهاً ووراء المكروه محبوباً ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. لا تغرهما زخارف الدنيا وإن كانا لا يتركان نصيبهما منها ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القصص: ٧٧]. لمعرفتهما أنّ الدنيا بقِصَر عمرها وامتلائها بالغصص والنكد لا تستحق أن يغضب الإنسان من أجلها، ولا أن يتحسر لفوت شيء منها، فهي لا تساوي شيئاً مع الآخرة دار القرار، حيث النعيم الأبدي، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، للمؤمنين الصادقين.

أختي المسلمة:

لو صَفَتْ الدنيا من الأكدار، وخلت من المصائب - وذاك محال - فإن مجرّد تذكر الموت يجعل حلوها مرّاً، وكثيرها قليلاً، وطويلها قصيراً، وصفوها كدراً، هذا لو ضمن الإنسان لنفسه عمراً طويلاً، فكيف وهو إذا أصبح خشي ألاّ يمسي وإذا أمسى خَشِي ألا يُصبح، وإذا انقشعت سحابة مصيبة أقبلت أخرى. يروّعه فقد الأقربين، وموت الأصدقاء، وعندما يُحس بألم عارض في عضو من أعضائه، أو يخيل إليه زيادة في خفقان قلبه، أو يحسّ بقلة شهية للطعام، يرتسم شبح الموت أمام ناظريه، فإذا هو يفزع ويخاف فيزداد مرضاً، وتخيم عليه الوحشة، وكأن ذلك الخوف مانع من نزول الموت أو مبعد له.

يا لضَعْف الإنسان، ما أحقره وأقلّ شأنه. تراه شاباً مكتمل الحيوية والنّضارة والنشاط ممتلىء الجسم، فلا يلبث العمر أن يطوح به إلى خريفه فإذا هو مُحْدَوِدِبُ الظهر متغضن الوجه، يتعبه أدنىٰ جهد، ويهده أقل عمل.

وتراه غنيّاً يسكن القصر الشامخ، ويركب السيارة الفارهة، ويجلس على الفراش الوثير، ثم تنقلب به الأيام، فإذ هو يسكن ما كان يأنف من سكناه، ويركب ما كان يزدري ركوبه، ويلبس ما كان يستخشن لبسه، ويأكل ما كان يعاف أكله.

إنّ لذّة الحياة وجمالها، وقمة السعادة وكمالها، لا تكون إلاّ في طاعة الله التي لا تكلف الإنسان شيئاً سوى الاستقامة على أمر الله وسلوك طريقه، ليسير الإنسان في الحياة مطمئن الضمير، مرتاح البال، هادىء النفس، دائم البشر، طلق المُحيا، يعفو عمن ظلمه، ويغفر زلّة من أساء إليه، يرحم الصغير ويُوقِّر الكبير. يُحب قضاء حاجات الناس، ويكون في خدمتهم ويتحمل أذاهم، ثم هو لا يفرط في صغير ولا كبير من أمر الله، بل يحرص على كل عمل يقربه إليه ويدنيه منه، فإذا نزلت به المصائب تلقاها بصبر ورضا، وإذا جاء الموت رأى فيه خلاصاً من نكد الدنيا، ورحلة إلى دار الخلود.

أختي المسلمة:

في هذه الصفحات مجموعة إرشادات، وثلة توجيهات عندما تُطبّقينها في واقع حياتك وتحرصين على التشبث بها، وتندمين على فواتها؛ ستنقلب حياتك من شقاء إلى راحة، ومن تعاسة إلى سعادة، بل ستحسين للحياة طعماً آخر، وتنظرين لها نظرة أُخرى، وقد دفع إلى كتابتها حبّ الخير وابتغاء الأجر والرغبة في الإصلاح، وفقك الله إلى كل خير وصلاح.

العبادات

* أختي المسلمة تقربي إلى الله بالفراض والنوافل وأنواع القربات، تنالي الأجر العظيم، وترتقي إلى الدرجات الرفيعة، وتكوني من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، يستجيب الله دعاءهم، ويذهب همومهم، ويملأ بالسكينة قلوبهم، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: من عادى لي وليّاً فقد**

آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببتهُ كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنّه» رواه البخاري (٦٥٠٢).

* إذا رأيت مسلمة متمسكة بدينها، مستجيبة لأمر ربها، معتزة بعقيدتها، فأشعريها بالحب واتخذيها خليلة، فللحب في الله منزلة عالية، قال رسول الله ﷺ: **«قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيّون والشهداء»** صحيح سنن الترمذي (١٩٤٨).

الكلام

أختي المسلمة:

* احذري الثرثرة وكثرة الكلام: قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

واعلمي أن هناك من يُحصي كلامك ويعدّه عليك ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨].

وليكن كلامك مختصراً وافياً بالغرض الذي من أجله تتحدثين.

* اقرئي القرآن الكريم، واحرصي أن يكون لك ورد يومي منه، وحاولي أن تحفظي منه قدر ما تستطيعين، لتنالي الأجر العظيم يوم القيامة.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يُقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»** صحيح سنن الترمذي (٢٣٢٩).

* ليس جميلاً أن تتحدثي بكل ما سمعت؛ فإن في هذا مجالاً للوقوع في الكذب. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»** رواه مسلم.

* إياك والتباهي «الافتخار» بما ليس عندك لأجل التكثر والارتفاع في أعين الناس.

عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة قالت: يا رسول الله، أقول إن زوجي أعطاني ما لم يعطني؟ قال رسول الله ﷺ: **«المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»** متفق عليه.

* إنَّ لذكر الله تأثيراً عظيماً في حياة المسلم الروحية والنفسيّة والجسميّة والاجتماعية، فاحرصي ـ أختي المسلمة ـ أن تذكري الله كل حين على أيّ حالة كنت، فقد مدح الله عباده المخلصين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وذكر عبد الله بن بسر رضي الله عنه أنّ رجلاً قال: يا رسول الله: إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: **«لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»** صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٧).

* إذا أردت الحديث فإياك والتعاظم والتفاصح والتقعر في الكلام، فهي صفة بغيضة إلى رسول الله ﷺ، حيث يقول: **«وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم منّي مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»** صحيح سنن الترمذي (١٦٤٢).

* ليكن لك أُسوة برسول الله ﷺ، من إطالة الصمت وطول الفكر، وعدم إكثار الضحك والاستغراق فيه.

فعن سماك قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم «فكان طويل الصمت، قليل الضحك، وكان أصحابه يذكرون الشعر وأشياء من أمورهم فيضحكون وربما تبسم» (المسند ٥/ ٨٦).

وليكن حديثك ـ إن تحدثت ـ بخير وإلا فالصمت أولى بك. قال رسول الله ﷺ: **«من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو لِيَصْمُتْ»** رواه البخاري.

* إياك ومقاطعة الناس أحاديثهم أو ردها عليهم، إو إظهار الاستخفاف بها. وليكن حسن الاستماع أدباً لك، والردّ بالتي هي أحسن شعاراً لشخصك.

* احذري كلّ الحذر من السخرية بطريقة كلام الآخرين كمن يتلعثم في كلامه أو عنده شيء من التأتأة أو اللثغة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال رسول الله ﷺ: **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره.... بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»** رواه مسلم.

* إذا سمعت قراءة القرآن الكريم فاقطعي الحديث أياً كان موضوعه، تأدباً مع كلام الله، وامتثالاً لأمره حيث يقول: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

* اجتهدي على وزن الكلمة في نفسك قبل أن يقذفها لسانك، واحرصي أن تكون الكلمة صالحة طيبة في سبيل الخير، بعيدة عن الشرّ وما يوصل إلى سخط الله، فللكلمة مسؤولية عظيمة، فكم من كلمة أدخلت صاحبها الجنة، وكم من كلمة هوت بصاحبها في قعر جهنم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن لعبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»** رواه البخاري.

وفي حديث معاذ رضي الله عنه عندما سأل النبي ﷺ: وإنا لمؤاخون بما نتكلم به؟ قال ﷺ: **«ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»** صحيح سنن الترمذي (٢١١٠).

* استعملي لسانك ـ وهو النعمة العظيمة من الله عليك ـ في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير.

قال تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۢ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [النساء: ١١٤].

العلم الشرعي

أختي المسلمة:

* تعلم العلم الشرعي أمر محمودٌ وسبيل كريمة وهو طريق يوصل إلى جنات الله تعالىٰ.

قال رسول الله ﷺ: **«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»**.

* ليس المراد من التعلم نيل الشهادات وبلوغ الرتب والحصول على الوظيفة والعمل.

بل المراد من ذلك معرفة أمور الدين، وإدراك أحكامه، وإجادة قراءة القرآن الكريم، حتى تعبد المرأة ربّها على بصيرة، كما أنّ من مقصودات التعلم إدراك طرق التربية السليمة، كما تمثلها حياة الرسول ﷺ، وحياة أصحابه، وسلف هذه الأمة، لتعيش المرأة في سعادة وهناء.

* ابتعدي كلّ الابتعاد عن الاستهزاء أو السخرية بغير المتعلمة من أخواتك، ومن الترفع على من هي دونك في التعلم، وليكن التواضع وخفض الجناح يزداد بارتقاتك في سلم التعلم، وإلاّ فإن علمك وبالٌ عليك.

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار»** صحيح سنن الترمذي (٢١٣٨).

السمع

* نَزِّهي سمعك عن سماع الموسيقى والغناء والكلام الفاحش.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾ [لقمان: ٦].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لهو الحديث هو الغناء، وأقسم على ذلك رضي الله عنه وعن جميع الصحابة أجمعين.

اللباس

* أنت مسلمة فلا بد أن يكون ثوبك داخلاً تحت مواصفات الثوب الشرعي، فيكون فضفاضاً لا يشف ولا يصف.

* إنّ ما يسمى «نصف الكم» «وربع الكم» واتساع ما حول العنق «الدلعة» دعاية لتقليس الستر؛ لأن المرأة أثناء ذهابها وإيابها وركوبها السيارة ونزولها ربما انكشف منها ذلك.

الاجتماعات

* احذري - حفظك الله - من حضور مجالس السوء والاختلاط بأهلها، وسارعي - رعاك الله - إلى مجالس الفضيلة والخير.

* إذا جلست مجلساً وحدك أو مع بعض أخواتك فليكن ذكر الله دائماً على ألسنتكن حتى ترجعن بالخير وتحظين بالأجر.

قال رسول الله ﷺ: «**من قعد مقعداً لم يُذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة**» سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٧٨)، ومعنى ترة أي حسرة وندامة وتبعة يوم القيامة.

وإذا أردت القيام من المجلس فلا تنسي أن تقولي: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**» صحيح سنن الترمذي (٢٧٣٠) حتى يغفر الله لك ما كان من لغط في ذلك المجلس.

* طهِّري - أختي المسلمة - مجلسك من الغيبة والنميمة، امتثالاً لأمر الله وخوفاً من عقابه، فإنها من الصّفات المرذولة والأخلاف الممقوتة.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

* إذا بدر من إحدى المحاضرات كلمة نابية أو خطأ فإنّ من واجبك النّصح لها بعد انصرافها من المجلس بكلام لطيف وأسلوب طيب.

المكتبة

* احرصي على اقتناء الكتب المختارة المفيدة لتجعلي منها مكتبة منزلية، يستفيد منها جميع أفراد الأسرة.

* احذري أيتها المسلمة أن تضيعي وقتك في قراءة الأشياء غير المفيدة، وابتعدي كلّ الابتعاد عن قراءة الأشياء الضارّة والمجلات الساقطة، والروايات الهابطة التي يحاول كتابها نشر الرذيلة وإشاعة الفساد، وإياك ودخولها بيتك، وكوني حرباً عليها.

* من المفيد أن تكون المكتبة منوعة تلبي جميع الاحتياجات، وتعالج شتىٰ الموضوعات، فالمسلم والمسلمة بحاجة إلى معرفة أحكام دينهما وأمور عقيدتهما، والاطلاع على أخبار العالم الإسلامي والتعرف على مشكلات المسلمين، وإدراك الوسائل التي تعينهما على تربية أنفسهما وأسرتهما، والنظر في سير السلف الصالح وأخذ العظة والعبرة.

* إذا أعجبك كتاب مفيد فحريٌ بك أن تعرّفي أخواتك المسلمات عليه وتُحثيهن على قراءته.

وإذا وقع بيدك كتاب ضار أو مشتمل على أخطار وجب عليك تنبيه أخواتك المسلمات على ضرره، وما فيه من أخطاء.

* القراءة أمر مُهمٌ فحاولي ـ أعانك الله ـ اغتنام الفرص واستغلال الأوقات للتزود بالعلم والمعرفة.

الخروج إلى السوق

* لا تحرصي على الخروج إن وجدت من يقضي حوائجك، وإن اضطررت إلى الخروج فليكن خروجك في مدة قصيرة على قدر حاجتك.

* إذا خرجت إلى السوق فإيَّاك والتطيب والزينة وارتداء الملابس الجميلة التي تلفت النظر إليك.

فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا استعطرت المرأة فخرجت على القوم ليجدوا ريحها فهي كذا وكذا**» أي: زانية، رواه أحمد (٤/ ٤٠٠)، ولتكن ملابسك فضفاضة ساترة لجميع أجزاء البدن.

* إذا كنت في السوق أو في طريقك إليه فلا تكثري الالتفات، فللبصر مزالق خطيرة. وإذا وجدت حاجتك فإياك وكثرة الكلام مع البائعين، فإنه مما يغيض ماء الحياء ويفتح باب الفتنة.

* إذا رأيت منكراً في السوق أو في طريقك إليه وجب عليك إنكاره، ولو لم تستطيعي إلا بقلبك من مقت المنكر وبغضه.

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۢ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

* بعض النساء تتخذ الخروج إلى السوق نزهة يومية، فتخرج كثيراً فتراها كل يوم غادية رائحة إلى السوق، وأعوذ بالله أن تكوني من هذا الصنف، فهو أكثر الناس تعرضاً للفتنة وإزهاقاً للوقت.

* رفقاً بنفسك وبزوجك، فليس من الضروري أن يكون في البيت فرع للسوق، فلا تشتري إلاّ شيئاً أنتِ بحاجة إليه.

الدعاء

* أنت ضعيفة ومحتاجة ومفتقرة إلى الله، فارفعي أكُفَّ الضرّاعة إليه دائماً، طالبة منه العفو والعافية والتوفيق في الدنيا والآخرة، ترجعي بالخير منه سبحانه.

قال رسول الله ﷺ: «**إن ربكم حييٌّ كريمٌ يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صفراً**» صحيح سنن ابن ماجه (٣١١٧).

وإياك واستعجال الإجابة؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يرفع يديه حتى يبدو إبطه يسأل الله مسألة إلا آتاه الله إياها ما لم يعجل**»: قالوا: يا رسول الله، وكيف عجلته؟ قال: «**يقول قد سألت وسألت ولم أعط شيئاً**» صحيح سنن الترمذي (٢٨٥٣).

وابدئي دعاءَك بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله ﷺ، واختميه بذلك، وأقبلي على الله بصدق، قال رسول الله ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم مُوقِنُون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافلٍ لاه**» صحيح سنن الترمذي (٢٧٦٦).

وإيّاك والدعاء بالإثم أو قطيعة الرحم. وإذا لم ترىٰ استجابة ظاهرة لدعائك فلا تحزني لذلك، فقد يدّخره الله لك في الآخرة، أو يكفر به عنك ذنوباً، أو يصرف به عنك مكروهاً سيُحِيقُ بك.

نصائح وتوجيهات

* **أختي المسلمة**: إنّ الوقت إذا لم تحسني تقسيمه ضاع عليك، فأنت بحاجة إلى استذكار دروسك ـ إن كنت طالبة ـ والقيام بواجبات أهلك أو زوجك والاطلاع النافع والقراءة المفيدة وزيارة الأقارب.

* زيارة الرحم تجلب البركة في العمر والرزق، فاحرصي على زيارة أقاربك، ولتكن زيارتك لهم ذات فائدة، فترغبينهم في الخير، وتخوفينهم من الشر، وتدفعينهم إلى النافع، وتحذرينهم من الضار، وتعظينهم بالتي هي أحسن مع اطمئنانك على صحتهم، وسؤالك عن أحوالهم. قال رسول الله ﷺ: **«من أحب أن يبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه»** متفق عليه.

* لا يغرنك كثرة المخالفين لأمر الله والمتهاونين بتطبيق شرعه، فسيأتي يوم يعضّ الظالم على يديه، ويفرح المؤمن بنجاته فرحاً كبيراً، وهو يرىٰ أهوال القيامة فلا يملك إلا أن يقول وهو يمسك كتابه بيمينه: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠].

* ازرعي في قلبك الرحمة والعطف، فارحمي الصغير والكبير بل والدابة. قال رسول الله ﷺ: **«من لا يَرْحَمُ لا يُرْحَم»** رواه البخاري (١٠/ ٦٠١٣ فتح).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«بينما رجل يَمْشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له. قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: في كل ذات كبد رطبة أجرٌ»** رواه البخاري (٦٠٠٩).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«عذّبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار»** رواه البخاري (٢٣٦٥).

* احذري دعاة السوء وأدعياء التقدم الذين يجلبون بخيلهم ورجلهم على إفساد المرأة المسلمة وإخراجها من الصون والعفاف إلى العري والإسفاف، مستخدمين مختلف الوسائل وشتّى الطرق، وحذّري أخواتك من الوقوع في براثنهم والانخداع بمقولاتهم.

* كوني معتزة بدينك متعالية بعقيدتك. يقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. وإياك والاستحياء من إظهار شعائر دينك والاستخفاف بها.

* غَذّي ثقافتك الإسلامية باستماع المحاضرات الإسلامية والندوات المفيدة ولو عن طريق الشريط، واحرصي على الاطلاع على المجلات الإسلامية النافعة.

* ساعدي على نشر الخير والفضيلة، والخلق الجميل، والعلم النافع في بيتك ومدرستك ولدى أقاربك وبين صديقاتك.

* احرصي على مساعدة أُمك في أعمال البيت، فإن في ذلك برّاً بها ورداً لبعض معروفها. كما أن فيه تدريباً لك حتى تكوني - بإذن الله - ناجحة في حياتك المستقبلية.

وإيّاك والإخلاد إلى الراحة والكسل باسم التفرغ للدراسة والمذاكرة وأداء الواجبات المدرسية.

* كوني مبتسمة دائمًا، فإن هذا لا يكلفك شيئاً، وهو في الوقت نفسه يعود عليك بحب الآخرين كما تحظين بالأجر. قال رسول الله ﷺ: «**وتبسمك في وجه أخيك لك صدقة**» صحيح سنن الترمذي (١٥٩٤).

* إياك والغضب والانفعال فإن ذلك منقصة ومذمة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «**لا تغضب**» فردد مراراً قال: «**لا تغضب**» رواه البخاري (٦١١٦).

واعلمي أن الغضب من الشيطان، قال رسول الله ﷺ: «**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**» رواه أحمد (٤/ ٢٢٦).

والغضوب لن يجد من يصبر عليه من الناس، فتزيني بالحلم وتحملي أخطاء الناس وهفواتهم.

* احذري من تقليد الكُفّار في عاداتهم وتقاليدهم وطرائقهم في الأكل والشرب واللباس وغير ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» رواه أبو داود (٤٠٣١).

* كثير من النساء يتهاون في موضوع الصلاة، فتؤخرها عن وقتها وذلك عند انشغالها بأعمالها أو لهوها بالكلام الفارغ مع غيرها وبخاصة أثناء الولائم. وأعوذ

بالله أن تكوني من هذا الصنف، وأنت تقرئين قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤،٥]. أي يؤخرونها حتى يفوت وقتها.

* للصيام منزلة عالية وأجر عظيم، كما أن له دوراً كبيراً في تطهير النفس وتهذيب الوجدان، فحبذا لو عودت نفسك على صيام التطوع كستة أيام من شوال وثلاثة أيام من كل شهر.

* كوني زوجة صالحة تعين زوجها على طاعة الله تعالىٰ، وتقوم بما عليها من واجبات وحقوق.

* كوني مربية صالحة تبث النهج القويم والتربية السليمة لأبنائها الذين سيكونون بإذن الله تعالى دعاة في المستقبل يوجهون الأمة إلى ما فيه الخير والصلاح.

* أكثري من ذكر يوم القيامة وما فيه من الأهوال والمخاوف، فإن ذلك يورث الزهد في هذه الدنيا، والقرب من الله تعالىٰ.

* اتقي الله تعالى حيثما كنت، واعلمي أنك ستقفين بين يديه للسؤال والحساب، فماذا أعددت لذلك يا أمة الله؟

* كوني مؤمنة صادقة، صالحة مصلحة، تريد رضى الله تعالى في كل أمورها، وتخاف من عصيانه وغضبه، حتى تنالي ما عنده سبحانه من النعيم المقيم في الجنان.

* وأخيراً أذكرك أخية بأن هذه الدنيا دنيا زائلة، وأن البقاء الأبدي هو للدار الآخرة، فماذا أعددت لذلك يا أمة الله، ألا فكوني من أبناء الآخرة ولا تكوني من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، فاتقي الله ثم اتقي الله ثم اتقي الله يا أخت الإسلام.

* * *

التحذير من المغالاة في المهور والإسراف في حفلات الزواج[1]

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من إخواننا المسلمين وفقني الله وإياهم لما يحبه ويرضاه وجنبنا جميعاً الوقوع فيما حرمه ونهى عنه آمين..

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أما بعد:

فقد شكا إليّ العديد من أهل الغيرة والصلاح، ما فشا في المجتمع من ظاهرة المغالاة في المهور، والإسراف في حفلات الزواج، وتنافس الناس في البذخ وإنفاق الأموال الطائلة في ذلك، وما يقع في الحفلات غالباً من الأمور المحرمة المنكرة كالتصوير واختلاط الرجال بالنساء، وإعلان أصوات المغنين والمغنيات بمكبرات الصوت واستعمال آلات الملاهي وصرف الأموال الكثيرة في هذه المحرمات وكل ذلك مما أدى بكثير من الشباب إلى الانصراف عن الزواج لعدم قدرتهم على دفع تكاليفه الباهظة وإنما الجائز في الأعراس للنساء خاصة ضرب الدف والغناء العادي بينهن إعلاناً للنكاح وتمييزاً له عن السفاح كما جاءت السنة بذلك بدون إعلان ذلك بمكبرات الصوت وحيث أن الكثير من الناس يفعلون تلك الأمور المحرمة تقليداً للآخرين وجهلاً بسنة سيد الأولين والآخرين رأيت كتابة هذه الكلمة نصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فأقول والله المستعان.

من المعلوم أن النكاح من سنن المرسلين وقد أمر الله ورسوله به قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]. وقال النبي ﷺ: «**يا معشر**

(١) لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.

الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فأنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» وقال في حديث آخر: **«لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»**.

وإن على المسلمين عامة وولاة أمورهم خاصة أن يعملوا على تحقيق هذه السنة وتيسيرها تحقيقاً لما روي عنه ﷺ أنه قال: **«إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»**.

وروى مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة رضي الله عنها كم كان صداق رسول الله ﷺ قالت: كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشاً قالت: أتدري ما النش؟ قلت: لا، قالت نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم.

وقال عمر رضي الله عنه: ما علمت رسول الله ﷺ نكح شيئاً من نسائه ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن سهل بن سعد الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ زوج امرأة على رجل فقير ليس عنده شيء من المال بما معه من القرآن.

وروى أحمد والبيهقي والحاكم أن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها.

ومع هذه السنة الواضحة الصريحة من أقوال الرسول ﷺ وفعله فقد وقع كثير من الناس فيما يخالفها كما خالفوا أمر الله ورسوله في إنفاق الأموال في غير وجهها فقد حذر الله في كتابه العزيز من الإسراف والتبذير فقال: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧]. وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩]. وأخبر عز وجل أن من صفات المؤمنين التوسط والاعتدال في الإنفاق فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]. وقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ

﴿عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢].

فأمر بإنكاح الأيامى أمراً مطلقاً ليعم الغني والفقير وبيَّن أن الفقر لا يمنع التزويج لأن الأرزاق بيده سبحانه وهو قادر على تغيير حال الفقير حتى يصبح غنياً، وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد رغبت في الزواج وحثت عليه فإن على المسلمين أن يبادروا إلى امتثال أمر الله وأمر رسوله ﷺ بتيسير الزواج وعدم التكلف فيه وبذلك ينجز الله لهم ما وعدهم.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى»، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «التمسوا الغنى في النكاح».

فيا عباد الله اتقوا الله في أنفسكم وفيمن ولاكم الله عليهن من البنات والأخوات وغيرهن، وفي إخوانكم المسلمين واسعوا جميعاً إلى تحقيق البر في المجتمع وتيسير سبل نموه وتكاثره ودفع أسباب انتشار الفساد والجرائم ولا تجعلوا نعمة الله عليكم سلماً إلى عصيانه وتذكروا دائماً أنكم مسؤولون ومحاسبون على تصرفاتكم كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

وروي عنه ﷺ أنه قال: **«لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل به»** وبادروا إلى تزويج أبنائكم وبناتكم مقتدين بنبيكم وصحابته الكرام والسائرين على هديهن وطريقهم واحرصوا على تزويج الأتقياء ذوي الأمانة والدين واقتصدوا في تكاليف الزواج ووليمته، ولا تغالوا في المهور أو تشترطوا دفع أشياء تثقل كاهل الزوج، وإذا كانت لديكم فضول أموال فأنفقوها في وجوه البر والإحسان ومساعدة الفقراء والأيتام، وفي الدعوة إلى الله وإقامة المساجد فذلك خير وأبقى وأسلم في الدنيا والآخرة من صرفها في الولائم الكبيرة ومباهاة الناس في مثل هذه المناسبات، وليتذكر كل من فكر في إقامة الحفلات الكبيرة وإحضار المغنين والمغنيات لها ما في ذلك من الخطر العظيم وأنه يخشى عليه بذلك أن يكون ممن كفر نعمة الله ولم يشكرها وسوف يلقى الله ويسأله عن كل ما عمل فليقتصد في ذلك. وليتحرى في حفلات الأعراس وغيرها ما أباح الله دون ما حرَّم.

وينبغي لعلماء المسلمين وأمرائهم وأعيانهم أن يعنوا بهذا الأمر وأن يجتهدوا في أن يكونوا أسوة حسنة لغيرهم لأن الناس يتأسون بهم ويسيرون ورائهم في الخير والشر فرحم الله امرءاً جعل من نفسه أسوة حسنة وقدوة طيبة للمسلمين في هذا الباب وغيره ففي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده لا ينقض ذلك من أجره شيئاً»** الحديث. وأسأل الله أن يمن على المسلمين بالتوبة الصادقة والعمل الصالح والفقه في الدين والعمل بالشريعة المطهرة في كل شؤونهم حتى تستقيم أمورهم وتصلح أحوالهم ويسعد مجتمعهم ويسلمون من غضب الله وأسباب عقابه والله الهادي إلى سواء السبيل: وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قرار هيئة كبار العلماء
رقم ٥٢ وتاريخ ١٣٩٧/٤/٤هـ
في تحديد مهور النساء

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد: فإن مجلس هيئة كبار العلماء قد اطلع في دورته العاشرة المعقودة في مدينة الرياض فيما بين اليوم ١٣٩٧/٣/٢١هـ و١٣٩٧/٤/٤هـ على البحث الذي أعدته اللجنة الدائمة من هيئة كبار العلماء في موضوع تحديد مهور النساء بناءاً على ما قضى به أمر سمو نائب رئيس مجلس الوزراء من عرض هذا الموضوع على هيئة كبار العلماء لإفادة سموه بما يتقرر وجرى استعراض بعض ما رفع للجهات المسؤولة عن تمادي الناس في المغالاة في المهور والتسابق في إظهار البذخ والإسراف في حفلات الزواج وبتجاوز الحد في الولائم وما يصحبها من إضاءات عظيمة خارجة عن حد الاعتدال ولهو وغناء بآلات طرب محرمة بأصوات عالية قد تستمر طوال الليل حتى تعلو في بعض الأحيان على أصوات المؤذنين في صلاة الصبح، وما يسبق ذلك من ولائم الخطوبة وولائم عقد القران، كما استعرض بعض ما ورد في الحث على تخفيف المهور والاعتدال في النفقات والبعد عن الإسراف والتبذير فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

وقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ كم كان صداق رسول الله ﷺ؟ قالت: كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشاً قالت: أتدري ما النش؟ قلت: لا، قالت: نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم.

وقال عمر رضي الله عنه: ما علمت رسول الله ﷺ نكح شيئاً من نسائه ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية. قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ زوج امرأة رجلاً بما معه من القرآن.

وروى الترمذي وصححه أن عمر رضي الله عنه قال: لا تغلوا في صداق النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبي ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ولا أُصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية، وإن كان الرجل ليبتلى بصدقة امرأته حتى يكون عداوة في نفسه وحتى يقول كلفت لك علق القربة.

والأحاديث والآثار في الحض على الاعتدال في النفقات والنهي عن تجاوز الحاجة كثيرة معلومة وبناء على ذلك ولما يسببه هذا التمادي في المغالاة في المهور والمسابقة في التوسع في الولائم بتجاوز الحدود المعقولة وتعدادها قبل الزواج وبعده وما صاحب ذلك من أمور محرمة تدعو إلى تفسخ الأخلاق من غناء واختلاط الرجال بالنساء في بعض الأحيان ومباشرة الرجال لخدمة النساء في الفنادق إذا أقيمت الحفلات فيها مما يعد من أفحش المنكرات ولما يسببه الانزلاق في هذا الميدان من عجز الكثير من الناس عن نفقات الزواج فيجرهم ذلك إلى الزواج من مجتمع لا يتفق في أخلاقه وتقاليده مع مجتمعنا فيكثر الانحراف في العقيدة والأخلاق بل قد يجر هذا التوسع الفاحش إلى انحراف الشباب من بنين وبنات، ولذلك كله فإن مجالس هيئة كبار العلماء يرى ضرورة معالجة هذا الوضع معالجة جادة وحازمة بما يلي:

١ ـ يرى المجلس منع الغناء الذي أحدث في حفلات الزواج بما يصحبه من آلات اللهو وما يستأجر له من مغنين ومغنيات وبآلات تكبير الصوت لأن ذلك منكر محرم يجب منعه ومعاقبة فاعله.

٢ ـ منع اختلاط الرجال بالنساء في حفلات الزواج وغيرها ومنع دخول الزوج على زوجته بين النساء السافرات ومعاقبة من يحصل عندهم ذلك من زوج وأولياء الزوجة معاقبة تزجر عن مثل هذا المنكر.

٣ ـ منع الإسراف وتجاوز الحد في ولائم الزواج وتحذير الناس من ذلك بواسطة مأذوني عقود الأنكحة وفي وسائل الإعلام وأن يرغب الناس في تخفيف المهور ويذم لهم الإسراف في ذلك على منابر المساجد وفي مجالس العلم وفي برامج التوعية التي تبث في أجهزة الإعلام.

٤ ـ يرى المجلس بالأكثرية معاقبة من أسرف في ولائم الأعراس إسرافاً بيناً وأن يحال بواسطة أهل الحسبة إلى المحاكم لتعزير من تثبت مجاوزته الحد بما يراه الحاكم الشرعي من عقوبة رادعة زاجرة تكبح جماح الناس عن هذا الميدان المخيف لأن من الناس من لا يمتنع إلا بعقوبة، وولي الأمر وفقه الله عليه أن يعالج مشاكل الأمة بما يصلحها ويقضي على أسباب انحرافها وأن يوقع على كل مخالف من العقوبة ما يكفي لكفه.

٥ ـ يرى المجلس الحث على تقليل المهور والترغيب في ذلك على منابر المساجد وفي وسائل الإعلام وذكر الأمثلة التي تكون قدوة في تسهيل الزواج إذا وجد من الناس من يرد بعض ما يدفع إليه من مهر أو اقتصر على حفلة متواضعة لما في القدوة من التأثير.

٦ ـ يرى المجلس أن من أنجح الوسائل في القضاء على السرف والإسراف أن يبدأ بذلك قادة الناس من الأمراء والعلماء وغيرهم من وجهاء الناس وأعيانهم وما لم يمتنع هؤلاء من الإسراف وإظهار البذخ والتبذير فإن عامة الناس لا يمتنعون من ذلك لأنهم تبع لرؤسائهم وأعيان مجتمعهم فعلى ولاة الأمر أن يبدأوا في ذلك بأنفسهم ويأمروا به ذوي خاصتهم قبل غيرهم ويؤكدوا على ذلك اقتداء برسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم واحتياطاً لمجتمعهم لئلا تتفشى فيه العزوبة التي ينتج عنها انحراف الأخلاق وشيوع الفساد.

وولاة الأمر مسؤولون أمام الله عن هذه الأمة وواجب عليهم كفهم عن السوء ومنع أسبابه عنهم وعليهم تقصي الأسباب التي تثبط الشباب عن الزواج ـ

ليعالجوها بما يقضي على هذه الظاهرة، والحكومة أعانها الله ووفقها قادرة بما أعطاها الله من إمكانات متوفرة ورغبة أكيدة في الإصلاح أن تقضي على كل ما يضر بهذا المجتمع أو يوجد فيه أي انحراف، وفقها الله لنصرة دينه، وإعلاء كلمته، وإصلاح عباده، وأثابها أجزل الثواب في الدنيا والآخرة، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

هيئة كبار العلماء

* * *

قيادة المرأة للسيارة
وموقف العلماء منها[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد كثرت الأسئلة عن حكم قيادة المرأة للسيارة والجواب:

لا شك أن ذلك لا يجوز لأن قيادتها للسيارة تؤدي إلى مفاسد كثيرة وعواقب وخيمة منها الخلوة المحرمة بالمرأة، ومنها السفور، ومنها الاختلاط بالرجال بدون حذر، ومنها ارتكاب المحظور الذي من أجله حرمت هذه الأمور، والشرع المطهر منع الوسائل المؤدية إلى المحرم واعتبرها محرمة، وقد أمر الله جل وعلا نساء النبي ﷺ ونساء المؤمنين بالاستقرار في البيوت، والحجاب، وتجنب إظهار الزينة لغير محارمهن لما يؤدي إليه ذلك كله من الإباحية التي تقضي على المجتمع قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ

---

(١) من أجوبة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمهما الله تعالى.

ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

وقال النبي ﷺ: «**ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**» فالشرع المطهر منع جميع الأسباب المؤدية إلى الرذيلة بما في ذلك رمي المحصنات الغافلات بالفاحشة وجعل عقوبته من أشد العقوبات صيانة للمجتمع من نشر أسباب الرذيلة.

وقيادة المرأة من الأسباب المؤدية إلى ذلك وهذا لا يخفى ولكن الجهل بالأحكام الشرعية وبالعواقب السيئة التي يفضي إليها التساهل بالوسائل المفضية إلى المنكرات مع ما يبتلى به الكثير من مرضى القلوب ومحبة الإباحية والتمتع بالنظر إلى الأجنبيات كل هذا يسبب الخوض في هذا الأمر وأشباهه بغير علم وبغير مبالاة بما وراء ذلك من الأخطار، وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

وقال ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**».

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت. يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر فجاء الله بهذا الخير فهل بعده من شر؟ قال: «**نعم**»، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم وفيه دخن**» قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**» قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**». قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**». قلت: فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**» متفق عليه.

وإني أدعو كل مسلم أن يتقي الله في قوله وفي عمله وأن يحذر الفتن

والداعين إليها وأن يبتعد عن كل ما يسخط الله جل وعلا أو يفضي إلى ذلك، وأن يحذر كل الحذر أن يكون من هؤلاء الدعاة الذين أخبر عنهم النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف.

وقانا الله شر الفتن وأهلها. وحفظ لهذه الأمة دينها وكفاها شر دعاة السوء، ووفق كتاب صحفنا وسائر المسلمين لما فيه رضاه وصلاح أمر المسلمين ونجاتهم في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الرئيس العام
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
والدعوة والإرشاد
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين... سلمه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد:

أرجو توضيح حكم قيادة المرأة للسيارة وما رأيكم بالقول إن قيادة المرأة للسيارة أخف ضرراً من ركوبها مع السائق الأجنبي؟

بسم الله الرحمن الرحيم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

الجواب على هذا السؤال ينبى على قاعدتين مشهورتين بين علماء المسلمين.

القاعدة الأولى: أن ما أفضى إلى المحرم فهو محرم.

القاعدة الثانية: أن درء المفاسد إذا كانت مكافئة للمصالح أو أعظم مقدم على جلب المصالح.

فدليل القاعدة الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. فنهى الله تعالى عن سب آلهة المشركين ـ مع أنه مصلحة ـ لأنه يفضي إلى سب الله تعالى.

ودليل القاعدة الثانية: قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقد حرم الله الخمر والميسر مع ما فيهما من المنافع درءاً للمفسدة الحاصلة بتناولهما.

وبناء على هاتين القاعدتين يتبين حكم قيادة المرأة للسيارة.

فإن قيادة المرأة للسيارة تتضمن مفاسد كثيرة.

فمن مفاسدها نزع الحجاب لأن قيادة السيارة سيكون بها كشف الوجه الذي هو محل الفتنة ومحط أنظار الرجال. ولا تعتبر المرأة جميلة أو قبيحة عند الاطلاق إلا بوجهها أي أنه إذا قيل جميلة أو قبيحة لم ينصرف الذهن إلا إلى الوجه وإذا قصد غيره فلا بد من التقييد فيقال: جميلة اليدين، جميلة الشعر، جميلة القدمين. وبهذا عرف أن الوجه مدار القصد.

ربما يقول قائل إنه يمكن أن تقود المرأة السيارة بدون نزع الحجاب أن تتلثم المرأة وتلبس في عينيها نظارتين سوداوين.

والجواب عن ذلك أن يقال: هذا خلاف الواقع من عاشقات قيادة السيارة واسأل من شاهدهن في البلاد الأخرى. وعلى فرض أنه يمكن تطبيقه في ابتداء الأمر فلن يدوم طويلاً بل سيتحول في المدى القريب إلى ما كانت عليه النساء في البلاد الأخرى كما هي سنة التطور المتدهور في أمور بدأت هينة مقبولة بعض الشيء ثم تدهورت منحدرة إلى محاذير مرفوضة.

ومن مفاسد قيادة المرأة للسيارة نزع الحياء منها والحياء من الإيمان كما صح ذلك عن النبي ﷺ. والحياء هو الخلق الكريم الذي تقتضيه طبيعة المرأة وتحتمي به من التعرُّض للفتنة ولهذا كانت مضرب المثل فيه فيقال: أحيا من العذراء في خدرها. وإذا نُزع الحياء من المرأة فلا تسأل عنها.

ومن مفاسدها أنها سبب لكثرة خروج المرأة من البيت ـ والبيت خير لها كما قال ذلك أعلم الخلق بمصالح الخلق محمد رسول الله ﷺ لأن عاشقي القيادة يرون فيها متعة ولهذا تجدهم يتجولون في سياراتهم هنا وهناك بدون حاجة لما يحصل لهم من المتعة بالقيادة.

ومن مفاسدها أن المرأة تكون طليقة تذهب إلى ما شاءت ومتى شاءت وحيث شاءت إلى ما شاءت من أي غرض تريده لأنها وحدها في سيارتها.

متى شاءت في أي ساعة من ليل أو نهار وربما تبقى إلى ساعة متأخرة من الليل وإذا كان الناس يعانون من هذا في بعض الشباب فما بالك بالشابات.

حيث شاءت يميناً وشمالاً في عرض البلد وطوله وربما خارجه أيضاً.

ومن مفاسد قيادة المرأة للسيارة أنها سبب لتمرد المرأة على أهلها وزوجها فلأدنى سبب يثيرها في البيت تخرج منه وتذهب في سيارتها إلى حيث ترى أنها تُروّح عن نفسها فيه كما يحصل ذلك من بعض الشباب وهم أقوى تحملاً من المرأة.

ومن مفاسدها أنها سبب للفتنة في مواقف عديدة.

في الوقوف عند إشارات الطريق.

في الوقوف عند محطات البنزين.

في الوقوف عند نقط التفتيش.

في الوقوف عند رجال المرور عند التحقيق في مخالفة أو حادث.

في الوقوف لملىء إطار السيارة بالهواء (البنشر).

في الوقوف عند خلل يقع في السيارة في أثناء الطريق فتحتاج المرأة إلى إسعافها فماذا تكون حالها حينئذ؟ ربما تصادف رجلاً سافلاً يساومها على عرضها في تخليصها من محنتها لا سيما إذا عظمت حاجتها حتى بلغت حد الضرورة.

ومن مفاسد قيادة المرأة للسيارة كثرة ازدحام السيارات في الشوارع أو حرمان بعض الشباب من قيادة السيارات وهم أحق بذلك من المرأة وأجدر.

ومن مفاسد قيادة المرأة للسيارة كثرة الحوادث لأن المرأة بمقتضى طبيعتها أقل من الرجل حزماً وأقصر نظراً وأعجز قدرة فإذا داهم الخطر عجزت عن التصرف.

ومن مفاسدها أنها سبب للإرهاق في النفقة فإن المرأة بطبيعتها تحب أن تكمل نفسها بما يتعلق بها من لباس وغيره ألا ترى إلى تعلقها بالأزياء كلما ظهر زي رمت بما عندها وبادرت إلى الجديد وإن كان أسوأ مما عندها.

ألا ترى إلى غرفتها ماذا تعلق على جدرانها من الزخرفة، ألا ترى إلى ماصتها وإلى غيرها من أدوات حاجياتها.

وعلى قياس ذلك بل لعله أولى منه السيارة التي تقودها فكلما ظهر موديل جديد فسوف تترك الأول إلى هذا الجديد.

وأما قول السائل: وما رأيكم بالقول إن قيادة المرأة للسيارة أخف ضرراً من ركوبها مع السائق الأجنبي؟

فالذي أرى أن كل واحد منهما فيه ضرر وأحدهما أضر من الثاني من وجه ولكن ليس هناك ضرورة توجب ارتكاب واحد منهما.

واعلم أنني بسطت القول في هذا الجواب لما حصل من المعمعة والضجة

حول قيادة المرأة للسيارة والضغط المكثف على المجتمع السعودي المحافظ على دينه وأخلاقه ليستمري قيادة المرأة للسيارة ويستسيغها. وهذا ليس بعجيب لو وقع من عدو متربص بهذا البلد الذي هو آخر معقل للإسلام يريد أعداء الإسلام أن يقضوا عليه، ولكن هذا من أعجب العجب إذا وقع من قوم من مواطنينا ومن أبناء جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا، ويستظلون برايتنا، قوم انبهروا بما عليه دول الكفر من تقدم مادي دنيوي فأعجبوا بما هم عليه من أخلاق تحرروا بها من قيود الفضيلة إلى قيود الرذيلة وصاروا كما قال ابن القيم في نونيته:

هربوا من الرق الذي خلقوا له وبُلُوا بِرِق النفس والشيطان

وظن هؤلاء أن دول الكفر وصلوا إلى ما وصلوا إليه من تقدم مادي بسبب تحررهم هذا التحرر، وما ذلك إلا لجهلهم أو جهل الكثير منهم بأحكام الشريعة وأدلتها الأثرية والنظرية، وما تنطوي عليه من حكم وأسرار تتضمن مصالح الخلق في معاشهم ومعادهم ودفع المفاسد، فنسأل الله تعالى لنا ولهم الهداية والتوفيق لما فيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة.

كتبه

محمد الصالح العثيمين

في ٣/ ٥/ ١٤١١هـ

أختاه قفي واعتبري؟!

الموت

إن الموت حقيقة قاسية رهيبة، تواجه كل حي فلا يملك لها رداً، وهي تتكرر في كل لحظة ويواجهها الجميع دون استثناء، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٥٧﴾، إن نهاية الحياة واحدة فالجميع سيموت لكن المصير بعد ذلك يختلف، ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾.

وفي الموت عظة وتذكير وتنبيه وتحذير، وكفى به من نذير، قال ﷺ: **«كفى بالموت واعظاً»**.

والموت هو الخطب الأفظع، والأمر الأشنع، والكأس التي طعمها أكره وأبشع، وإنه الحادث الأهدم للذات والأقطع للراحات والأمنيات.

ولكننا مع الأسف الشديد نسيناه أو تناسيناه، وكرهنا ذكره ولقياه، مع يقيننا أنه لا محالة واقع وحاصل، والعجب من عاقل يرى استيلاء الموت على أقرانه وجيرانه كيف يطيب عيشه! وكيف لا يستعد له!

إن المنهمك في الدنيا، المكب على غرورها، المحب لشهواتها، يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت، وإذا ذُكّر به كرهه ونفر منه، ومن لم يتذكر الموت اليوم ويستعد له فاجأه في غده وهو في غفلة من أمره وفي شغل عنه.

قال مالك بن دينار: «لو يعلم الخلائق ماذا يستقبلون غداً ما لذوا بعيش أبداً».

وما خاف مؤمن اليوم إلا أمن غداً بحسن اتعاظه وصلاح عمله، ولكن كثيراً من الناس مع الأسف الشديد يضيع عمره في غير ما خلق له، ثم إذا فاجأه الموت صرخ ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩] ولماذا ترجع وتعود ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا

تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] فأين أنت عن هذا اليوم أختي المسلمة؟ ألا تعملين وأنت في سعة من أمرك وصحة في بدنك ولم يدن منك ملك الموت بعد.

أختي المسلمة:

إن ما نراه في المقابر أعظم وأكبر معتبر، فحامل الجنازة اليوم محمول غداً، ومن يرجع من المقبرة إلى بيته اليوم سيرجع عنه غداً، ويُترك وحيداً فريداً في قبره مرتهناً بعمله إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر.

وحيداً فريداً في التراب وإنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يعمل

ولكن ما أقل من اتعظ، وما أندر من اجتهد، إن من قصر أمله، وجعل الموت أمام ناظريه عمل بلا شك للآخرة، واستفاد من كل لحظة من لحظات عمره في طاعة ربه، وتحسر على كل وقت أضاعه بدون عمل صالح يقربه إلى الله، وهو لما قدم من عمل فرح مسرور بالانتقال إلى الدار الآخرة وهذا هو المغبوط حقّاً.

قال لقمان لابنه: يا بني أمرٌ لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك.

وقال بعض السلف: اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه، ويتكدر عليه سروره، ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيق بأن وراء الموت القبر وظلمته، والصراط ودقته والحساب وشدته، أهوال وأهوال لا يعلم عظمها إلا بالله.

للموت فاعمل بجد أيها الرجل ... واعلم بأنك من دنياك مرتحل

إلى متى أنت في لهو وفي لعب ... تمسي وتصبح في اللذات مشتغل

اعمل لنفسك يا مسكين في مهل ... ما دام ينفعك التذكار والعمل

القبر

القبر هو أول منازل الآخرة، فكيف بنا أهملنا بنيانه، وقوضنا أركانه وليس بيننا وبين الانتقال إليه إلا أن يقال: فلان مات. قال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**القبر أول منازل الآخرة فمَن نجا منه فما بعده أيسر منه، ومن لم ينج منه فما بعده أشد منه**».

فارقت موضع مرقدي ... يوماً ففارقني السكون

القـــبـــر أول لـــيـــلـــة بـــالله　　قـــل لـــي فـــيـــه مـــا يـــكـــون

أختي المسلمة:

نظرة واحدة بعين البصيرة في هذا القبر والله سوف تعطيك حقيقة هذه الدنيا فبعد العزة وبعد الأموال وبعد الأوامر والنواهي وبعد الخدم والحشم وبعد القصور والدور، أهذه هي نهاية ابن آدم في هذه الحفرة الضيقة المظلمة.

تـالله لـو عـاش الـفـتـى فـي عـمـره　　ألـفـاً مـن الأعـوام مـالـك أمـره

مـتـلـذذاً فـيـهـا بـكـل نـعـيـم　　مـتـنـعـمـاً فـيـهـا بـنـعـمـى عـصـره

مـا كـان ذلـك كـلـه فـي أن يـفـي　　بـمـبـيـت أول لـيـلـة فـي قـبـره

أختي المسلمة:

انظري لحال الموتى وتأملي حالهم ومآلهم، فوالله إنه سيأتيك يوم مثل يومهم وسيمر عليك ما مرَّ بهم، ألا فاعتبري واستعدي، ولا تغفلي وتنسي مصيرك ومآلك، فهل تصورت نفسك وأنت في القبر مكان أحد المدفونين، والله إنها نعمة كبيرة أن أعطاك الله العبرة من غيرك ولم يعط غيرك العبرة منك، فأعطاك الفرصة أن تحاسبي نفسك وتستعدي لذلك المصرع، فهلّا استفدت من هذه الفرصة أختاه، ما دام في الوقت مهلة، ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴿٦١﴾﴾.

جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني، قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها أين تذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق**» رواه البخاري.

فتخيلي نفسك يا أمة الله وأنت محمولة على الأعناق، وعلى أي الحالتين تحبين أن تكوني؟

وقال ﷺ: «**والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله بالبكاء ولحثيتم على رؤوسكم التراب**» وهذا الكلام موجه للصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، فكيف بك أنت أيتها الغافلة اللاهية تلهو وتغني وتعصي الله صباحاً ومساءً، ولا كأن أمامك موت ولا قبر ولا حشر ولا نشر، ولا كأن أمامك هذه الأهوال العظيمة، فما أقسى والله قلبك، وما أقل عقلك.

فتنبهي لذلك أيتها المسكينة إن كنت تعقلين وتفهمين.

وتخيلي يا أمة الله وأنت في هذا القبر الموحش المظلم وقد جاء الملكان يسألانك، من ربك؟ ما دينك؟ ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فماذا يكون الجواب عندها يا أمة الله؟

وجاء في الحديث أيضاً أن الميت إذا وضع في قبره جاءه ملكان فيسألانه عن ربه ودينه ونبيه فإن كان ممن مات على الذنوب والمعاصي لم يوفق للإجابة، فحينئذ يضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه ويضرب بمرزبة من حديد لو ضُرب بها جبل لهدته، وتفتح له نافذة إلى النار ويرى مقعده فيها ويأتيه من حرها وسمومها ويبقى وهو في قبره في عذاب على حسب عمله، وإن كان الميت ممن أطاع الله وعمل صالحاً فإن الله يثبته ويوفقه للإجابة ويوسع له في قبره وينور له فيه، ويُرى مقعده من الجنة ويفرش له قبره خضراً إلى قيام الساعة.

فيا أمة الله، أي المقعدين تريدين؟ وأيهما أهون عليك، طاعة الله أم تلك الأهوال التي أمامك؟! والله إن طاعة الله أهون عليك بكثير مما أمامك فما الذي يمنعك من ذلك وماذا تنتظرين!.

أختي المسلمة:

هل تذكرت لحظة الفراق عندما تلقين آخر النظرات على هذه الدنيا وتستقبلين الآخرة بما فيها من الأهوال والصعاب، فإما أن تنتقلين إلى روح وريحان وجنة نعيم، وإما أن تنتقلين إلى سموم وحميم وتصلية جحيم، فاعملي من الآن عملاً ينجيكِ بإذن الله مما أمامك من أهوال ما دام في الوقت مهلة وما دمت تستطيعين ذلك، لتخرجي من هذه الدنيا مرتاحةً وفرحةً مسرورةً بلقاء ربك، وبما أعده لك من النعيم المقيم.

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً ... والناس حولك يضحكون سروراً
فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا ... في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

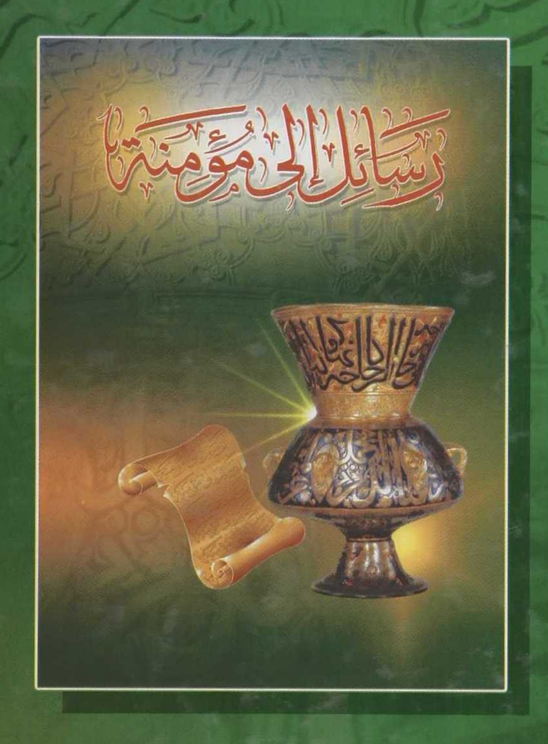
وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
رسالة الحجاب	٧
توجيهات للمؤمنات حول التبرج والسفور	٢٩
التبرج وخطره	٤٠
خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله	٤٧
حكم الاختلاط في التعليم	٥٦
خطورة تعليم النساء للأولاد في المرحلة الابتدائية	٦١
أمور منكرة يجب التحذير منها	٦٣
دور المرأة في إصلاح المجتمع	٦٦
رسالة إلى كل مسلم ومسلمة	٧٥
تفسير قوله تعالى: ﴿يا نساء النبي﴾	٨٣
تكريم المرأة في الإسلام	٨٦
إنها السعادة يا أمة الله	١٢٩
تمسكي بحيائك يا أمة الله	١٣٧
أخلاق المؤمنات	١٤٦
امرأة تهفو إلى مثلها القلوب	١٥٤
صفات الزوجة الصالحة	١٦٣
نماذج من سير الصالحات	١٧٤
بمثل هؤلاء اقتدي يا أمة الله	١٨٢
يا من تريدين النجاة	١٩٠
التحذير من المغالاة في المهور والإسراف في حفلات الزواج	٢٠٤
قيادة المرأة للسيارة وموقف العلماء منها	٢١١
أختاه.. قفي واعتبري	٢١٨





ص.ب. 8723 - 11 رياض الصلح، بيروت 2270 1107 . لبنان
البريد الالكتروني : alamko@dm.net.lb
تلفاكس : 961.1.315142 +

Designed by R. Sedik